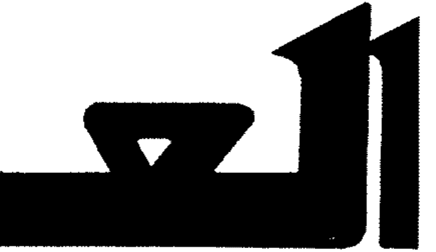
شعبان ١٤٠٥هـ - مايو (أيار) ١٩٨٥



العربي

المياه
العربية:
وصراع الوجود

جرائم
١٠١ عرب

System
5500W

في عام ١٩٢٧، خطرت على بال رجل إسمه افري فيشر فكرة عظيمة. فقد إخترع أول نظام صوت هاي فاي في العالم. هذه الفكرة وغيرها من الأفكار التي تبعتها بدأت تقليد الأفكار العظيمة التي ما انفكت تتتابع حتى اليوم في شركة فيشر التي انشأها

مثال عظيم على ذلك نظام فيشر السمعي المركب الكامل للتوازن المبين أعلاه. داخل مضخمات الصوت ذات القوة المدهشة ١٨ + ١٨ واط*. إعتمد فيشر محولاً للتيار فائق الأداء يوفر مصدراً موازناً للطاقة حتى عند الاستماع العالي جداً كذلك إعتمد نظام مكبر صوت ووفر مردوج وهكذا فان المضخم ومكبرات الصوت ينتجان صوتاً غنياً جداً واسع المجال وخال تماماً من التشويش. لقد صممت مكبرات الصوت هذه خصيصاً للاستعمال في الانظمة المرئية - السمعية، وهي أيضاً تخلصك من التشويش المغناطيسي الذي تسببه المكبرات أحياناً والذي قد سمعته في أجهزة التلفزيون القريبة

ان أفكاراً عظيمة كهذه هي التي تمكن فيشر تبوء ٤٠٪ من حجم أنظمة الأجهزة السمعية المركبة في الولايات المتحدة فلا تقبل بالأقل وقدم لنفسك فكرة عظيمة. قدم لنفسك فيشر

* طاقة إخراج RMS مع ٠,٩ ٪ THD عند 1KHz



العدد ٣١٨ مايو ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

ص . ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No. 318 Mey. 1985 P.O. Box 748-Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

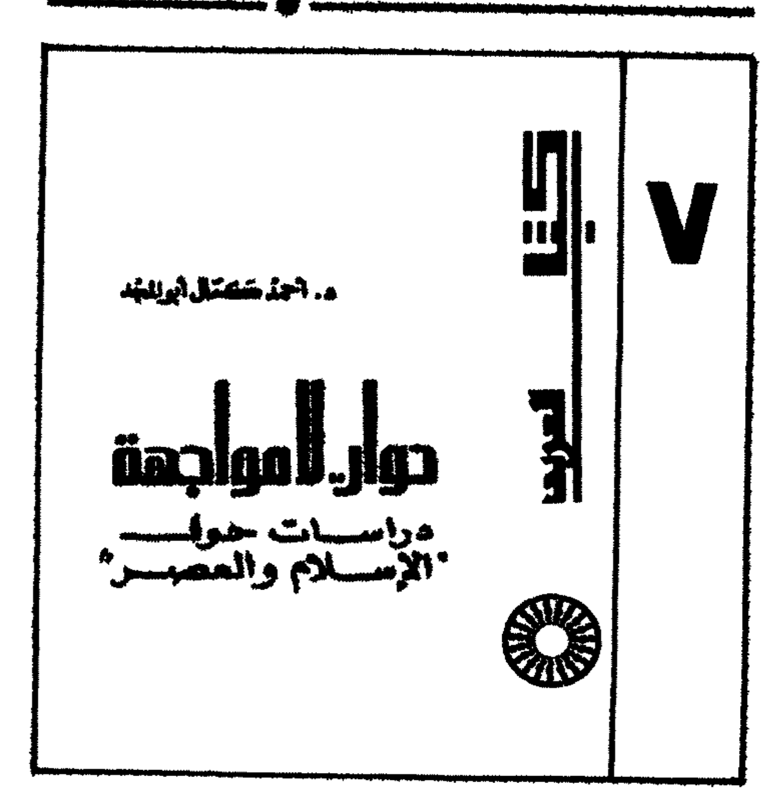
الإشتراكات ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

صدر حديثاً

كتاب العربي



« ان ما استقر عليه الكثير من علمائنا من أنه لا اجتهاد مع وجود النص ينبغي أن يوضع في اطاره الصحيح ، فوجود النص (بمعنى الدليل الجزئي النقلي ، من آية أو حديث) لا يلغي - بالضرورة - دور العقل والاجتهاد ، اذ أن فهم مراد الشارع وتحديد مدلولات الألفاظ ، والترجيح بين النصوص المتعددة التي يوحي ظاهرها بالتعارض ، كل ذلك اجتهاد لا يحول دونه ورود الدليل النقلي » .

هذا جزء من اجتهادات الدكتور احمد كمال ابو المجد في الكثير من المسائل والقضايا الاسلامية المطروحة في عصرنا ، والتي شاع الاجتهاد والنقاش فيها وحولها في الكثير من دورياتنا وصحافتنا ومنتدياتنا وفرقنا . وهي اجتهادات تأمل أن تضيف جديداً لما هو مطروح . وأن تفتح آفاقاً جديدة في هذا المجال .

عزيزي القارئ

هذا الشهر متميز في تاريخنا العربي المعاصر ، فهو الشهر الذي تستعاد في منتصفه ذكرى أليمة على قلب كل عربي ، انها ذكرى اغتصاب فلسطين . ومع مرور كل هذه السنوات منذ ذلك اليوم في سنة ١٩٤٨ فان أملنا المعقود على المقاومة مايفتأ يقوى ، ويحدو جميع العرب والمخلصين من أبناء دول كثيرة لمسوا ماحاق بأبناء فلسطين من تعسف وايلام وقهر ، فهبوا يناصرونهم ويضمدون جروحهم ، كل بطريقته الخاصة

وجدير بنا ألا ينتابنا فتور في المثابرة ، فنؤكد القول من جديد بأن سلسلة الاغتصاب الاجرامية مازالت تمتد بحلقاتها الثقيلة على ربوع تلك المنطقة الغالية من وطننا العربي،وانها في أمسّ الحاجة الى القوى التي تتصدى لها وتردعها .

ولقد قدمنا للقارىء في هذا العدد استطلاعا مصورا عن المياه العربية والأخطار التي تحدق بها . وبجانب هذا الاستطلاع فان « العربي » عودت قراءها دائما أن تطلعهم على المفيد والجديد في آفاق الثقافة والتربية والفكر والعلوم والتراث

كما أن المسابقة في القصة القصيرة التي أعلنا عنها في مطلع هذا العام قد أقفل بابها ، بعد أن أصبح لدينا مايربو على ألفين من قصص المتسابقين .

وقد شرعت لجان القراءة في تقويم هذه القصص وتصنيفها تأهبا لتحديد الفائزين الذين سنعلن عنهم في عدد أكتوبر القادم ـ ان شاء الله ـ وفاء بوعدنا للقراء .

واذا كان هذا العدد الذي بين يديك ـ عزيزي القارىء ـ متميزا بالثراء والتنوع ، فان التزامنا بتقديم عدد ممتاز في الشهر القادم خبر يسعدنا أن نزفه اليك ، فهو عدد رمضان السنوي الذي يتألق بما فيه من نفحات رمضانية وتراثية ، هذا الى جانب المواد الأخرى التي أبدعها كبار الكتاب العرب ، فضلا عن الاستطلاعات وغيرها من الأبواب ، وهكذا دأب « العربي » وطابعه تقديم كل ماهو قيّم ومتطوّر ، والى لقاء متجدد .

□

المحرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

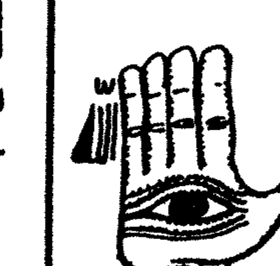
الموروثات الشعبية

كم فيها من ثابت وكم فيها من متغيّر ؟

■ تغيّر دلالات الأمثال العربيّة دليل على تغيّر الأزمان والحاجات .

■ وضع المثل والحكمة في سياقهما التاريخي أدعى إلى الصحّة والتصرف السّليم .

■ لا تقطع بالسكين ما تستطيع قطعه بالأصابع .



قال لي صديق ذات مرة . هل فكرت في الكتابة عن الموروثات الشعبية (الفولكلور) لما فيها من تشابك بين ماضينا وحاضرنا العربي اليوم ، ولما لها من تأثير نتداوله وننقله نقلا ونردده دون أن نتبين وقعه على حياتنا المعاصرة .

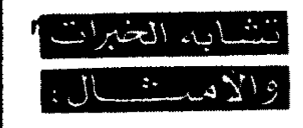
قلت له : اضرب لي مثلاً .

قال : ما يردده الناس في الأمثال السائرة : خالف تعرف ، أو خالف تربح ، أو العين لا تقاوم المخرز ، أو أحب أهل الكلب اليه خانقه . الخ

قلت : لقد فهمتك الآن ، إن لى وجهة نظر في هـذا الموضـوع ، والأمثلة التى ذكرتها قد تكون مدخلا جيدا لمناقشة الموضوع برمته .

***

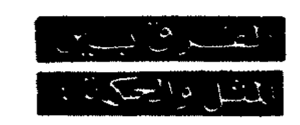
ومنذ حديث الصديق اختمرت الفكرة في ذهنى وبدأت أقرأ حولها ما تيسر لى من مصادر . فوجدت أن موضوع « المأثورات الشعبية » طويل عريض ، له علاقة بموقفنا من كل ما هو منقول عن السلف من جهة ، ومن جهة أخرى له علاقة بحياة الشعوب وخبراتها وتجاربها . وأنا اليوم أحاول الكتابة عن جزئية منه هي « الأمثال والحكم » .



☐ والأمثال والحكم هي سلسلة طويلة من تراكم الخبرات مضغوطة في كلمات قليلة ، وهي ليست مقتصرة على شعب دون آخر ، بل إننا نجد في بعض الأوقات أنها مشتركة بين ثقافات وشعوب متعددة ، بالرغم من اختلاف بيئاتها وتجاربها وبعد المسافة بينها ، ذلك لأنها تعبر عن معان انسانية مقترنة بالوجود البشرى العام .

فالمثل العربي القائل « كحامل التمر إلى هجر » ويضرب في الشخص الذى يحمل بضاعة إلى بلدة هي صانعتها أو منتجتها ، تجد له مثلا مشابها في الثقافة « الانجلو سكسونية » هو (كحامل الفحم إلى نيوكاسل) ، ومن المعروف أن نيوكاسل هي المنطقة الأكثر شهرة في انتاج الفحم الحجرى ، كما هي هجر (منطقة شرق الجزيرة العربية كما تسمى في التاريخ) منطقة إنتاج شهيرة للتمر !

من هنا يأتى القول بأن قدرا كبيرا من الأمثال والحكم المتداولة هي ملك للانسانية جميعها ، وهي مشتركة بين شعوب كثيرة بالرغم من اختلاف صورها وصياغتها ، مع ذلك فإن معناها متشابه ، وبعض الكتب تضع فارقا بين المثل والحكمة فتخصص المثل بما له مورد ومضرب ، أى له حدث واقع قيل فيه ، ثم صار صالحا لأن يضرب فيما يشبه هذا الأصل وينطبق عليه ، أما الحكمة فهي القول الذى يطلقه صاحبه من حصاد خبراته وتجاربه ، وبعض الكتاب يغلب « لفظ » المثل فيطلقه على الحكمة أيضا .



☐ وحين نناقش الفرق بين المثل وبين الحكمة بتفصيل أكثر ، فسنجد أن كليهما قول وجيز رصين ، ولكن المثل قول جرى في موقف معين حقيقي أو متخيل ، تعبيرا عن حادثة ما لشخص أو أكثر ، فإذا تكرر مثل هذا الموقف ذكر القول السابق ، لما بين الموقفين من التشابه ، ومن هنا سمى هذا القول بالمثل ، ومن الحكمة ما يجري مجرى المثل كقول المتنبى « الجوع يغرى الأسود بالجيف » ، فالمعروف أن الأسد لا يأكل الرمم فضلا عن الجيف ، بل يصطاد لنفسه فيأكل مما اصطاده طازجا ، ولكنه حين يجوع فلا يجد ما

يصطاده من الحيوانات ، ولا يجد إلا جيفة فإنه يأكل منها ليدفع عن نفسه الموت .

واذا وجد مثل هذا الموقف ـ وكثيرا ما يوجد ـ قيل هذا القول ، ولو لم يكن في الموقف أسد ولا جيفة ، لأن الضرورات تنزل الانسان على حكمها ، كما اذا رأينا شريفا يرضى بما لا يليق به ، فيما امتنع عنه ، والحياة كما نعلم ملأى بالضرورات .

ويلتقي هذا المثل الجاري مجرى الحكمة مع محض حكمة معروفة هي قولهم « الضرورات تبيح المحظورات » ويتكرر قول هذه الحكمة كلما حدثت ضرورة تضيق على صاحبها فتلزمه ان يقدم على ما هو ممنوع ، فرارا من الضيق الى السعة ، في سبيل مصلحة أكبر .

والمثل أشد توضيحا في ابراز المعنى وتبسيطه من التعبير عن هذا المعنى نفسه بعبارة عادية ، لأنه يصور المعنى صورة حسية ، والمحسوسات أيسر فهما ، لأنها تدخل من الحواس ، فيتلقاها الذهن شاخصة متميزة ، وهو يعتمد على التشبيه أو الاستعارة أو الكناية من وسائل البيان .

ولذلك يلجأ المعلمون إلى المثل أو الأمثال في تبليغ ما يريدون ابلاغه الى من دونهم فهما ، وفي القرآن الكريم « ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما ، بعوضة فما فوقها » وتذكر الاناجيل ـ وهي تروى قصة السيد المسيح مع حوارييه ـ أنه عليه السلام « كان يكلمهم بأمثال ، وبغير أمثال لم يكن يكلمهم » .

ولكل مثل في الغالب قصة ، واقعية أو خيالية ، بحسب الحادثة المفترض انه جرى فيها ، ومما تمتاز به امثالنا العربية جملة أن الكتب التى تعنى بجمع الأمثال حين تذكر المثل تذكر معه قصته الواقعية ، أو تتخيل له قصة ملائمة ، واما كتب الأمثال في اللغات الاخرى فالغالب انها تورد الأمثال مجردة .

وقد لا تكون للمثل قصة كقولهم : « أكرم من حاتم » و « أظلم من الحجاج » و « أخف من فراشة » و « أثقل من جبل » فيكفى في المثلين الأولين ان نعرف أن حاتما كان رجلا كريما ، وأن الحجاج كان حاكما ظالما ، ويكفى في المثلين الأخيرين أن نعرف خفة وزن الفراشة ، وثقل وزن الجبل .

والحكمة تعتمد على الواقع ونفاذ العقل الى أسرار الطبيعة أو الحياة ولاسيما النفس الانسانية وطبائعها أو امزجتها ، ومن ذلك أمثالنا العربية الاتية : ـ « مقتل الرجل بين فكيه » و « ذكاء المرء محسوب عليه » . ومن الحكم في الانجليزية : « لأن يموت المرء حرا خير من أن يموت عبدا » و « لا تقطع بالسكين ما تستطيع أن تقطعه بالأصابع » و « الشحاذون لا يخشون اللصوص » و « كل امرىء يلقى اخطاءه على زمانه » .



الامثلة والحكم قد تكون انسانية عامة أو تكون قومية أو وطنية خاصة . . فمن العامة المثل الروسي : « اذا لم يكن مفر من الغرق ، فالبحر



اللجي خير من البركة الآسنة » وآخر « من الحياة نخاف ، لا من الموت » ، ومن الأمثال القومية أو الوطنية « زوجي سيء اخافه ، ولكن اذا كنت معه لم اخف غيره » و « ما أسعد الفرنسي بغراب » والأخير هنا يعود الى أن جنود نابليون بعد خيبتهم في غزو روسيا وندرة الأقوات ، كانوا يصطادون الغربان . ومن الأمثلة الصينية الساخرة « بائع البطيخ يقول إنه حلو » وهو يقابل المثل المصرى « من يشهد للعروس الا أمها » .

***

وفي تراثنا العربي كثير من كتب الامثال والحكم ، وقد ألفت فيها كتب خاصة ، وهي تسمى « كتب الأمثال » ويجب أن نلاحظ أن الامثال والحكم أكثر شيوعا في الأوساط الأمية .

ويقول العرب ان مواصفات المثل الجيد هي الايجاز واصابة المعنى وحسن التشبيه وقد عنوا على مر العصور بجمع الأمثال وتصنيفها ، الا أن الدراسات التحليلية الاجتماعية لهذه الأمثال قليلة بل نادرة . وبما أن الأمثال ينعكس فيها شعور الشعوب وتفكيرها وعاداتها وتقاليدها وخبراتها ، كما تعبر عن الفئات الاجتماعية التي تنطقها بما تريد ان تقول أو تضمنها مواقفها ومصالحها . . لذلك فقد أصبحت أحد المصادر المناسبة والمهمة لمعرفة نفسية أى شعب وتطوره الفكرى والحضارى ، وهذا النوع من الدراسات يمكنه أن يكشف الحياة الفعلية والحضارية للأمة ، ولا تستطيع أية مصادر اخرى ـ كالنقوش والتدوينات ـ أن تقدم ما تقدمه الأمثال من ثروة حقيقية للدراسة ، وكمصدر لاكتشاف تلك الحياة وتحليلها في واقعها وربما في احتمالاتها المستقبلية ، وأصبحت الأمثال اليوم هي المصدر للدراسات العلمية الاجتماعية الكثيفة . لكن بالرغم من هذه الأهمية التي يعول عليها بالنسبة للأمثال والحكم الا أن ما ندعو اليه هو النظر بمنظار النقد والغربلة لها .

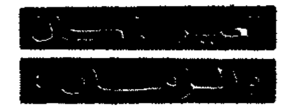
النقد والغربلة :

☐ اذا أردنا أن نقف موقف الدارس والناقد لما وصلنا من أمثال وحكم من قبل الأسلاف فلابد لنا من إلتمحيص في القيمة الحضارية لبعض أمثالنا وحكمنا ، ولا يضيرنا أن نضيف الشعبي والمستحدث منها الى الفصيح والموروث .

فالأمثال التي ضربها صديقنا في صدر هذا الكلام مثل : « خالف تعرف » وغيره ، تنطوى على موقف ضمني معارض للتجديد والابتكار . وكل من يأتي بجديد لا يؤخذ بالجدية الكاملة في حد ذاته ، فهو مجرد شخص يريد أن يعرف أو يشترى دعاية واعلانا ـ حسب أقوالنا اليوم ـ بالمجان دون أن يضيف جديدا ، لذلك فإن النظرة اليه هي نظرة استخفاف لا غير .

وأمثلة أخرى لابد أن نقف عندها طويلا وهي وإن شكلت خبرة لشخص ما في مكان وزمان محددين ، فإنه يجب ألا نأخذها على علاتها وبصورة ملزمة ومطلقة ـ مثل قولنا : « اتق شر من أحسنت اليه » أو « أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة » أو « أن آخر الدواء الكى » . . . الخ .

ففى عصرنا هذا لا يمكن أن نقبل التحريض على الاحسان الى الناس بسبب أن أحدا في ظروف معينة اساء لمن أحسن اليه ، كذلك لا يمكن أن نقبل أن يكون التقدم في السن وحده عاملا أساسيا من عوامل التقدم في العلم والمعرفة ! أو أن آخر الدواء الكى في الوقت الذى تقدمت فيه علوم الطب ! واذا كانت تلك الأمثال وغيرها تضرب في بعض الأحيان لأجل معناها الضمنى ، فإنها مهما اختلفت صيغتها تعبر تعبيرا واضحا عن مواقف اجتماعية وفكرية يجب أن نعيد النظر فيها من جديد .



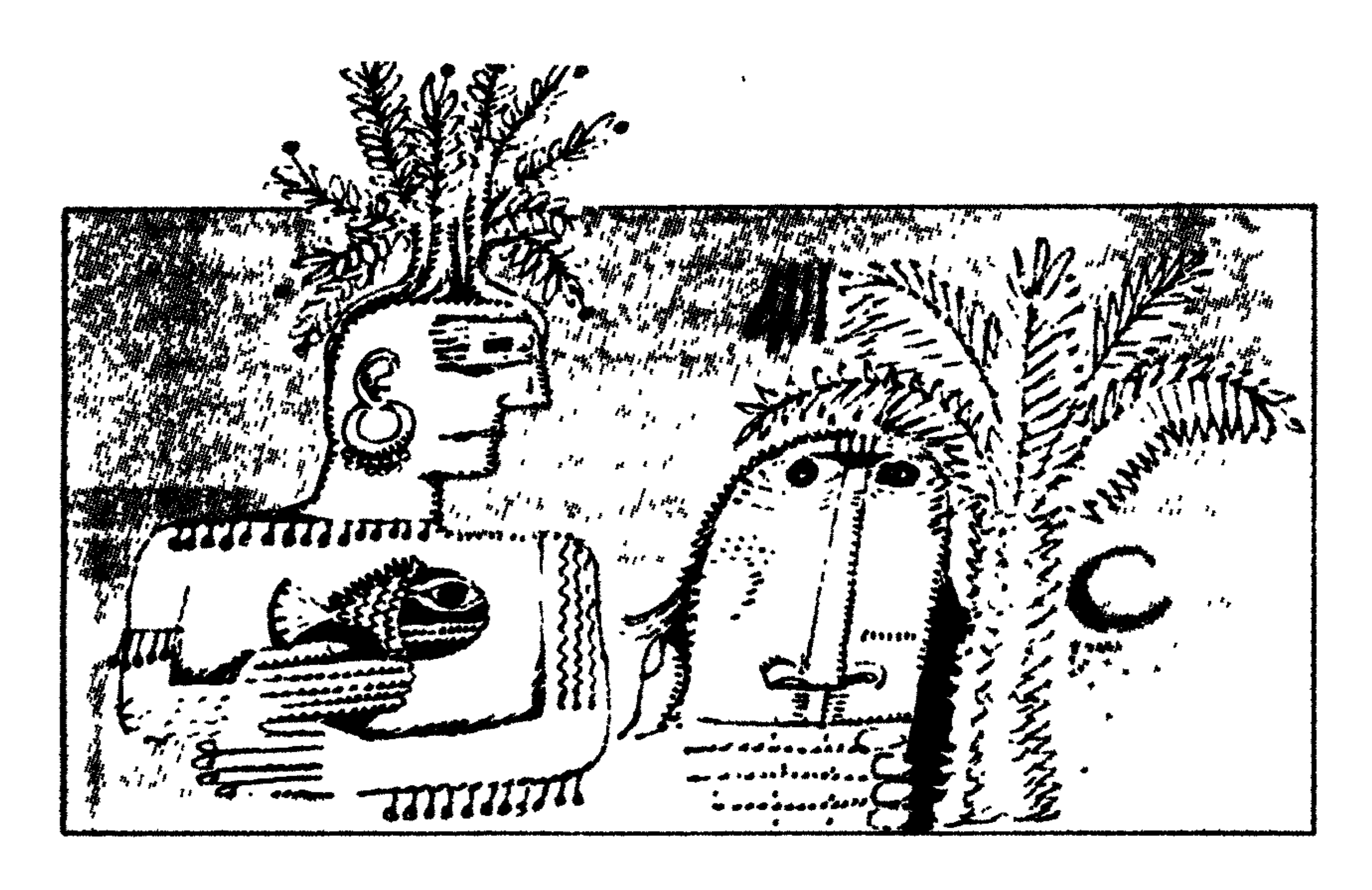
□ يقودنا كل ذلك الى القول بأنه ليس كل ما قاله أجدادنا في العصور السابقة ـ حتى لو كانت خبرتهم عنه حقيقية في ذلك الوقت ـ يصلح بالضرورة والحتم لزماننا ، أو انه يمكن أن يخدم حياتنا الحاضرة ـ ولا أجد أن ذلك بذاته يعتبر موقفا جديدا ، فالموقف من التقليد والنقل انتقده الكثيرون في عصرنا من منطلق موقف فكرى عام . ولكن ما نعتقد أنه جديد هو النقد واعادة النظر في أمثالنا السيارة ، والتى يجرى تداولها كثيرا على شفاه الناس ، ومعظمهم يتعامل معها بتسليم مطلق دون تمحيصها أو اخضاعها لمحك التجربة .

ضمن هذا الإطار لابد من بذل جهد ثقافى لإيجاد وعى جديد يسلم بأن التغيرات التقنية من جهة والاجتماعية من جهة أخرى تفرض التغيير حتى فى أمثالنا وحكمنا . . فهى ليست ثابته ولايجوز أن ننظر اليها كذلك ، صحيح أن بعضها يمكن قبوله اليوم ، لا لأنه حكمة قديمة ومثال سائر ، ولكن لأنه مازال ينطبق على الخبرة الانسانية اليوم ، ويمكنه أن يتواءم مع مجريات الحياة والواقع ، كقولنا مثلا : « الخطأ زاد العَجول » أو كقولنا : « رب أخ لك لم تلده أمك » أو « أعط القوس باريها » أو « أسمع جعجعة ولا أرى طِحنا » أو « السيفان لا يجتمعان فى قِراب واحد » أو « ما ضاع حق وراءه مطالب » . . . الخ . أما بعضها الآخر الذى لا يتناسب مع حقائق العصر فلابد من اعادة النظر فيه .

تجربة خلاص الأمم من الموروث الجامد المعطل للتغيير تقول لنا ان هذا الخلاص يبدأ بخطوة أولية ومهمة هى نقد الموروث وبيان سلبياته ، والاعتراف بأن بعض هذا الموروث من « أمثال وحكم » لم تعد ملائمة فى عالم اليوم .



فمع التقدم المتزايد فى الوعى وادراك حقائق العلم والحياة والمجتمع فإننا نحس بالارتباك والقصور والتقصير فيما لو حبسنا تجربتنا فى اطار تجارب



الآخرين وخبراتهم الخاصة فى زمان وظروف كانت لصيقة بهم . ومن خلال اعمال النقد واخضاع الحكم والأمثال لمحكات الواقع فإننا لا نفتأ نكتشف فداحة الخطأ الذى نقع فيه عندما نؤسس احكامنا فى قضايا كثيرة على خبرة الآخرين ، أو على حكم وأمثال موروثة منقولة من الماضى ، واغفال الخطأ فى هذا الموروث يورث أخطاء أخرى للأبناء أيضا ، مما يتراكم ويزيد من الاخطاء التى قد تعطل مسيرة الأحفاد وتدخلهم فى نطاق المقلدين بدلا من أن يكونوا مبتكرين .

الحالة الذهنية لعصرنا هى حالة صراع وشد وجذب تتسابق فيها الأمم للوصول الى التقدم من أجل سعادة الانسان ، هذه الحالة تحتم علينا نقد الموروث وتحديد سلطانه علينا حيث يقف البعض بعناد فى وجه كل تغيير مما يجعل الاصلاح المنشود فى مثل هذا الموقف هو اصلاح للماضى لا اصلاح للمستقبل الذى يطرق أبوابنا ويتحدانا ويطالبنا بالتأهب له .

قد يرى البعض أن العودة الى الماضى والتشبث به تعنى جزئيا هروبا سهلا ومريحا من مواجهة الحاضر والمستقبل ، وبمعنى آخر التوجه الى بساطة الثقافة الماضية هروبا من مواجهة تعقد الثقافة المعاصرة ، لذلك يبدو لنا أن التشبث بتجارب الماضي المحدودة في طبيعتها هو في حقيقة الامر حركة تقليص واسترخاء تريد تجميد حدود التجربة الانسانية . . ولكن الحقيقة الظاهرة للعيان أن التجربة الانسانية تتسع كل يوم ، بل كل ساعة . .

الخط الفاصل بين الفهم « لإحياء الموروث » وبين « تجاوزه » تكمن

في فهمنا الواضح بأن صلب القضية لا يقوم على احياء تجارب السابقين كي نقلدهم ، بل يقوم على الاستفادة من تجاربهم حتى نبدع واقعنا وحياتنا تماما كما صاغوا هم تجاربهم وحياتهم حسب واقعهم . القضية بشكل آخر هي ألا نتبلد ولكن أن نتصرف مثلهم في ظل ظروف اقتصادية وسياسية وتقنية واجتماعية متغيرة .

☐ عادة ما تصنف الأمثال السيارة ـ سواء كانت مصوغة بلغة عربية أو بلهجة محلية في شتى أقطارنا العربية ـ على أنها صنفان :

صنف يحمل الحكمة ، وصنف آخر مبني على حوادث وقعت لأشخاص حقيقيين أو متخيلين في مجمل الموروث الشعبي . ومن هنا تنبع ضرورة اعادة النظر في مثل هذه الأمثال ، فإن كانت من النوع الاول ، أي الحكمة ، وجب قياسها على مجريات الحياة والواقع ، فإن وجدنا انها ما زالت تملك صلاحيتها وصحتها وتخدم البشر في حاضرهم . . فإن ذلك أدعى الى التمسك بها والأخذ بمضمونها ، والا أعيد النظر فيها ، اما اذا كان المثل نابعا من تجربة شخصية ، فلا بد من قراءة تلك التجربة واستنطاق الجوهري فيها واقتباس ما يمكن أن يغني حياتنا ويضيف اليها . ولقد أقنعتنا دراسات أمثال الشعوب وحكمها بأن لها علاقة بالروح العام للشعب في مراحل معينة ، فإن نبعت الأمثال في مرحلة انتصار وثقة بالنفس انتشرت الأمثال المجسدة لذلك التوجه ، وان كانت الشعوب في مراحل تقهقر وانحسار انتشرت بينها الأمثال والحكم المتقاعسة والمفضية الى التقوقع وترك ما لقيصر لقيصر .

ولعل هذه القضية قد خبرناها نحن العرب في الخمس والعشرين سنة الأخيرة من هذا القرن على أقل تقدير . فعندما كانت حركة التحرير العربية سائرة في طريقها الصاعد تكسب المعارك مع الأجنبي ، كان فهمنا لأنفسنا من خلال ما نطلقه من حكم وأمثال يتوافق مع طبيعة المرحلة ويستجيب لها ، ولكن في مرحلة أخرى وأحسبها الخمس عشرة سنة الماضية نجد أن أمثالا وحكما وتعابير شعبية مصورة للتخاذل ، هي التي انتشرت في بيئة التراجع والانحسار .

وقد يساق المثل دون ذكر صاحبه فيوصف بأنه قول كثيرين ، وقد يكون من أطلقه فردا واحدا امتاز بالفطنة وفهم الواقع واستخلصه من تجربته وتجارب غيره ، مما يرجح احتسابه ضمن ما يمكن ان يعبر عن شعور الجماعة واحساسها وخبراتها .



☐ دراسة الأمثال ـ بجانب كونها مصدرا مهما لدراسة الحياة العقلية والحضارية للأمة ـ مصدر آخر لدراسة تطور اللغة وانتقال دلالات الالفاظ ، فبعض الألفاظ والجمل اليوم تعني لنا شيئا محددا ولكنها في وقت



مضى كانت تعنى شيئا آخر كالقول : « ثلاثة لا يستشارون : معلم الصبيان وراعى الجديان ـ صغار الماعز ـ ومجالس النسوان » . ومعلم الصبيان على سبيل المثال كان ساقط العدالة ولا تقبل شهادته فى رأى بعض فقهاء المذهب الحنفى قديما ، أما معلم (الصبيان) الآن فهو كغيره من المواطنين له حقوقه وواجباته ويؤدى رسالة وواجبا وطنيا يستوجب لقاءهما كل تقدير واحترام . واذا نظرنا الى أمثالنا العربية حسب هذا المنظور فاننا نحصل على دليل آخر على قدرة لغتنا العربية على التطور والمرونة التى استمرت بها لغة حية كل هذه القرون الطويلة .

لقد كثرت فى لغتنا العربية الأمثال التى تذم الجبن والبخل والغدر وغير ذلك من الصفات السلبية ، كما كثرت الأمثال التى تمجد الشجاعة والكرم والحكم والعقل والوفاء والعفة . . الخ من القيم الاجتماعية الايجابية مثل : « الصدق أنجى » ، « من لم يعلم لم يسلم » « دولة الجاهل عبرة العاقل » « الجهل بالفضائل من أقبح الرذائل » . . . الخ ، ولكننا نجد أمثالا تأخذ مسارا عكسيا ـ ولو أنها قليلة ـ فتذم القيم الايجابية وتعظم القيم السلبية مثل : « الكذب ملح الرجال » ، أو كما ورد في بداية هذا المقال : « أحب أهل الكلب إليه خانقه » ، « أو العين لا تقاوم المخرز » ، ولقد كان ذلك مدخلا لبعض المستشرقين للطعن في الحضارة العربية .

كما أن المرأة نالها نصيب الأسد في الحط من شأنها من خلال بعض الأمثال العربية مثل : « أجهل من امرأة » ، أو « من كانت تجارته نسوان فهو الى خسران مهما طال الزمان » ، أو « ثلاث لا أمان لهم : المال ولو كثر ، والسلطان ولو قرب ، والمرأة ولو طالت عشرتها » ، أو المثل الذى سبق ذكره ، وبدايته « ثلاثة لا يستشارون . .الخ »

ويأخذ البعض كل ذلك كأنه أمر مسلم به على دونية وضع المرأة عند العرب ، كما أن البعض الآخر يأخذ على الأمثال العربية صيغة المبالغة الظاهرة ، كما ان المثالية المطلقة البعيدة عن الواقعية هي أيضا احد المآخذ الأخرى .

الامثال تفشى اسرارا كثيرة عن عقلية الشعوب ومجريات حياتها ، وتحدد الوضع الاقتصادى والاجتماعى لشرائحها المتعددة ، كما تسجل حكمتها واعتزازها بنفسها من جهة ، وسلبيتها واستسلامها من جهة أخرى . وبما أنها نابعة ومعبرة عن مجموعة عريضة من الناس ولا تعبر عن النخبة فقط كما هي في حال الشعر أو النثر أو أية فنون أخرى ، لذلك فإنها اقرب الى التعبير عن المجتمع بكل أفراده على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم .





بقلم : الدكتور عبدالله عبدالدايم

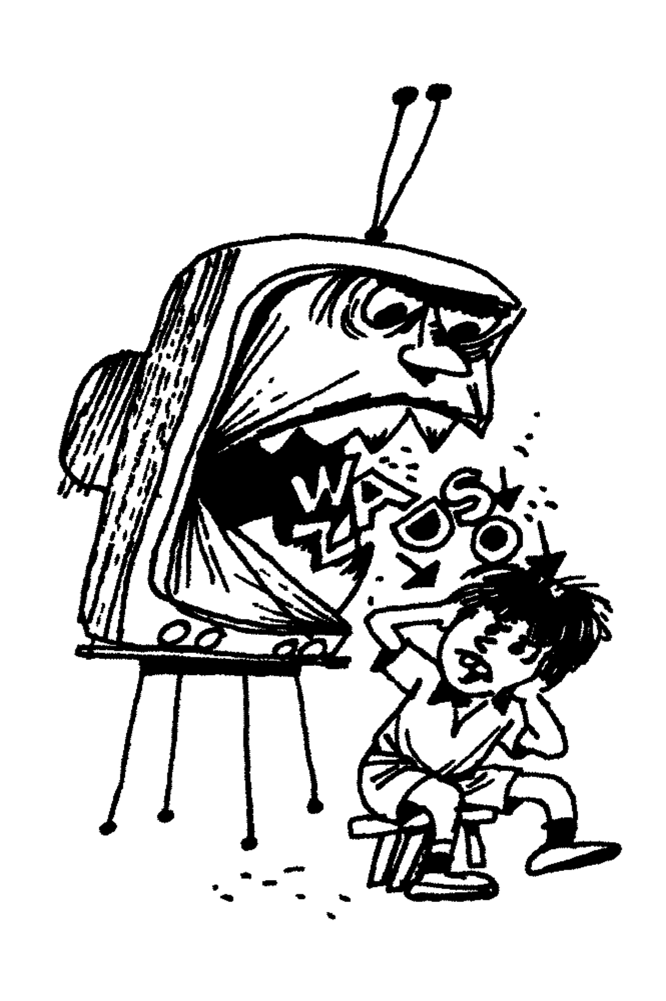
مع بداية العقد الماضي توقف المثقفون ليتساءلوا عن مصير الثقافة ، مادة نشاطهم الأساسية في زمن السيطرة شبه التامة للتقنيات الحديثة ، فقد ظهر الى الوجود مصطلح « الصناعات الثقافية » وحققت الآلة انتصارا على أرض جديدة .

في هذا المقال خروج من دائرة الحذر الى دائرة البحث وطرح الأسئلة ووضع التصورات .

الصناعة - التي أخذت تكف عن أن تكون مجرد صناعة ، وذلك بعد الانتقال الى مرحلة الثورة الصناعية الثانية أو الموجة الثالثة (توفلر) أو مرحلة ما بعد الصناعة ، تزحف مغذة الخطا الى جوانب شتى من حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، دون أن نتبين في كثير من الأحيان أبعاد ذلك الزحف ونتائجه ، ودون أن ندرك بوضوح أصنيع هو أم مجرد تحويل لكل ما في الحياة الى لغة الآلة وحركة الدمى .

الصناعات التربوية :

منذ عقود قليلة من السنوات ذاع وشاع مصطلح « الصناعة التربوية » وحملت بعض الكتب والدراسات هذا العنوان الذي بدا مفاجئا ، وقيل عن



التربية ونظامها أنها صناعة كبرى . وتحدث المخططون الاقتصاديون ومن بعدهم المخططون التربويون عن العائدات الاقتصادية لتلك الصناعة، وعن « مدخلاتها » « ومخرجاتها » وعن « مردودها الداخلى » « ومردودها الخارجى » وعن الهدر والضياع فيها . وجربوا فى الجملة أن يكون شأنهم معها شأن من يحلل واحدة من كبريات الصناعات ، تحليلا يدخل الى التربية للمرة الأولى أساليب الدراسة الصناعية ومناهج البحث الاقتصادى . ثم كانت ردة وكانت تلك الموجة الثانية التى بينت حدود مثل هذه المقاربة ـ وأعيدت الى التربية بعض أساليبها الذاتية فى البحث والتقويم،ووقف القوم عند أهمية الجوانب النوعية فى التربية ، وحملوا على التحليل الكمى المحض ، وعلى الاسقاطات الرياضية الخالصة ، وانتهوا الى موقف متوازن فى أمر التخطيط التربوى ، وبينوا حدود القول بمعالجة التربية جملة معالجة صناعة من الصناعات . على ان« صناعة التربية »أو « الصناعة فى التربية » شقت طريقها على أية حال فى بعض المجالات الخاصة بوسائل التربية وطرائقها ، وبالادارة التربوية والأبنية المدرسية وسوى ذلك . وظهرت « تقنية التربية » وما يتبعها من استخدام الوسائل السمعية البصرية ، واستخدام الحاسبات الالكترونية . وانتشرت الطرق الحديثة فى الادارة والتسيير ، واستخدمت فى ميدان التربية كما استخدمت فى سواه . وههنا أيضا ظهر تطور وتعديل ، وقام فى نهاية الأمر توازن جديد وذلك حين فرق القوم بين « التقنية فى التربية » أى ادخال الآلة الى التربية ، وبين « تقنية التربية » أى ادخال التقنيات الحديثة فى التربية سواء تمت عن طريق الآلة أو بدونها .

الثقافة والغزو التقنى :

غير أن ثمة مجالا آخر هاما خالطته الصناعة وكادت تسيطر عليه فى غفلة من الناس ، هو ميدان الثقافة ، حيث غدونا أمام دمج مولد محدث بين الصناعة والثقافة،أين منه المعنى الذى قصد اليه أبو هلال العسكرى فى كتابه « كتاب الصناعتين » ورغم أن غزو الصناعة للثقافة ظاهرة تجهار أمام الأعين ، فان تحليل نتائجها السلبية والايجابية لم يلق بعد كل ما يستحقه من اهتمام ، لاسيما فى بلداننا العربية . صحيح أن منتجات الصناعة والتقنية تنسل الى حياتنا كلها ، وتدخل حمانا دون استئذان وتجعلنا نحيا فى كل شىء حياة المجتمع المستهلك،لما تقذفه به عجلة التقنية المخيفة . وصحيح أن لهذا الغزو الشامل مخاطره التى تستلزم منا الكثير من التحليل والتدبير . غير أن غزو الصناعة والتقنية الثقافية يظل أدهى وأمر ، ونتائجه الايجابية والسلبية لابد أن تدرس دراسة دقيقة ، اذا نحن أردنا حفاظا على ذاتنا وهويتنا الثقافية ، واذا نحن عزمنا على أن يكون لنا فى صنع مستقبلنا شأن ونصيب .

الصناعات الثقافية والوسائل التقليدية

ومن هنا نسائل أول ما نسائل : ما هي تلك« الصناعات الثقافية » وما أمرها ؟ أما المصطلح فقد ظهر منذ عام ١٩٤٧ ، على يد باحثين المانيين هما« آدورنو » و« هوركايمر » غير أنه لم يثر اهتمام الباحثين ، الى أن جدد صاحباه الاشارة اليه ، والى أهمية الصناعات الثقافية ، وذلك عام ١٩٧٢ .

والحق أن هذا العناد ـ عناد المسؤولين وأولى القلم والفن فيما يتصل بالشأن القمين بهذا المصطلح الجديد ومضمونه ـ ظاهرة ماتزال تثير الدهشة حتى اليوم . وهي في الحق وراء ما دفعنا الى كتابة هذه الكلمة . فما يزال مخططو الثقافة وواضعو السياسة الثقافية في كثير من بلدان العالم ، يحسبون أن التخطيط لها يتم عن طريق مجرد العناية بمؤسساتها الرسمية وحدها ، من وزارات للثقافة أو مراكز ثقافية أو مؤسسات حكومية تعنى بجوانب الثقافة المختلفة من أدب وفكر وفن . وماتزال السياسات الثقافية المرسومة من قبل الكثرة من الدول تعمل كأن شيئا لم يكن ، متناسية ذلك الخضم الزاخر من النتاج الثقافي الذي يصل الى الملايين ، عن طريق صناعة الكتاب والتلفزيون والمذياع والسينما والفيديو . لقد أحصى أحدهم عدد الذين استمعوا الى السيمفونية التاسعة لبتهوفن التي أدتها اوركسترا برلين خلال شهر شباط / فبراير عام ١٩٧٨ ، فوجد أنهم بلغوا ١٢٠ مليون مستمع في أوروبا وحدها . فكم عدد الملايين الذين شاهدوا ويشاهدون ذلك المسلسل التلفزيوني الأمريكي« دالاس»ومن بعده المسلسل « ديناسق » ؟ أي خطة ثقافية رسمية تستطيع أن تضاهي هذا السيل العرم من مبدعات الأدب والفكر والفن الذي تقذف به ملايين الملايين من الاسطوانات الموسيقية ، ومن أشرطة التسجيل ، ومن كتب الجيب ، والكتب الجماهيرية ، ومن الأفلام السينمائية ، ومن برامج التلفزيون والاذاعة ؟ وأين الناشئة من هذا كله ، وأين الأهداف الثقافية القومية والوطنية ، وأين جهد النملة الذي تقوم به المدرسة البائسة ، أمام هذه « المدرسة الموازية » الكبرى ، مدرسة وسائل الثقافة الجماهيرية التي تكمن وراءها الصناعات الثقافية بكل ما تحمله من أغراض اقتصادية وسياسية وأحيانا ثقافية ؟ حقا اننا في كل هذا مانزال نواجه عصر الصناعة والتقنية بصناعاتنا الحرفية اليدوية ، ونعمل بالمطرقة والسندان حين يعمل القوم بالألكترون والمعلوماتية !

بعض المكتسبات

ولكي ندرك أن المسألة في حاجة الى تحليل سديد قبل أي خطة توضع لمعالجتها ، لنتبين بعض العوامل التي رافقت دخول الصناعات الثقافية الى عالمنا ، وبعض سماتها الواقعية التي جعلت منها بالتالي قدرا لا يتغير بجرة قلم ، بل بخطة كاملة مقابلة :

١ ـ ديمقراطية الثقافة وايصالها الى الكثرة الكاثرة من الجماهير كانت وماتزال هدف السياسات الثقافية في بلدان العالم . هذا الهدف تحققه الصناعات الثقافية ، على شاكلتها ، على أوسع نطاق ممكن . حسبنا دليلا على ذلك أن نرى العدد المحدود من الأشخاص الذين يرتادون المسارح ، المسارح التي أنشأتها الدولة ، أو المسارح الخاصة ، في مقابل العدد الضخم لأولئك الذين يشاهدون المسرحيات التي تعرض عن طريق التلفزيون . لقد بين احصاء حديث أن ٦٠٪ من السكان في بولونيا وفي بريطانيا يشاهدون في منازلهم مسرحيات من طراز رفيع ، بينما لا يعدو عدد الذين يحضرون مسرحية من المسرحيات في دور المسارح أكثر من ١٫٥٪ من السكان في العالم كله على أفضل تقدير . وقل مثل هذا في المبدعات الثقافية الأخرى .

٢ ـ واذا هجرنا الجانب الكمي الذي قد لا يشفي تطلعات المحللين في هذا الميدان ، ونظرنا الى الجانب النوعي الكيفي ، ألفينا أيضا أن الغلبة ههنا في كثير من الأحيان للصناعات الثقافية ولوسائل الثقافة الجماهيرية . فلقد بين تحليل السياسات الثقافية في عدد من البلدان أن الجهود الثقافية التي بذلت وتبذل من قبل المؤسسات الرسمية لنقل الرسالة الثقافية في شكلها الرفيع ، لاتلقى ما تستحقه من تجاوب لدى

الجماهير ، بل تلقى الكثير من المقاومة ، ولاسيما لدى القطاعات الشعبية من الجماهير (وهو القطاع الذى تتجه اليه نظريا) فى حين أن هذه القطاعات الشعبية والجماهيرية عامة تتلقى بكثير من الانفتاح الرسالة المتصلة بأنماط الحياة وبالاستهلاك والادب والفن وسوى ذلك ، تلك الرسالة التى تقدمها لها وسائل البث الجماهيرية ، والتى هى فى غالب الأمر رسالة مجلوبة دخيلة .

٣ ـ من الأمور التى غدت معروفة أن المسارح وقاعات الاوبرا والموسيقا تعانى من أزمة أهم جوانبها الأزمة الاقتصادية . ان تكاليفها بوجيز العبارة تفوق دخلها ، والمساعدات الكريمة التى تقدم لها لا تسد هذا العجز غالبا ، ومن هنا تبدو الاستعانة بالصناعات الثقافية أمرا محتوما من أجل معالجة هذه الأزمة : فعن طريق التزاوج بين هذه المسارح والدور وبين التلفزيون يمكن مثلا تحقيق ربح كبير للاولى ، كما يمكن ايصال نتاجها الى أكبر عدد ممكن من المشاهدين .

العجز عن تحقيق اللامركزية

٤ ـ ويتخذ مثل هذا التدبير شأنا خاصا ، اذا ذكرنا أزمة أخرى مرافقة تعانى منها المسارح والدور الموسيقية الفنية ، نعنى العجز عن تحقيق اللامركزية ، أى العجز عن تقديم نتاج رفيع من المسرحيات ومن القطع الغنائية والفلوكلورية والمعارض الفنية وسواها ، الى جماهير المناطق البعيدة عن العاصمة أو عن المدن الكبرى . الأمر الذى يقيم تفاوتا نوعيا كبيرا بين مستوى العطاء المسرحى فى العواصم ، ومستوى العطاء المسرحى الذى يمكن أن تقدمه فرق محلية ، لاسيما أن عدد الفنيين المؤهلين العاملين فى هذا القطاع لا يكاد يكفى لسد حاجاته فى العاصمة ، بله الأرياف والقرى . هنا تهرع الصناعات الثقافية ، ومرة أخرى لتقدم خدماتها ولتأتى بالحل : تعميم النتاج المسرحى والغنائى الفلوكلورى وسواه . وتقديم مستوى واحد منه للقاصى والدانى ، بفضل بثه عن طريق التلفزيون أو سواه من وسائل الصورة المرئية .

٥ ـ والفنانون ـ بعد ذلك بل قبل ذلك ـ العاملون فى شتى ميادين الانتاج الفنى ، يجدون لانفسهم ويجد المجتمع لهم بعد ذيوع الصناعات الثقافية ، مكانة لم تقيض لهم من قبل ، يوم كانت النظرة الى الفنان هى الى حد بعيد النظرة الى مبدع حسبه جزاء وعطاء ان ينشر ابداعه وأن يعرفه الناس ، ويوم كان الناس يرددون قول من قال « أكل العلماء خبز وماء » . وحتى اذا جاوزنا هذه النظرة التى قد تكون مغالية يظل من الصحيح أن الابداع الثقافى ظل ردحا من الزمن وما يزال عملا لايقدر حق قدره ولايمنح قيمته الحقيقية ، شأنه شأن النفط خلال عقود طويلة من هذا القرن (حتى عام ١٩٧٣) كما بين ذلك « جان سرفان شريبر » فى كتابه « التحدى العالمى » . وبفضل الصناعات الثقافية ووسائل الثقافة الجماهيرية أخذ الفنان يحتل مكانته المعنوية وينتزع حقوقه المادية وغدا منتجا يقوم انتاجه كما يقوم أى انتاج ، بل يربو انتاجه عطاء وأجرا على كثير من ضروب الانتاج المادية .

٦ ـ وما دمنا نتحدث عن شهرة الفنان وصيته يوم كانا طعامه وشرابه ، لنذكر أن الصناعات الثقافية قدمت أيضا لتلك الشهرة وهذا الصيت مرتعا جديدا ، مرتعا عالميا ممرعا . فبفضلها أخذت شهرة المبدعين الثقافيين تخترق الحدود .

وغدت سوق المبدع المعنوية والمادية سوقا عالمية . ولاتقدم الصناعات الثقافية بذلك عونا وشأنا للمبدع الثقافى نفسه فقط ، بل تفسح المجال أيضا عن طريقه لانتشار الثقافات القومية الخاصة انتشارا عالميا ، وتتيح لكل أمة أن تشع بثقافتها ، وأن تعقد حوارا دائما مع الثقافات الأخرى .

مخاطر ومزالق :

هذه الظواهر المختلفة التى أتينا على ذكرها أشرنا اليها لا من أجل أن نرفع من شأن الصناعات الثقافية ونبرئها من الآفات والعلل ، بل لعلنا حين عرضنا بعض الأسباب والنتائج التى رافقت ظهور الصناعات الثقافية قد أومأنا ـ دون أن نفصح ـ الى المخاطر الثاوية فى قلب تلك الأسباب والنتائج . فجوانب القوة التى

وصفنا بها الصناعات الثقافية هي في الوقت نفسه مصدر خطرها وخطورتها . انها تبين أننا أمام ظاهرة لاتغالب بيسر ولا يجدي أمامها العمل الحرفي البطيء العتيق للمؤسسات الثقافية التقليدية ولاسيما الرسمية . بل ان كل ماذكرنا من جوانب القدرة التي تملكها الوسائل الثقافية الجماهيرية تشير - من حيث ندرك أو لاندرك - الى ما وراءها من قدرة اقتصادية هائلة تغذيها ، تلتقي في النهاية ، ككل قوة اقتصادية مع مصالح الشركات الكبرى ، ومع اغراض الشركات المتعددة الجنسية ، كما تلتقي مع أغراض بعض الدول الكبرى وسياستها الثقافية ، التي تكون جزءا لا يتجزأ من سياستها العامة .

والحق أن وسائل الثقافة الجماهيرية ، وما وراءها من صناعات ثقافية تخفي وراءها ما تخفي من أهداف اقتصادية وسياسية ، تقع بين قطبي الرحى ، أو هي في منزلة واصلت بين عالمين : أولهما عالم الخلق والابداع الذي تطور وتغير ولم يعد صنيع الفرد أو الأفراد ، بل أصبح نتاجا يسهم فيه الكثيرون ممن يعرفون الميدان ومن لا يعرفونه ، والذي ظل - مع ذلك ورغم ذلك - الصلة الأساسية بين المبدع والمشاهد . وثانيهما عالم النشر الواسع والاستنساخ والتكثير والبث الجماهيري ، الذي يتطور تطورا مذهلا بفضل الوسائل التقنية ، وهو عالم تتولاه وتسوس أمره الشركات والمؤسسات الاقتصادية التي تستطيع بفضله أن تصل الى ملايين الناس . وهذا الزواج السعيد القلق بين الابداع ونشر الابداع ، هو الذي أتاح في كل العصور انبجاس الفن في المجتمع . غير أن العلاقة تطورت تطورا جذريا في العقود الأخيرة ، وأصبحت سيطرة النشر على الابداع سيطرة لا تخلو من مخاطر كبرى ان لم نضبط أمرها ، وأصبح الابداع بسبب ذلك أمام قيود وحدود وسدود ، تهدده حتى في جوهره الذي هو الابداع المتحرر من اختيار المتاجرين به .

ومن هنا لاحاجة الى القول ، ان الصناعات الثقافية ، ليست عملا حياديا ، بل هي محملة في النهاية بايديولوجية معينة ، مادامت مرتبطة بجملة النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي ينتجها ، وما دامت تحمل معها طراز الحياة ، بل النمط الثقافي للبلد الذي ينتجها . حتى ليصح هنا أن نعيد ما قاله بعض المربين عن نظام التربية حين رأوا فيه مجرد أداة للحفاظ على قيم المجتمع الذي خلقه ، وبالتالي لاعادة توليد النظام الاجتماعي نفسه .

وهكذا يصح أن نقول ان الثقافة التي تنقلها أدوات الثقافة الجماهيرية في الغرب خاصة ، ثقافة تهدف عن قصد أو غير قصد الى اعادة توليد النمط الثقافي (بالمعنى الواسع) للبلدان التي انتجتها ، أو الى توليده من جديد في البلدان الأخرى .

سيطرة النموذج الاميركي :

ولسنا هنا في معرض الحديث عن الغربة الثقافية والاستلاب الثقافي ، وحسبنا في هذا المقام أن نشير عابرين الى ما شكت منه البلدان المتقدمة نفسها من سيطرة النموذج الثقافي الأميركي . حسبنا أن نرد من أحبَّ الزيادة الى ذلك الكتاب الخطير الذي صدر منذ عامين عن « غزو العقول » وفيه يشير صاحبه ايف أود



الى الطاقة التصديرية للولايات المتحدة فى ميدان الثقافة ، ويبين كيف يصدر هذا البلد ذاته وكيف يبغى « أمركة العالم » وكيف يرتبط لديه فى هذا المجال السلطان الثقافى والسلطان السياسى . بل يذهب الى أبعد من هذا حين يشير الى الدور الثقافى لجهاز المخابرات المركزية الأميركية ، والى ارتباط هذا الدور السياسى فى العالم . كما أنه يشير فيما يشير الى مقاومة الولايات المتحدة لأى جهد دولي في سبيل اقامة نظام عالمى ثقافى واعلامى جديد ، ابقاء على سيطرتها الوحيدة الواحدة . على أننا حتى اذا تناسينا هذا الدور السياسى للغزو الثقافى الأميركى لابد مدركون ما في هذا الدور من تنميط واحد للثقافة العالمية ، ومن تشكيل لها على غرار النموذج الأميركي وحده ، ومن تسطيح للثقافات كما قيل . بحيث لاتكون هنالك ثقافات متعددة تتحاور وتتفاعل ، بل تكون ثقافة واحدة وحيدة تعدو نحوها سائر الشعوب .

أين السبيل؟

هذا كله قليل من كثير فى موضوع لاتجزىء فيه هذه العجالة ولاهو قصدنا هنا . والقصد عندنا أن نرى وراء هذا كله وأمام تحدى الصناعات الثقافية وماخلفها ، ما العمل والى أين السبيل ؟

لقد كان أحد أغراض هذا البحث أن نبين أن سفينة الصناعات الثقافية قد أبحرت ، وأنها رحلت وفتحت وغزت . والتقنية الثقافية شأن التقنية كلها لا تقاوم اذن برفضها وانكارها . ولاسيما أن لها دوما جوانبها الايجابية الكبرى ، فضلا عن أنها أغذت فى السير ، وأوغلت فى اعماق حياة المجتمعات فى كل مصر ، وموقفنا منها هو موقفنا من التقنية جملة : أن نمتلكها وأن نضبطها ضبطا نستقيه من ثقافتنا وقيمنا ومشروعنا الحضارى الموعود .

وهذا المطلب الكبير يستلزم فى نظرنا أمورا عدة أهمها :

١ ـ لابد أن نشارك فى الصناعات الثقافية ، أي لابد أن يكون فى صلب سياستنا التربوية أن نصنع براعجنا الثقافية المتميزة فى شتى ميادين الثقافة من أدب وفكر وفن ، وأن ننتجها ونبثها بوسائل البث الجماهيرية الشائعة (من تلفزيون وأفلام وأشرطة تسجيل وحاسبات الكترونية وكتاب وسوى ذلك) وأن تكون لنا مؤسساتنا الاقتصادية التى تيسر هذا الانتاج ، والبث على أكبر نطاق ممكن محليا واقليميا وعالميا .

٢ ـ غير أن هذه المهمة ـ مهمة انشاء صناعات ثقافية خاصة بنا ـ جهد ثقافى واقتصادى لايقوى عليه أى بلد عربى منفردا ، ولابد فيه من اجتماع القدرات والطاقات العربية البشرية والمالية . وهنا أيضا نلمس جانبا من جوانب التكامل والتكافل العربى الذى هو سبيلنا اللازب المحتوم لاى تقدم حضارى ننشده .

٣ ـ هذا العمل العربى المشترك من أجل انشاء صناعات ثقافية تحمل طابع الثقافة العربية ومرتجياتها ، يحتاج بدوره الى اتفاق الرأى حول معالم ومقومات المشروع الثقافى والحضارى العربى المنشود . وفى رأينا أن البلدان العربية تشهد مخاضا فكريا يشير الى أن بواكير مثل هذا المشروع الحضارى قد آذنت بالظهور .

٤ ـ من المطالب الرئيسية ، عند بناء هذه الصناعات الثقافية ، ان تكون أداة لتوليد حرية المبدع والمنتج العربى ، لاطلاق المجال للابداع من أجل أن يعبر عن أصالة الوجود العربى وسماته الذاتية . ويعنى هذا الا تخضع هذه الصناعات الثقافية لسيطرة الحكومات ، بل ان تكون مؤسسات ثقافية مستقلة ، لها جهازها المستقل المتخصص والمعبر عن تطلعات الثقافة العربية . وهذا لايعنى الا تخضع هذه المؤسسات الثقافية المستقلة للاتجاهات الكبرى للحكومات ، بل يعنى أن تترك لها الحرية فى ترجمة تلك التوجهات ترجمة عملية ثقافية مبدعة .

٥ ـ وكخطوات أولى على الدرب يمكن أن يقوم تعاون بين بعض المؤسسات الثقافية التقليدية ، حكومية كانت أو شعبية ، وبين وسائل الثقافة الجماهيرية وعلى رأسها التلفزيون والمذياع والسينما والكتاب ، من أجل إغناء الجانبين ، نعنى المؤسسات الثقافية التقليدية ووسائل الثقافة الجماهيرية ، ومن أجل التفاعل بينهما تفاعلا خلاقا ومجديا ، يؤدى الى حل أزمات المؤسسات الثقافية التقليدية ، كما سبق

أن أشرنا ، والى تصحيح مسيرة وسائل الثقافة الجماهيرية .

ومن الأمثلة المفيدة التي قامت من أجل التعاون بين الدولة وبين المؤسسات المعنية بالصناعات الثقافية ، ما حدث في فرنسا خلال شهر تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٤ ، حين أصدر وزير الثقافة الفرنسي قرارا يقضي بانشاء معهد تمويل السينما والصناعات الثقافية ، وهو قرار جدير بالدراسة والتمحيص .

وبعد . . لايتسع المجال للحديث عن سائر أبعاد هذه المسألة وهي كثيرة . وحسبنا أننا حاولنا الاشارة اشارة برقية خاطفة الى مسألة كثيرا ما تلوكها الألسن ، وقلما تتجاوز اللسان الى الاذهان والاعيان . . مسألة الصناعات الثقافية وموقف البلاد العربية تجاهها .

وفي ظننا أن هذه المسألة جديرة بأن يتريث عندها الباحثون العرب وان يولوها شأنا خاصا . ولاشك أن القائمين على وضع الاستراتيجية الثقافة للبلاد العربية (الكويت والمنظمة العربية للتربية الثقافية والعلوم) معنيون بهذا الأمر عناية خاصة ، لعل هذه الاستراتيجية تقدم لنا بعض الرؤى الجديدة وترسم بعض الخطوات الأولى في هذا المجال . ومن البوادر الجيدة ما تم أخيرا من تعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واليونسكو والصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية من أجل القيام بمشروع حول الصناعات التربوية . . غير أن ماهو أهم وأبعد أثرا وأشد الحاحا أن يقوم مشروع مماثل من أجل انتاج الصناعات الثقافية .

المشروع الحضاري العربي

ويلحق في حديثنا عن الصناعات الثقافية وضرورة وعينا لها كيما نضعها في الاطار السليم من حياتنا ، يصدر عن اقتناع أشمل لدينا ، قوامه أن الحضارة الجديدة التي نطمح الى بنائها لا يمكن أن يتم وضع مشروعها إلا اذا كان أحد العناصر الأساسية في العمل له وفي بنائه أن نعي عصرنا وندرك التغيرات الكبرى التي تحدث فيه ، وأن نجري بعد ذلك التفاعل العضوي اللازم بين وعي هذا العصر من جهة ، وبين وعي ذاتنا وتراثنا وواقعنا من جهة ثانية ، بالاضافة الى وعي مستقبلنا ومستقبل العالم .

ولانظلم أنفسنا إن قلنا اننا في كثير من الميادين - ومن بينها ميدان الثقافة - مانزال نعمل كأن شيئا لم يكن ، جاهلين أو متجاهلين الحركة المائجة المائجة للعصر وللعلم والتقنية ، ضامنين أن الأصالة هي في مجرد العودة الى ذاتنا ، والتقوقع حولها غير آمنين ولامطمئنين ، بدلا من أن نفهم الأصالة مركبا كيماويا جديدا يخرج من لقاء الذات مع السوي،من لقاء « الأنا » تراثا وواقعا مع العصر بتغيراته المذهلة وبمكاسبه ومثالبه . أجل . . الأصالة عندنا هي في أصالة عملية البناء الجديد ، أي أن نصنع بناءنا بأيدينا وإن تكن مواد هذا البناء متعددة المظان .

رسالة العرب الحضارية

ونرى لزاما علينا في خاتمة هذه الكلمة أن نذكر بأهمية هذا الجهد الشامل الذي يتوجب القيام به ، جهد التأليف والتركيب بين ذاتنا وبين العصر ، وأن نذكر خاصة بأهمية هذا الجهد في ميدان الصناعات الثقافية . فالرسالة الثقافية المتميزة القومية والانسانية معا ، التي نقوى على بثها بفضل مثل هذه الصناعات الثقافية الذاتية المبتكرة ، هي خير لغة نخاطب بها العالم ، وخير ما يحمل لنا في حلبة السياسة الدولية نفسها دورا وشأنا . فالرسالة الثقافية بطبعها محملة بالقدرة على التسلل الى شغاف النفوس ، وقادرة على تحقيق انفتاح تلك النفوس على شؤون الأمة العربية وشجونها عن طريق انفتاحها على ثقافتها وحضارتها . والصناعات الثقافية تمدنا بطاقة هائلة في هذا الميدان ان نحن احسنا الافادة منها . عند ذلك يحمل الالكترون ويحمل الأثير عبر المساحات الشاسعة ووسط الملايين من الناس ، ما نحتاج الى مئات الأعوام ان نحن نقلناه بوسائلنا الحرفية التقليدية . أو ليس هذا من صلب عملنا لحضارتنا وتراثنا ؟ أو ليس السعي التقني والسعي لاستخدام الصناعة والآلة والتقنيات الحديثة من أجل تجديد دورنا الحضاري العالمي ، سعيا ينبغي أن نعتبره جزءا اساسيا من احترام حضارتنا وتراثنا ، فضلا عن بناء مستقبلنا الحضاري المرجو ؟ □

شعر : مصطفى أحمد النجار





بين الإحياء والإستلهام !

بقلم : الدكتور فهمي جدعان

هل هناك في التراث ثوابت حية نستطيع بعثها متى شئنا ، أم أن ما يمكننا فعله هو إحياءات زمنية لهذا العصر أو ذاك ؟ ان أجزاء من التراث تسقط على جنبات التاريخ وان ما يبقى منه هو ذاك الجزء الذي يؤدي غرضاً أو يعبر عن حاجة . ألا يجدر بنا الالتفات الى هذه الحقائق ونحن نبحث في وظيفة التراث ؟

يقتضي النظر في وظيفة التراث ، الالماع بادئ ذي بدء ، الى زاويتين للنظر ، هما طرفان متباعدان مترافعان : الأولى تعبر عن سلفية مطلقة ، والثانية تعبر عن ليبرالية لا تعرف حداً . الأولى تريد أن تقول إن حضارة متكاملة قد تشكلت وآتت ثمارها ، هي الحضارة العربية الاسلامية . وان هذه الحضارة ، بمضمونها التراثي ، ليست مجرد إنجازات مادية عارضة ـ على الرغم مما فيها من عوارض ـ وإنما هي في صميمها « روح » ونمط في التفكير والفعل والعيش ، قد أثبتت ، بلا نزاع ، جدارتها ، وأنها خير حضارة أبدعها الإنسان .

والثانية تذهب إلى القول إن طاقات الإنسان الخلاقة قد عطلت في التراث السالف وفي « التقليد » ، وأن الإنسان لم ينته أمره عند الحدود التي انتهى إليها في العصور التي مضت والحقب التي درست ، وأن من الضروري ، ومن الممكن ، تفجير هذه الطاقات بعملية تجاوز كامل للماضي ، وبناء جديد للإنسان ، بتحريره من قيود القديم والتقليد ، وإطلاق قدراته الكامنة المبدعة كي يتسنى له تحقيق كل ما ينتظر منه مما لم يخطر في بال القدماء ولا في بال أحد .

ـ ١) إحياء التراث :

وإحياء التراث هو في الحقيقة صورة من صور تجسيد الفهم السلفي للتراث . وهو يعني أن معرفتنا

بوجودنا التاريخي ـ الثقافي هي معرفة غير مكتملة ، وأن بعث وجوه التراث المختلفة ، من مخطوطات ووثائق ونصوص ومبدعات فنية أو صنعية أو أثرية أو أدبية أو علمية ، من شأنه أن يوضح ويجلو صورتنا التاريخية ، وأن يساعدنا على تجسيدها في حياتنا الراهنة . وذلك يكون بـ « تثقف » هذا التراث وتتميم وجودنا به ، أي بتحويله إلى جوهر ثقافتنا وبنيتها الصميمية . بيد أن عملية التثقف هذه ، على الرغم من جهود الإحياء العظيمة التي بذلت ، قد ظلت فقيرة للغاية . فالأكاديميون المحترفون من قراء النصوص ومحققيها ينكبّون على إخراج النصوص والوثائق بلا كلل ، بيد أن الذين يمكن أن يفيدوا مما يخرج لا يدرون ماذا يختارون وماذا يدعون . لأن الأكاديميين لا يبينون لهم السبيل إلى ذلك . فهم يتعاملون مع مادة التراث على المستوى التقني الخالص . ويبدو أنهم لا يعتبرون أن لهم مهمة أخرى غير إخراج الوثائق على نحو يسلم من سهام النقد الجارحة التي يمكن أن يوجهها إلى عملهم النقاد الهواة أو المحترفون . ولعل لهذا الوضع سبباً آخر وجيهاً يعطيهم بعض الحق ويعذرهم ، وهو أنهم يشتغلون في « العلم » لا في « الثقافة » . وفي كل الأحوال تكون النتيجة الماثلة ، الغياب الصريح لحالة التثقيف العام ، و« تعطيل التراث » . ومعنى ذلك أن عملية « الأحياء » ليست عملية إحياء ، وأن الغاية التي من أجلها يراد بعث التراث بعيدة عن التحقق . ومع ذلك فان وسائل الاتصال الحديثة هي من التنوع والتعدد بحيث أننا نستطيع لو بذلنا الجهود المناسبة أن نوصل محتوى التراث الذي نبعثه إلى دوائر أوسع بكثير من دوائر الأكاديميين وتلامذتهم التي تكاد تكون مغلقة .

معيار إحياء التراث

وعوداً الى أصل القضية لا بد من القول إن المقصود ليس أبداً النزول عند رغبة عشاق التراث، واخراج جميع الوثائق والنصوص إلى دائرة الضوء والنور الساطع . لا شك أن حفظها جميعها من الضياع والتشتت هو أمر لا يجوز التخاذل عنه . لكن عملية الإحياء الحقيقية ، أي نقل التراث إلى حالة « التثقف » العام ، ينبغي أن يكون لها شأن آخر . وهذا الشأن يكمن على وجه التحديد في القول إن معيار إحياء التراث الرئيسي هو استكمال العلم بالتراث ، وانه لا « يُبعث » إلا ما كان يضيف إلى علمنا بالتراث علماً جديداً ، وأنه لا « يبعث » إلا ما كان مفيداً ذا جدوى ، وأن ما يبعث لا يبعث إلا من أجل أن يتحول إلى حالة تثقيف عام . وبعد ذلك كله ليس لنا أن نتوهم إلا ما هو واقعي ، أي أن التراث « تاريخي » يعرفنا بصورة صانعيه وأحوالهم قبل أن يعرفنا بأي شيء آخر . ومن يظن أن التراث سيقدم له مفتاح جميع الأبواب المغلقة هو بكل تأكيد إنسان حالم . لكن من المؤكد أنه سيكون هناك « تراث حي » يتبلور بعملية التثقف ويمكن إدماجه في منظومة الحاضر وعيشه على نحو غير قسريّ . وهذا يلزم بإعادة تأكيد ما سبق أن تقرر وهو أنه لا مفر من تحويل التراث الذي يعكف الأكاديميون والمختصون على اخراجه الى « ثقافة » معاشة ، أي أنه لا بد من إخراج التراث من « حلقات الصفوة » والانتقال إلى المرحلة الأهم ، مرحلة التثقف التراثي العام .

٢) استلهام التــــراث :

لا شك أن أقوى الأطروحات التراثية المتداولة الآن هي تلك التي يذهب أصحابها إلى أن الموقف من التراث ينبغي أن يؤسس على الجمع بين ما يسمى من جهة أولى « التراث » ، وبين ما يسمى من جهة ثانية « المعاصرة » . وهذا يعني أن نستلهم من التراث مواقف أو أفكاراً أو قيماً ندمجها في أحوالنا الراهنة التي أسهم العالم الحديث في تشكيلها إسهاماً حاسماً . وذلك يكون بأن ننتقي من التراث جملة المواقف والمفاهيم التي تصلح لأن تسهم في تدبير حياتنا وأمورنا ، ونجعلها نمطاً سلوكياً أو ذهنياً لنا في تفكرنا وفي فعلنا . فنحن ، على سبيل المثال ، نستلهم ، لحياتنا ، من التراث ، موقف العقلانية الذي ساد مع المعتزلة ، والمتفلسفة المسلمين ، أو مفهوم العدالة التي جسدها بعض الخلفاء ، أو جملة الفضائل الخلقية التي صاغها فلاسفة الأخلاق وبعض المتصوفة ، أو قيمة الحرية التي تعلقت بها بعض الحركات الثائرة على استبداد بعض العصور والأنظمة ، أو قيمة الديمقراطية التي تمثلت في (الشورى) الإسلامية ، أو المساواة التي أقرها الدين وانعكستِ في سياسة هذا الحاكم أو ذاك . . الخ .

وبحسب منطق « الاستلهام » نحن حين ندعو إلى قيم العقل والثورة والديموقراطية والعدالة فإننا لا نفعل شيئاً أكثر من بعث قيم تراثية خالدة . وهذا ،

صورياً ، مصطنعاً . بيد أنه في حقيقة الأمر ليس كذلك . فالواقع أن عملية « الاستلهام » ليست إلا عملية « تسويغ » لقيم الحاضر ، بإسقاط غطاء تراثي عليها . والذي يحدث عملياً أن الحاضر هو الذي يفرض قيمه ويلزم بها .

صحيح أننا نبدع أحياناً القيم ، لكن هذه القيم تتداعى إن لم تجد استجابة على أرض الواقع ، أو أنها تظل تدور في قالب من المثالية الجوفاء . والواقع أننا مثلاً لا نؤمن بالحرية لأن (الخوارج) آمنوا بها وجسدوها ، وإنما لأن نظام الاستبداد الذي نرزح تحت وطأته على نحو مباشر هو الذي يولد فينا الحاجة إلى الحرية والعمل من أجل تحقيقها . ونحن لا نؤمن بالعقلانية لأن (المعتزلة وابن رشد) كانوا عقلانيين أو لأن العقلانية شيء جميل ، ولكن لأن أوضاع الفوضى والوهم والخرافة والعقم التي تلفنا على نحو مباشر تفرض علينا ، للخلاص ، نمطاً عقلانياً في الإدراك والسلوك . ونحن لا نؤمن بالمساواة أو بالعدل أو بأية قيمة أخرى مشابهة إلا لأن معطيات الوجود المباشرة ، تفرض ذلك وتلزم به . أما حضور هذه القيم في التاريخ فلا يعني شيئاً لحياتنا « هنا .. الآن » ، دليل ذلك أننا لا نلقي بالاً إلى القيم والمفاهيم التي نجمت في التراث مما ليس له رجع في حياتنا أو صدى مباشر مشخص . وفضلاً عن ذلك فإن ظهور هذه القيم نفسها في التاريخ هو في حد ذاته « تاريخي » ، أي أنه مرهون بشروط يمكن للباحث المدقق الكشف عنها وبيان حدودها .

المعتزلة والعقلانية

وعلى سبيل المثال : ما الذي حدا بالمعتزلة لأن يكونوا عقلانيين ؟ اننا بكل تأكيد لانستطيع أن نزعم أن عقلانيتهم كانت مجرد « اختيار » رائع مطلق من أي قيد ، إذ الحقيقة أن عقلانيتهم لم تكن إلا نتيجة لتعاظم النظرة الغنوصية في ق ٢ هـ ، ولأن الدفاع عن الإسلام بالأدلة النقلية لم يعد أمراً ممكناً ، ولأن الجدل مع المخالفين بات يفرض أرضاً مشتركة يجري عليها جدل متكافىء - ولم تكن تلك الأرض إلا أرض العقل . فإذن لا العقل كان مطلوباً لذاته بإطلاق ، ولا الكشف كان مطلوباً لذاته بإطلاق ، والنظر نفسه يصدق في أية قيمة رئيسة أخرى . فالعدل لا يرقى الى مستوى القيمة المطلوبة إلا اذا كان الظلم هو السائد . والمساواة لاترقى إلى مستوى القيمة المطلوبة إلا إذا كان التفاوت الاجتماعي الجائر هو السيد . والحرية لا ترقى إلى مستوى القيمة المطلوبة إلا إذا كان الاستبداد هو الجاثم .. وهكذا . ومعنى ذلك كله أن عملية الاستلهام هي أصلاً وابتداء عملية صورية مصطنعة ، أو تسويغية نلجأ إليها ذرّاً للرماد في العيون ، وإيهاماً للمتعصبين من التراثيين بأننا نوقر التراث ونأخذ منه ، أي « نستلهمه » ، بينما نحن في الحقيقة نتبنى ما تفرض أوضاعنا التاريخية المباشرة الأخذ به ، ثم نقوم بعد ذلك بعملية التسويغ التي نسميها الاستلهام التراثي .

٣) إعادة قراءة التراث :

وهذا النهج هو من غير شك من أكبر دعاوي العصر الثقافية . فنحن ، لكي نجعل التراث حيّاً راهناً أو لكي نجعله يستجيب لحاجات ذات طابع عقلي أو عملي ملح ، نقوم بإعادة قراءته بحسب هذا المنهج أو ذاك ، مما نختار من مناهج راهنة معاصرة ، فيبدو التراث ، مع ذلك ، أو بذلك ، معايشاً لنا ولأحوالنا ، ويبدو جزءاً طبيعياً من الحياة الحديثة . وهذا التوجه شائع عند المثقفين الذين مارسوا خبرة ما بمناهج العلوم الإنسانية الحديثة وبالفلسفات المعاصرة الغربية . والمبدأ هنا هو اختيار منهج محدد واطار مرجعي محدد ثم قراءة التراث ، أي فهمه وتفسيره وتوجيهه ، بحسب هذا المنهج أو هذا الاطار المرجعي . وقد خضع التراث العربي الاسلامي ، مثلما خضع غيره ، لهذا النمط من المعالجة . فكان من ذلك قراءة ، « لسانية » ، و « بنيوية » ، و « عقلانية » ، و « مادية » ، ويصعب القول ان المستقبل لن يحمل لنا قراءات أخرى . وبطبيعة الحال فإن كل قراءة من هذه القراءات هي قراءة منفردة تخص نفسها بالكلمة الأخيرة الفاصلة في فهم التراث . وكل قراءة منها توجه التراث توجيهاً « قبلياً » واضحاً ، وتريد أن توظف التراث لقضايا العصر وهمومه وأغراضه . فهي اذن ، واجمالاً ، ليست مجرد قراءة للفهم فحسب ، وانما للفعل والتأثير أيضاً ، لا بل أن بعضها لا ينشد التغيير فحسب ، وانما « التثوير » أيضا . وهكذا نجد من يريد أن ينطلق من التراث الى الثورة أو « من العقيدة الى

الثورة » أو ما أشبه ذلك من مواقف « تؤدلج »[1] التراث ، أي تلوي عنقه وتعريه تماماً من شروطه الموضوعية ، ومن ظروفة « المعرفية » والثقافية ـ التاريخية الخاصة به . والحقيقة أن هذه « الأدلجة » لم تكن تعني في نهاية التحليل إلا شيئاً واحداً ، هو أن الحاضر عاجز ، بإمكاناته وقدراته الكامنة والصريحة ، عن إحداث التغيير المنشود ، وان التراث الذى يشد الناس اليه هو الذى يملك القوة السحرية على التغيير ، بيد انه فات « مثوّرى » التراث الطفيليين أن الشروط الاجتماعية ـ السياسية المحافظة أو الرجعية نفسها هي في ذاتها التي تولد نقيضها ، وأن الثورة لن تحدث أبداً إن لم تدع الظروف المشخصة المباشرة إلى قيامها . فليس مطلوبا من التراث أن يحدث الثورة ، ولا هو أصلاً قائم على أساس أنه « مشروع ثورة » أو أنه يمكن أن يتحول الى مشروع من هذا النوع . ذلك أنه محيط واسع تتلاطم فيه الأمواج ، يقبل بعض وجوهه التوجه في مسار الثورة ، مثلما يقبل بعضها الآخر التوجه في المسار المعاكس تماماً . والقراءة التي تستطيع أن تكشف لنا عن الشروط الاجتماعية الثقافية « المعرفية » الخاصة بالتراث هي القراءة التي يمكن أن تحمل إلينا فائدة حقيقية .

وإذا كانت إعادة قراءة التراث أمراً لا طائل وراءه ، فإن إعادة قراءة الحقيقة ـ الأصل ، أي الوحي ، هي أمر لا مفر منه ، لأن الوحي يتوجه إلى الإنسان في كل زمان ، كما أن الإنسان ، في كل زمان ومكان ، يتوجه بدوره إلى الوحي ويستنطقه ليحياه ويجسده ، وينجز « تراثا » لزمنه مفعماً بمضامين العصر ، ومتأثراً بمتطلباته وتوجهاته . وهذا الوضع يقتضي « قراءة » للوحي ليست هي بالضرورة قراءة العصور الأخرى له .

فاذا كان الأمر على هذا النحو ، أي اذا كانت محاولات توظيف التراث ، بإحيائه أو استلهامه أو إعادة قراءته ، تحمل من القصور والمحاذير والصعوبات ما تحمل ، فماذا تكون اذن وظيفة التراث ، إن كانت له وظيفة ؟

وظائف التراث

الحق أننا ، عند النظر ، نستطيع أن نتبين بوضوح ثلاث وظائف أو أربعاً للتراث .

الأولى نفسية : فالتراث هو تراث أمة . وهذه الأمة ذات دور مرموق ومكانة بارزة في التاريخ ، تاريخها ارتقى بها إلى قمم من المجد عالية ، لكنه ما لبث أن انتهى إلى فاجعة ، أثرها قائم مستمر ، ولا بد من آليات دفاع نفسية لمجابهته والنضال في وجهه . والتسلح بإرث حضاري عريق ضخم من شأنه أن يشكل سنداً معنوياً لإرادة مهزومة مغلوبة ، وأن يحجّم عقدة النقص التي خلفها في النفوس فصل التعاظم الأوروبي الحديث .

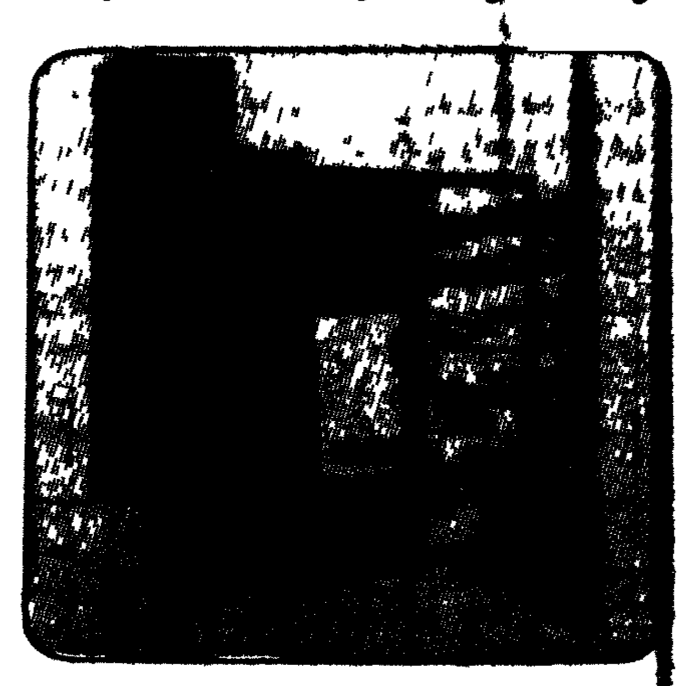
ويتعزز هذا التعويض بإدراك واقعة مهمة ، هي أن الحضارة الغربية الغالبة ذات مرتكزات عربية إسلامية ، يساعد الكشف عنها والإقرار بها على التحرر من عقدة المغلوب ، وعلى الاندفاع في تيار الحياة من جديد ، وعقد العزم على إنجاز أفعال تحضيرية جديدة ، وعلى احتلال مكانة فاعلة على الساحة الكونية . ولقد أدرك مفكرو عصر النهضة العرب هذا الوجه من المشكلة ، فألحوا عليه إلحاحاً شديداً ، كما أن الخطاب العربي المعاصر حافل به على نحو بارز . وعند هذا الحد من القضية تتخذ الوظيفة النفسية للتراث بعداً قومياً يتمثل في حافز التحرر من ذل الهزيمة القومية التاريخية ، والعمل من أجل تجاوز تحديات العصر القومية ، والاندفاع في درب الحياة من جديد . وبهذا المعنى يمكن الكلام على وظيفة قومية للتراث .

الثانية جمالية : فليس بالأمر الجديد القول أن حقولاً واسعة من التراث الأدبي والفني والثقافي والعلمي تتضمن عناصر جمالية قوية لم تفقد مع مرور الزمن طلاوتها وسحرها وروعتها ، وأننا نستطيع اليوم ، مثلما كنا بالأمس ، أن نتذوق معلقات الجاهليين ونعجب بشعر « عمر بن أبي ربيعة والبحتري وأبي تمام والمتنبي وابن الرومي والمعري وابن الفارض وابن زيدون » ، مثلما نعجب بأدب « الجاحظ والتوحيدي وابن المقفع وابن قتيبة

(١) هذا تعريف طريف لكلمة « ايديولوجية » الأجنبية ، وهي تعني : علم البحوث التصورية ، أو مجموع [illegible] والخلفيات التي تشكل برنامجا سياسيا واجتماعيا معينا يصح أن تسمى في مجموعها مذهبا . « العربي » .

وغيرهم » . ونحن نقرأ لهؤلاء جميعاً وغيرهم فنستمتع ونفيد، تماماً مثلما نستمتع ونفيد لقراءة أي أديب أو شاعر معاصر مبدع ، عربي أو غير عربي . وليس ثمة شك في أن الحساسية الجمالية التي يثيرها الأدب بالذات تعتبر من أرسخ مقومات الوحدة النفسية الانسانية ، وقد يمكن القول ان أعمق التحام بالتراث ، وأفضل مدخل اليه ، يمكن أن يتم بالأدب ، بمعناه الواسع . ويدخل في هذا الباب المصنوعات الفنية والموسيقا والأثريات . فانها فضلاً عما تنطوي عليه من عنصر الامتاع والفائدة تساعد على تشكيل تجانس ذهني وروحي انساني يمد جذوره في الحساسية الجمالية نفسها . وهي ، بصفتها هذه ، تعكس الجانب الخالد من التراث .

الثالثة عملية ، وهي ما أسميه بـ (الجدوى) . فمن الثابت أن التراث يشتمل على عناصر ذات جدوى ، أي عناصر يمكن استخدامها في الزمن الحاضر . وهذه العناصر منبثة في جل أرجاء التراث : في علوم العقيدة ، وفي فقه المعاملات ، وفي العلوم النظرية والعملية . ومن بين جميع قطاعات التراث يبدو قطاع العلوم التطبيقية أكثرها تأثراً اذ أن التقدم العلمي الحديث قد تخطى الدرجة التي نجدها لهذه العلوم في التراث . أما في قضايا العقيدة ـ أي علوم العقيدة ، لا الوحي نفسه ـ فانه ما يزال بامكاننا الرجوع الى كتب علم الكلام واستخدام عناصر منها ، قليلة بغير شك لكنها قد تكون مهمة . وفي مؤلفات أصول الفقه ومصنفات الفقه اجتهادات



وأحكام يمكن تبينها . وفي كتب (الخراج) و (الأحكام السلطانية) ـ على قصر باعها اذا ما قورنت بعلوم الاقتصاد والسياسة الحديثة ـ عناصر يفيد الالتفات اليها ويمكن تجريب استخدامها . . وهكذا ومع أننا لا نستطيع أن نعول كثيراً على مصنفات القدماء في الأمور التي تهم قضايا عصرنا النوعية ، الا أنه يمكن الاستئناس بآراء القدماء في القضية نفسها ويمكن « استخدام » مواقف أو حلول أو أحكام محددة واضحة بشأن قضية مطروحة نبحث لها عن حكم أو عن حل . والقضية هنا هي على وجه التحديد قضية « استخدام » لا « استلهام » أو شيء آخر سواه . وبهذا الاعتبار لا بد من القول ان الاطلاع على التراث أمر مفيد في اغناء المصادر التي نمتح منها من أجل معالجة قضايانا الحديثة أو الراهنة .

ما يبقى من التراث

فيتقرر على هذا النحو أن التراث ليس مما يصح التهاون في أمره أو التقليل من شأنه، وأن الدور الذي يؤديه أو يمكن أن يؤديه في حياة الأفراد والأمة جد خطير . فهو ليس دوراً هامشياً ، وانما هو دور مركزي يدخل في المركب الحي الذي يشكل الأفراد والأمم نفسياً واجتماعياً وقومياً .

بيد أنه ليس كل التراث يدخل في هذا المركب . اذ أن أجزاء منه تسقط على جنبات التاريخ . والذي « يتبقى » منه هو ذاك الجزء الذي يؤدي غرضاً ، أو يعبر عن حاجة . لكن ما تمس اليه الحاجة ليس هو الشيء عينه في جميع الأزمنة والظروف والأمكنة . لذا كان الكلام على « ثوابت » في التراث حية على الدوام أو خالدة ، أمراً عسير التحقيق . وما نستطيع أن نتكلم عليه ، بثقة مؤكدة ، هو « إحياءات » زمنية لهذا العنصر أو ذاك من التراث . وهذه الاحياءات المجددة مرهونة بالأوضاع والظروف المتغيرة . وما « يتبقى » منه في النهاية يضاف أو يندمج في الجديد الذي يتم انجازه ويستمر معه ، لأن الحقيقة هي أن صنع التراث لا يتوقف . فنحن على الدوام ، وفي كل العصور نصنع عناصر تراثية جديدة ونورثها لمن يأتي من بعدنا . وموقفنا الطبيعي هو أننا في الوقت الذي نتلقى تراثاً فاننا نصنع تراثاً آخر جديداً ، يغني التراث الذي تلقيناه أو ورثناه . بحيث يصح القول ان مهمتنا لا تنحصر فقط في تلقي التراث وتمثله ، وانما أيضاً ، وربما بقدر أكبر ، في « ابداع التراث » . □



بقلم : فاروق خورشيد

اذا كانت ميزة الفن الشعبي أنه يخاطب الغالبية العظمى من الطبقات الشعبية فان بقاءه رهن بمواكبة التطور الذي يطرأ على هذه الطبقات . فالشعب هو الشعب لكن الظروف غير الظروف . فهل يعني ذلك اندثار الفن الشعبي ؟ رسالة القاهرة تجيب بالنفي عبر رصدها لأشكال جديدة من الفن الشعبي أفرزتها الحياة الجديدة والتطور المستمر .

ظاهرة جديدة مهمة تملأ حياة القاهرة من مدة طويلة ، وتبرز تماما في حياتها اليوم . . فأنت لم تعد تسمع الراديو في المقاهي أو في المحلات العامة ، أو في دكاكين الحرفيين ، أو في عربات التاكسي أو الاتوبيس . . وإنما أنت تسمع بصورة دائمة وفي كل مكان . . « الكاسيت » . .

غدا « الكاسيت » الآن هو الصوت الأعلى في جو القاهرة ، يطغى على صوت الراديو ويطغى على برامج التليفزيون ، بل ربما يطغى أيضا على « الفيديو » ـ الوحش الجديد المخيف القادم إلى حياتنا أيضا . .

والظاهرة الفريدة ليست في الكاسيت نفسه ، فهذا أمر قديم تعودنا عليه ، ولكن الظاهرة الفريدة تتمثل في اللون الذي يسود ما ينشره الكاسيت من عطاء فني . . فنحن لسنا أمام تسجيلات لكبار المطربين والمطربات ، أو أصحاب الفكاهة والمنولوج ، أو حتى المسرحيات الناجحة أو فصول منها . . وقد اجتاحت هذه كلها حياتنا فترة عن طريق الكاسيت . . كما أننا لسنا أمام الأغنيات العبثية اللغة والمعنى واللحن والأداء التي تمثلت في مجموعة من المغنين ملئوا ملاهي القاهرة وطغوا على الأفلام والمسلسلات التليفزيونية فترة طويلة ، ومازال أمرهم قائما حتى اليوم الى حد كبير . .

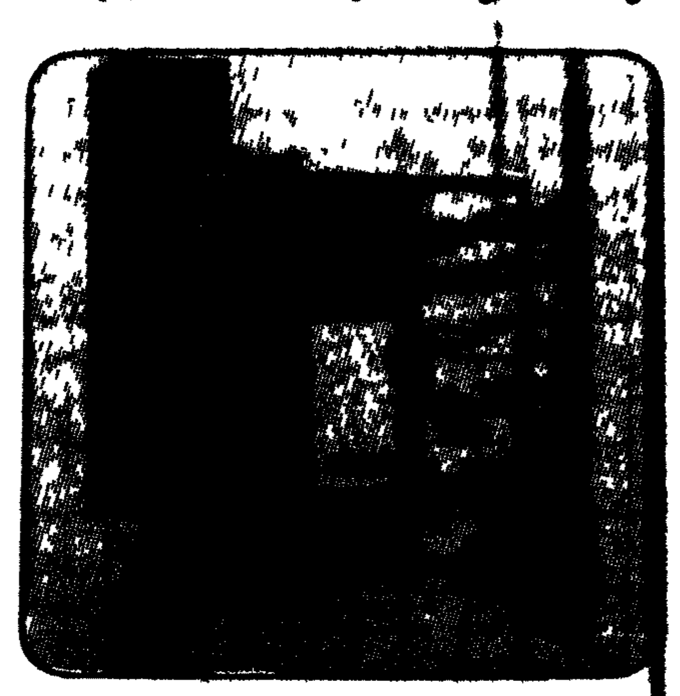
لسنا أمام هذا أو ذاك ، بل نحن أمام شيء جديد قديم . . أما أنه جديد فلأنه شيء وافد على مجتمع القاهرة ولم يعرفه من قبل إلا في أطر محدودة جدا ومن خلال مناسبات الموالد ، وشوادر حي الحسين في رمضان . . وأما أنه قديم فلأنه شيء قديم قدم السامر في ريف مصر ، حيث كان المغني الشعبي يحيي الليالي الطويلة بغناء وأداء وتمثيل قصة (يس وبهية) و (حسن ونعيمة) و (شفيقة ومتولي) و (أدهم الشرقاوي) و (الفتى مهران) وغيرها من القصص الغنائية الشعبية

ولكننا لسنا هنا أمام سامر الريف ، وإنما نحن أمام كاسيت ينتشر في شوارع القاهرة ومحالها ومقاهيها وسياراتها الخاصة والعامة على السواء ، وإن كان من الواضح أن هذه الأغنيات قد سجلت من سهرات ريفية شهدها جمهور غفير يتعلق بها ، ويحب ترديدها.

أما وقد استلفتتنا الظاهرة فينبغي أن نرصد أيضا

وغيرهم) . ونحن نقرأ لهؤلاء جميعاً وغيرهم فنستمتع ونفيد ، تماماً مثلما نستمتع ونفيد لقراءة أي أديب أو شاعر معاصر مبدع ، عربي أو غير عربي . وليس ثمة شك في أن الحساسية الجمالية التي يثيرها الأدب بالذات تعتبر من أرسخ مقومات الوحدة النفسية الانسانية ، وقد يمكن القول ان أعمق التحام بالتراث ، وأفضل مدخل اليه ، يمكن أن يتم بالأدب ، بمعناه الواسع . ويدخل في هذا الباب المصنوعات الفنية والموسيقا والأثريات . فانها فضلاً عما تنطوي عليه من عنصر الامتاع والفائدة تساعد على تشكيل تجانس ذهني وروحي انساني يمد جذوره في الحساسية الجمالية نفسها . وهي ، بصفتها هذه ، تعكس الجانب الخالد من التراث .

الثالثة عملية ، وهي ما أسميه بـ (الجدوى) . فمن الثابت أن التراث يشتمل على عناصر ذات جدوى ، أي عناصر يمكن استخدامها في الزمن الحاضر . وهذه العناصر منبثة في جل أرجاء التراث : في علوم العقيدة ، وفي فقه المعاملات ، وفي العلوم النظرية والعملية . ومن بين جميع قطاعات التراث يبدو قطاع العلوم التطبيقية أكثرها تأثراً اذ أن التقدم العلمي الحديث قد تخطى الدرجة التي نجدها لهذه العلوم في التراث . أما في قضايا العقيدة - أي علوم العقيدة ، لا الوحي نفسه - فانه ما يزال بامكاننا الرجوع الى كتب علم الكلام واستخدام عناصر منها ، قليلة بغير شك لكنها قد تكون مهمة . وفي مؤلفات أصول الفقه ومصنفات الفقه اجتهادات



وأحكام يمكن تبينها . وفي كتب (الخراج) و (الأحكام السلطانية) - على قصر باعها اذا ما قورنت بعلوم الاقتصاد والسياسة الحديثة - عناصر يفيد الالتفات اليها ويمكن تجريب استخدامها . . وهكذا ومع أننا لا نستطيع أن نعول كثيراً على مصنفات القدماء في الأمور التي تهم قضايا عصرنا النوعية ، الا أنه يمكن الاستئناس بآراء القدماء في القضية نفسها ويمكن « استخدام » مواقف أو حلول أو أحكام محددة واضحة بشأن قضية مطروحة نبحث لها عن حكم أو عن حل . والقضية هنا هي على وجه التحديد قضية « استخدام » لا « استلهام » أو شيء آخر سواه . وبهذا الاعتبار لا بد من القول ان الاطلاع على التراث أمر مفيد في اغناء المصادر التي نمتح منها من أجل معالجة قضايانا الحديثة أو الراهنة .

ما يبقى من التراث

فيتقرر على هذا النحو أن التراث ليس مما يصح التهاون في أمره أو التقليل من شأنه، وأن الدور الذي يؤديه أو يمكن أن يؤديه في حياة الأفراد والأمة جد خطير . فهو ليس دوراً هامشياً ، وانما هو دور مركزي يدخل في المركب الحي الذي يشكل الأفراد والأمم نفسياً واجتماعياً وقومياً .

بيد أنه ليس كل التراث يدخل في هذا المركب . اذ أن أجزاء منه تسقط على جنبات التاريخ . والذي « يتبقى » منه هو ذاك الجزء الذي يؤدي غرضاً ، أو يعبر عن حاجة . لكن ما تمس اليه الحاجة ليس هو الشيء عينه في جميع الأزمنة والظروف والأمكنة . لذا كان الكلام على « ثوابت » في التراث حية على الدوام أو خالدة ، أمراً عسير التحقيق . وما نستطيع أن نتكلم عليه ، بثقة مؤكدة ، هو « إحياءات » زمنية لهذا العنصر أو ذاك من التراث . وهذه الاحياءات المجددة مرهونة بالأوضاع والظروف المتغيرة . وما « يتبقى » منه في النهاية يضاف أو يندمج في الجديد الذي يتم انجازه ويستمر معه ، لأن الحقيقة هي أن صنع التراث لا يتوقف . فنحن على الدوام ، وفي كل العصور نصنع عناصر تراثية جديدة ونورثها لمن يأتي من بعدنا . وموقفنا الطبيعي هو أننا في الوقت الذي نتلقى تراثاً فاننا نصنع تراثاً آخر جديداً ، يغني التراث الذي تلقيناه أو ورثناه . بحيث يصح القول ان مهمتنا لا تنحصر فقط في تلقي التراث وتمثله ، وانما أيضاً ، وربما بقدر أكبر ، في « ابداع التراث » . □

ظواهر شعبية

بقلم : فاروق خورشيد

اذا كانت ميزة الفن الشعبي أنه يخاطب الغالبية العظمى من الطبقات الشعبية فان بقاءه رهن بمواكبة التطور الذي يطرأ على هذه الطبقات . فالشعب هو الشعب لكن الظروف غير الظروف . فهل يعني ذلك اندثار الفن الشعبي ؟ رسالة القاهرة تجيب بالنفي عبر رصدها لأشكال جديدة من الفن الشعبي أفرزتها الحياة الجديدة والتطور المستمر .

ظاهرة جديدة مهمة تملأ حياة القاهرة من مدة طويلة ، وتبرز تماما في حياتها اليوم . . فأنت لم تعد تسمع الراديو في المقاهي أو في المحلات العامة ، أو في دكاكين الحرفيين ، أو في عربات التاكسي أو الاتوبيس . . وإنما أنت تسمع بصورة دائمة وفي كل مكان . . « الكاسيت » . .

غدا « الكاسيت » الآن هو الصوت الأعلى في جو القاهرة ، يطغى على صوت الراديو ويطغى على برامج التليفزيون ، بل ربما يطغى أيضا على « الفيديو » - الوحش الجديد المخيف القادم إلى حياتنا أيضا . .

والظاهرة الفريدة ليست في الكاسيت نفسه ، فهذا أمر قديم تعودنا عليه ، ولكن الظاهرة الفريدة تتمثل في اللون الذي يسود ما ينشره الكاسيت من عطاء فني . . فنحن لسنا أمام تسجيلات لكبار المطربين والمطربات ، أو أصحاب الفكاهة والمنولوج ، أو حتى المسرحيات الناجحة أو فصول منها . . وقد اجتاحت هذه كلها حياتنا فترة عن طريق الكاسيت . . كما أننا لسنا أمام الأغنيات العبثية اللغة والمعنى واللحن والأداء التي تمثلت في مجموعة من المغنين ملئوا ملاهي القاهرة وطغوا على الأفلام والمسلسلات التليفزيونية فترة طويلة ، ومازال أمرهم قائما حتى اليوم الى حد كبير . .

لسنا أمام هذا أو ذاك ، بل نحن أمام شيء جديد قديم . . أما أنه جديد فلأنه شيء وافد على مجتمع القاهرة ولم يعرفه من قبل إلا في أطر محدودة جدا ومن خلال مناسبات الموالد ، وشوادر حي الحسين في رمضان . . وأما أنه قديم فلأنه شيء قديم قدم السامر في ريف مصر ، حيث كان المغني الشعبي يحيي الليالي الطويلة بغناء وأداء وتمثيل قصة (يس وبهية) و (حسن ونعيمة) و (شفيقة ومتولي) و (أدهم الشرقاوي) و (الفتى مهران) وغيرها من القصص الغنائية الشعبية

ولكننا لسنا هنا أمام سامر الريف ، وإنما نحن أمام كاسيت ينتشر في شوارع القاهرة ومحالها ومقاهيها وسياراتها الخاصة والعامة على السواء ، وإن كان من الواضح أن هذه الأغنيات قد سجلت من سهرات ريفية شهدها جمهور غفير يتعلق بها ، ويحب تردادها.

أما وقد استلفتتنا الظاهرة فينبغي أن نرصد أيضا

وغيرهم » . ونحن نقرأ لهؤلاء جميعاً وغيرهم فنستمتع ونفيد ، تماماً مثلما نستمتع ونفيد لقراءة أي أديب أو شاعر معاصر مبدع ، عربي أو غير عربي . وليس ثمة شك في أن الحساسية الجمالية التي يثيرها الأدب بالذات تعتبر من أرسخ مقومات الوحدة النفسية الانسانية ، وقد يمكن القول ان أعمق التحام بالتراث ، وأفضل مدخل اليه ، يمكن أن يتم بالأدب ، بمعناه الواسع . ويدخل في هذا الباب المصنوعات الفنية والموسيقا والأثريات . فانها فضلاً عما تنطوي عليه من عنصر الامتاع والفائدة تساعد على تشكيل تجانس ذهني وروحي انساني يمد جذوره في الحساسية الجمالية نفسها . وهي ، بصفتها هذه ، تعكس الجانب الخالد من التراث .

الثالثة عملية ، وهي ما أسميه بـ (الجدوى) . فمن الثابت أن التراث يشتمل على عناصر ذات جدوى ، أي عناصر يمكن استخدامها في الزمن الحاضر . وهذه العناصر منبثة في جل أرجاء التراث : في علوم العقيدة ، وفي فقه المعاملات ، وفي العلوم النظرية والعملية . ومن بين جميع قطاعات التراث يبدو قطاع العلوم التطبيقية أكثرها تأثراً اذ أن التقدم العلمي الحديث قد تخطى الدرجة التي نجدها لهذه العلوم في التراث . أما في قضايا العقيدة ـ أي علوم العقيدة ، لا الوحي نفسه ـ فانه ما يزال بامكاننا الرجوع الى كتب علم الكلام واستخدام عناصر منها ، قليلة بغير شك لكنها قد تكون مهمة . وفي مؤلفات أصول الفقه ومصنفات الفقه اجتهادات وأحكام يمكن تبينها . وفي كتب (الخراج) و (الأحكام السلطانية) ـ على قصر باعها اذا ما قورنت بعلوم الاقتصاد والسياسة الحديثة ـ عناصر يفيد الالتفات اليها ويمكن تجريب استخدامها . . وهكذا ومع أننا لا نستطيع أن نحول كثير أهل مصنفات القدماء في الأمور التي تهم قضايا عصرنا النوعية ، الا أنه يمكن الاستئناس بآراء القدماء في القضية نفسها ويمكن « استخدام » مواقف أو حلول أو أحكام محددة واضحة بشأن قضية مطروحة نبحث لها عن حكم أو عن حل . والقضية هنا هي على وجه التحديد قضية « استخدام » لا « استلهام » أو شيء آخر سواه . وبهذا الاعتبار لا بد من القول ان الاطلاع على التراث أمر مفيد في اغناء المصادر التي نمتح منها من أجل معالجة قضايانا الحديثة أو الراهنة .



ما يبقى من التراث

فيتقرر على هذا النحو أن التراث ليس مما يصح التهاون في أمره أو التقليل من شأنه، وأن الدور الذي يؤديه أو يمكن أن يؤديه في حياة الأفراد والأمة جد خطير . فهو ليس دوراً هامشياً ، وانما هو دور مركزي يدخل في المركب الحي الذي يشكل الأفراد والأمم نفسياً واجتماعياً وقومياً .

بيد أنه ليس كل التراث يدخل في هذا المركب . اذ أن أجزاء منه تسقط على جنبات التاريخ . والذي « يتبقى » منه هو ذاك الجزء الذي يؤدي غرضاً ، أو يعبر عن حاجة . لكن ما تمس اليه الحاجة ليس هو الشيء عينه في جميع الأزمنة والظروف والأمكنة . لذا كان الكلام على « ثوابت » في التراث حية على الدوام أو خالدة ، أمراً عسير التحقيق . وما نستطيع أن نتكلم عليه ، بثقة مؤكدة ، هو « إحياءات » زمنية لهذا العنصر أو ذاك من التراث . وهذه الاحياءات المجددة مرهونة بالأوضاع والظروف المتغيرة . وما « يتبقى » منه في النهاية يضاف أو يندمج في الجديد الذي يتم انجازه ويستمر معه ، لأن الحقيقة هي أن صنع التراث لا يتوقف . فنحن على الدوام ، وفي كل العصور نصنع عناصر تراثية جديدة ونورثها لمن يأتي من بعدنا . وموقفنا الطبيعي هو أننا في الوقت الذي نتلقى تراثاً فاننا نصنع تراثاً آخر جديداً ، يغني التراث الذي تلقيناه أو ورثناه . بحيث يصح القول ان مهمتنا لا تنحصر فقط في تلقي التراث ونقله ، وانما أيضاً ، وربما بقدر أكبر ، في « ابداع التراث » . □



بقلم : فاروق خورشيد

اذا كانت ميزة الفن الشعبي أنه يخاطب الغالبية العظمى من الطبقات الشعبية فان بقاءه رهن بمواكبة التطور الذي يطرأ على هذه الطبقات . فالشعب هو الشعب لكن الظروف غير الظروف . فهل يعني ذلك اندثار الفن الشعبي ؟ رسالة القاهرة تجيب بالنفي عبر رصدها لأشكال جديدة من الفن الشعبي أفرزتها الحياة الجديدة والتطور المستمر .

ظاهرة جديدة مهمة تملأ حياة القاهرة من مدة طويلة ، وتبرز تماما في حياتها اليوم . . فأنت لم تعد تسمع الراديو في المقاهي أو في المحلات العامة ، أو في دكاكين الحرفيين ، أو في عربات التاكسي أو الاتوبيس . . وإنما أنت تسمع بصورة دائمة وفي كل مكان . . « الكاسيت » . .

غدا « الكاسيت » الآن هو الصوت الأعلى في جو القاهرة ، يطغى على صوت الراديو ويطغى على برامج التليفزيون ، بل ربما يطغى أيضا على « الفيديو » ـ الوحش الجديد المخيف القادم إلى حياتنا أيضا . .

والظاهرة الفريدة ليست في الكاسيت نفسه ، فهذا أمر قديم تعودنا عليه ، ولكن الظاهرة الفريدة تتمثل في اللون الذي يسود ما ينشره الكاسيت من عطاء فني . . فنحن لسنا أمام تسجيلات لكبار المطربين والمطربات ، أو أصحاب الفكاهة والمنولوج ، أو حتى المسرحيات الناجحة أو فصول منها . . وقد اجتاحت هذه كلها حياتنا فترة عن طريق الكاسيت . . كما أننا لسنا أمام الأغنيات العبثية اللغة والمعنى واللحن والأداء التي تمثلت في مجموعة من المغنين ملئوا ملاهي القاهرة وطغوا على الأفلام والمسلسلات التليفزيونية فترة طويلة ، ومازال أمرهم قائما حتى اليوم الى حد كبير . .

لسنا أمام هذا أو ذاك ، بل نحن أمام شيء جديد قديم . . أما أنه جديد فلأنه شيء وافد على مجتمع القاهرة ولم يعرفه من قبل إلا في أطر محدودة جدا ومن خلال مناسبات الموالد ، وشوادر حي الحسين في رمضان . . وأماأنه قديم فلأنه شيء قديم قدم السامر في ريف مصر ، حيث كان المغني الشعبي يحيي الليالي الطويلة بغناء وأداء وتمثيل قصة (يس وبهية) و (حسن ونعيمة) و (شفيقة ومتولي) و (أدهم الشرقاوي) و (الفتى مهران) وغيرها من القصص الغنائية الشعبية

ولكننا لسنا هنا أمام سامر الريف ، وإنما نحن أمام كاسيت ينتشر في شوارع القاهرة ومحالها ومقاهيها وسياراتها الخاصة والعامة على السواء ، وإن كان من الواضح أن هذه الأغنيات قد سجلت من سهرات ريفية شهدها جمهور غفير يتعلق بها ، ويحب ترداده‌ا.

أما وقد استلفتتنا الظاهرة فينبغي أن نرصد أيضا

عدة ظواهر مميزة لها :

الظاهرة الاولى : أن المغني تصاحبه فرقة موسيقية كاملة بآلات التخت الشرقي المتعارف عليها من قانون وعود وكمان وفلوت وإيقاع ، بزيادة المزمار ، وباستعمال الكمان في أحيان كثيرة بطريقة تقربه من الربابة . فلسنا أمام الآلات الموسيقية البسيطة التي كانت تصاحب المغني الشعبي المتعارف عليه ، فقد كانت أدواته محصورة في المزمار والايقاع ، أو في الربابة وحدها ، أو في الدفوف وما يصاحبها من صنج وايقاع .

وهذا الحشد الجديد من الآلات يتيح خلفية موسيقية تعين المغني على الاداء التطريبي بصورته الشائعة في الدور ، وتجعل من قصته المغناة وصلة غنائية كاملة على الشكل الذي شاع في القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، وما زال ممارسا في الكثير من الحفلات الغنائية العامة ، وعند بعض المطربين الذين ما زالت امكاناتهم الصوتية تعينهم على أداء هذه الوصلات . وهو يتيح للفرقة أن تتقدم وحدها لتشغل بعزفها جزءا من الترديد النغمي الملحن لما غناه هو ، أو لتقدم لحنا معزوفا من أغنية مشهورة يهتز لها المتلقون ويسترجعون وحدهم الجو النفسي والعاطفي الذي تثيره الأغنية ويستدعيه لحنها المعزوف وسط فقرات القصة فتغني عن الكلمات ، وتثبت الشحنة الوجدانية المطلوبة في مرحلة ما من القصة . . وفي مراحل معينة من السرد الغنائي للقصة يصمت الراوي أو المغني ، ويصمت التخت كله لينفرد بالعزف عازف الناي وحده ، أو عازف العود وحده ، أو عازف الكمان وحده ، أو عازف القانون وحده ، أو ضابط الايقاع وحده . . ويستمر في عزفه المنفرد حتى يتجاوب الجمهور معه ، وينفعل لعزفه ، ويصبح صوت آلته هو الصوت البطل ، أو الصوت المقابل لصوت المغني ، يحكي نفس الفقرة التي وقف عندها المغني ، ويرددها مرة أخرى ولكنها مؤداة بهذه الآلة المنفردة وحدها . . فالتخت الكامل هنا لا يلعب دور الخلفية الموسيقية وحسب . . وإنما يؤدي متجمعا أو منفردا أدوارا رئيسية في عملية القصص الشعري الغنائي الروائي النغمي المتكامل . . وهذه الظاهرة وإن أبعدتنا عن الصورة الشعبية القديمة للقصاص الشعبي ، أو المغني الشعبي ، إلا أنها إضافة مستفيدة من تطور فني فرضه العصر ، بحيث لا يقلل في شيء من عملية الارتجال التي هي سمة رئيسية غالبة في الأداء الشعبي الموروث . . والارتجال محكوم دائما بالنص الاصلي للحكاية الشعبية ، فالمؤدي الشعبي حر في ارتجاله الوقتي الذي تفرضه ظروف البيئة وطبيعة المستمعين ، وما يرتهن به جو الحفل من إبداعات إضافية على القصة الأصلية . . وكذلك فالارتجال عنصر متحرك يسمح للمغني أن يتلاحم مع جمهوره ، وأن يربط هذا الجمهور بجزئيات القصة ومواقفها المتعددة ربطا أثريا من ناحية ، وربطا وجدانيا من ناحية أخرى . . وقد يحدث في أحيان كثيرة أن يدور حوار بين التخت أو الآلة المنفردة وبين المغني ، فكأن أحدهما يقول شيئا ، والثاني يرد عليه ، أو كأن أحدهما يطرح سؤالا والثاني يجيب عنه ، دون أن يفقد السرد القصصي استمراريته وتماسكه . .

الظاهرة الثانية المميزة في هذه الحكايات هي نوع البطل وشخصيته . فنحن لسنا أمام أبطال الحكايات الشعبية العربية القديمة ، من أبطال السير الشعبية كعنترة بن شداد وأبي زيد الهلالي وسيف بن ذي يزن والظاهر بيبرس وعلي الزيبق ممن احتكرت حكاياتهم وسيرهم جهد القصاصين المغنين زمنا طويلا . . كما أننا لسنا أمام الأبطال المحليين الذين استولوا على وجدان الشعب المصري ، وخرجت حكاياتهم صدى لأحداث تأثر بها الريف المصري ، وخلق حولها أخبارا وحكايات تتناقل ، إلى أن تناولها القاص الشعبي بفنه ، وقدمها بطريقته الفذة في الابداع الشعبي ، من أمثال شفيقة ومتولي ، وبهية ويس ، وحسن ونعيمة وأدهم الشرقاوي والفتى مهران . . وحفظ الضمير الشعبي المصري هؤلاء الأبطال وحكاياتهم ذات الأصول الحقيقية المصاحبة للأحداث السياسية والاجتماعية التي مرت بمصر ، وكان هؤلاء الأبطال تجسيدا لها في مجتمع الريف والقرية . .

لسنا أمام هؤلاء الأبطال ولسنا أمام أولئك ، ولكننا أمام أبطال من نوع جديد ومغاير تماما . . فالأبطال في هذه الحكايات الجديدة ليسوا من أبطال السير الشعبية المعروفين ، وليسوا من أبطال الأحداث الاجتماعية والسياسية الذين فرضوا وجودهم بحكم كونهم تجسيدا لقلق اجتماعي أو لحدث سياسي حقيقي ، وإنما هم أبطال جدد تماما إذ لا يمثلون بطولة

ملحمية ، ولا يمثلون بطولة واقعية ،وانما هم أفراد عاديون يعيشون في أحداث عادية من أحداث الحياة اليومية في مجتمع متغير معاصر تماما . . ولعل أسماء الابطال وهي نفسها أسماء الحكايات تكشف عن حقيقة هذه الظاهرة ، فمن أكثر هذه القصص شيوعا عند المغنين الشعبيين الجدد ، قصص حمدي وأفكار رؤوف ورئيفة وعبلة ومختار ، وأيوب ورحمي ، وخيري ووجنات ، وشلبي وشلبـاية ، وماهر ومهران ، وصابر وصابرة ، ونبيلة ومجدي ، والمحسن المجهول وأم البنات . . وهي أسماء ـ كما ترى ـ لا تعني بذاتها شيئا مميزا ، ولا تشير إلى ملحمة معروفة ، ولا تنبيء بواقعة لها شهرتها أو تميزها . . وانما هي مجرد أسماء لشخصيات يمكن أن يحل كل اسم منها محل الآخر دون أن يجرح هذا تأهب المستمع أو تقبله النفسي للقصة ، كما أنها يمكن أن يستبدل بها أسماء أخرى دون حرج أو دون جرح لموروث المتلقي من العطاء القصصي أو الشعبي المسبق . .

وهذا يعنى أننا لسنا أمام شخصيات نمطية ، وانما نحن أمام نماذج حية ومتفاعلة داخل المجتمع ، وتعكس بعض الظواهر التى يرى صاحب الحكاية أنها تسوق الى المتلقى متعة بذاتها أو تجربة معينة يريد أن يقدمها لـه . . والمدقق فى اختيار الاسماء يحس أنها أقرب الى ذوق المدينة واختياراتها منها الى ذوق القرية واختياراتها فى الأسماء . . وقد تعود القرويون أن ينظروا الى أمثال هذه الأسماء باعتبارها أسماء توحي بالترقيق والتدليل ، وكانوا ينفرون منها لما كانت تصم به صاحبها من علامات بعيدة عن معنى الخشونة والتقشف التى هى من سمات أهل الريف

وقد يكون الامر أن هذه الهوة السابقة بين القرية والمدينة قد تلاشت أو أوشكت على التلاشى . وقد يكون الأمر أن تطلع أهل القرية الى حياة الدعة أصبح مشروعا بعد أن أحدثت هجرات العمل والعودة بالثروات النسبية فعلها الأكيد فى تغيير بنية مجتمع القرية ، ونوع التطلعات التى يحلم بها أبناء القرية . . ومنذ البدء والأساطير المصرية القديمة توحى بهذه القداسة يحسها الفلاح المصرى تجاه أرضه ، فعبدها وعبد كل ما يزيد خيرها وثراءها ، عبد الشمس ، ورصدها وعرف منها فصول السنة ، وأثر هذا التغير الفصل على زراعة الأرض وغرسها ، ثم العناية بها ، ثم حصادها الـثر . . وعبد النيل واحتفى به كـل الاحتفاء ، وقدم له القرابين ليزيد ملؤه ويعم خيره أرضه الطيبة . . ولكن الوضع الآن يختلف اذ بدأ الفلاح يهجر أرضه ، ويهاجر من دنيا هذه الأرض الى دنيا رحبة من تطلعات الثراء والمتعة التى لا ترتبط بالأرض ولا بجذوره الضاربة فى أعماقها . . فلم يكن غريبا أن تنتشر اذن أسماء مجدى وعبلة ورؤوف ووجنات وماهر وخيرى ورحمى ونبيلة بدلا من الأسماء القروية التقليدية القديمة . فهذه الاختيارات اشارة الى حق القرية فى رفاهية المدينة ، واشارة الى سقوط الحواجز الاجتماعية بين المجتمعين . . وسنلاحظ أن الابطال جميعا من تلاميذ الجامعة ، وأن معظمهم طلبة فى كلية الطب ، كما سنلاحظ أن حق البنت فى التعليم قضية تحتضنها أكثر من قصة ، وأن حق ابن القرية فى أن يكون مهندسا أو طبيبا مسألة مسلم بها لا تحتاج الى نقاش . كما سنلاحظ أيضا أن الأحداث تدور دائما حول صراع الخير المستسلم الطيب الضعيف ، وبين الشر الضارى الخبيث القوى . . ولا ينتصر الخير الا بعد أن يلاقى الأهوال والصعاب ، ولكن التمسك بمعانى الشرف والوفاء والعلم هى أسلحة الخير التى توصله دائما الى بر الأمان . والأبطال يتحركون فى هذه الدائرة ، التى لا تعرف الا الشر المطلق والخير المطلق ، فالقصاص الشعبي لا يعرف من الألوان الا الأبيض والأسود . والشر منتصر أول الأمر ، لا يعرف الهزيمة لانه يستخدم كل الوسائل التى توصله الى الانتصار ، بينما الخير لا ينتصر الا فى نهاية الأمر ، وانتصاره اما حقيقى بأن يفوز البطل بالفتاة التى يحبها بعد نجاحه فى حصوله على الشهادة الجامعية ، وتفوقه فى عمله ، واقرار عمه الشرير بحقه فى اقترانه بابنته ، وفى المكان البارز من المجتمع وفى ارثه المغتصب ، وأما الرمز فى ذلك الانتقام الالهي الذى يحل بالشرير فيذهب ماله وصحته ، ويصيبه بالفشل والعجز ، ثم الموت فى النهاية . .

وفى خلال هذا الخط الرئيس تظهر خطوط فرعية متنوعة ، فرؤوف يقاوم اغراء أبى رئيفة له أن يتركها مقابل مبلغ ضخم من المال ، وتسمع رئيفة حبيبها وهو يرفض أن يتركها مقابل المال فتسعد لأنه يحبها

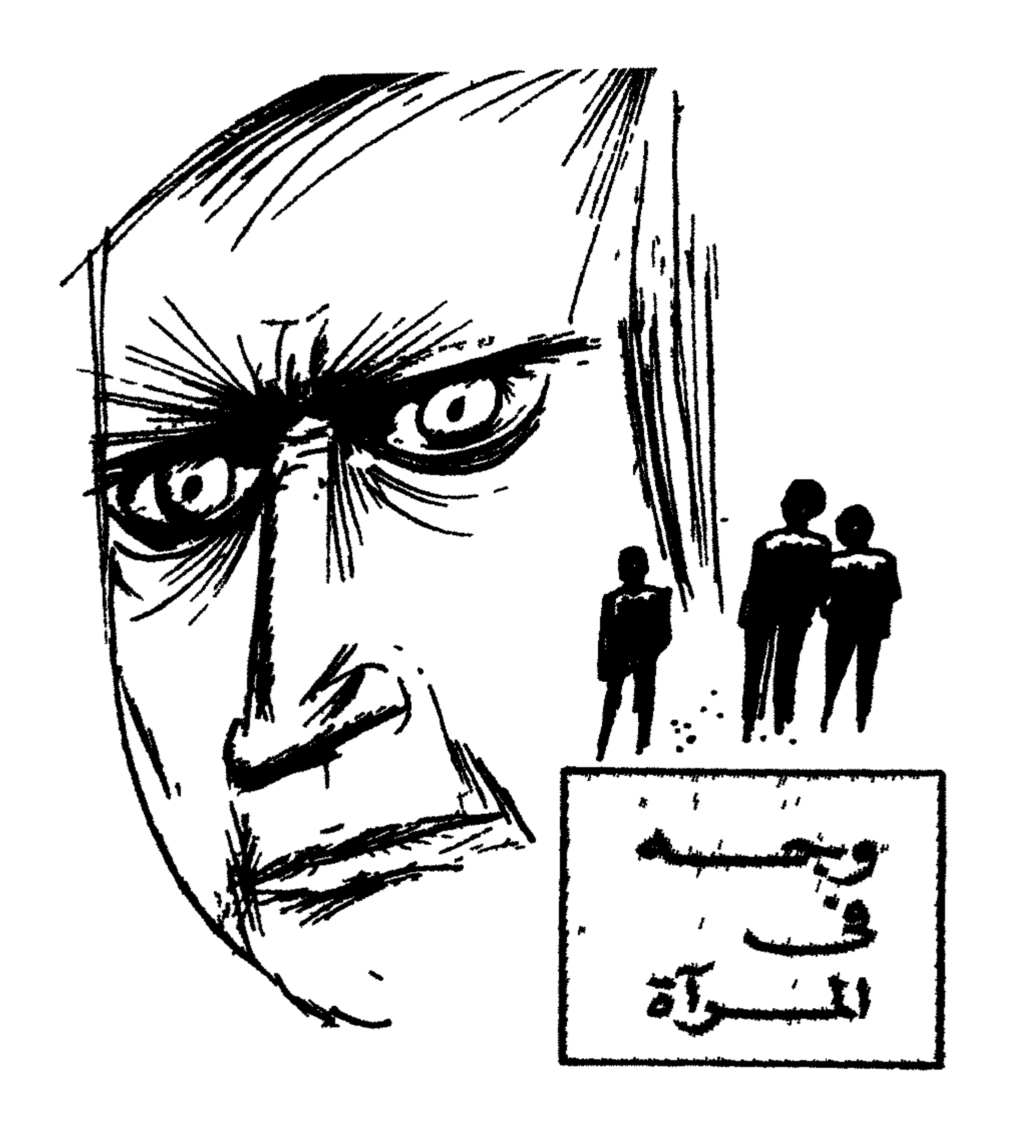
هي أكثر من حبه للمال . ونبيلة القبطية تحب مجدي زميلها في الجامعة وهو مسلم ، وتشفي زيارة لمشهد الحسين أباها القسيس من العمى إثر حلم يهديها لأن تزور معه الحسين ، وتسلم نبيلة ويبارك أبوها زواجها من مجدي . . وصابر يصرف ببذخ من إرثه من أبيه بينما عبدالله يحرص على ماله ويتصدق منه في حدود المعقول ، ويفقد صابر ثروته ويعمل صيادا أو « مراكبيا » ، ويتقدم عبدالله ليصون حياة زوجة أخيه وأولاده دون أن يعرفوا أن عمهم الثرى هو المحسن .

ويعود صابر بثروة كبيرة ، ولكنه يجد أهله في ستر ، فيشكر أخاه ويشاركه ثروته . . الى آخر هذه الحكايات الفرعية التي تحض على التمسك بالدين والشرف والأرض وعدم الاسراف على النفس باللذات أو البذخ . . والسياق يؤكد العلاقات الأسرية وقيمة الأب والام والوفاء لهما ، وقيمة الاخوة والتمسك بهم ، وقيمة العم والخال والعرفان لهما . . وكلها قيم تريد أن تتقدم لتمنع الظواهر الحديدة التي تهدد المجتمع وقيمه من أن تسيطر على الموروث والتقاليد وتهدمها . . .

الظاهرة الثالثة في هذه الحكايات هي هذا المزج بين الموروث والواقع . . فالأحداث واقعية شديدة الواقعية ، تجرى في حدود الحياة اليومية وما يجرى فيها من تناقضات بين القوى التي تتحكم في حركة الحياة الدائمة والمتغيره أبدا . ولكننا نجد أنفسنا فجأة أمام رحلات غامضة ، ومغامرات مع قوى خفية ، وأحلام تتنبأ وتصدق نبوءتها ، ومعجزات لأولياء الله الصالحين ، ودعوات مستجابة من الوالدين أو من أهل التقوى ، وتراب طاهر يعيد الرؤيا الى العين المصابة . . كما أننا نجرى في محيط من (الموتيفات) الشعبية المتوارثة والمعروفة . . مثل الأخوين المتناقضين ، والبنت الفقيرة وامرأة أبيها المتسلطة ، والابن المنتقم لأبيه ، والأم التي تحمي ابنها . . ونحن أيضا في نفس الوقت نلمح حكايات شعبية ، وحكايات ألف ليلة ، وبعض المتبقيات من السير الشعبية المعروفة . وهذا المزج يختلط تلقائيا بمتبقيات من الحكايات السينمائية وقصص مسلسلات التليفزيون ومقاطع من الأغنيات المشهورة والمواويل المعروفة . . فنحن أمام جماع الحصيلة الفنية للواقع المعاش ، بوجوده وموروثه معا ، بفنه الجمعي القديم وفنه الحديث المشهور ، وممارسته الحياتية القائمة . . ومن هنا يتحقق الوجود الشعبي المتكامل لهذه الحكايات فهي ماض حي تماما . . ماض تراكمت في تكوينه آلاف المعتقدات والحكايات ، ولكنه ماض موجود بما أضافه اليه الواقع المعاش ، وما استكمل من الواقع الابداعي الفني الموجود في عصره . . فاذا أضفنا الى هذا امتزاج الهدف الديني بالهدف الأخلاقي بالهدف التعليمي في إطار من التسلية والمتعة ، من إثارة الحكاية وتطريب المغنى ، وانشاد أهل الذكر ، تكاملت أمامنا صورة ثقافية واضحة الابعاد لمجتمع يتشبث بالمعطى الديني تشبثا واضحا ، ويرتبط بالموروث الأخلاقي ارتباطا أصيلا ، وان شابت الاثنتين بقايا من معتقدات شعبية ، وتراكمات من مفاهيم متغيرة ومعاصرة . .
وتبدو الظاهرة الدينية واضحة في افتتاح كل حكاية بمدح النبي ﷺ وبانهائها أيضا بمدح النبي ﷺ وفي وقوف الراوى عند كل عبرة أخلاقية بحديث نبوى أو آية قرآنية يؤكد بها المعنى الخلقي المؤيد بالعطاء الديني في كل ما يقول . . .

فهل أحس المتلقي الشعبي بأن ما يعطيه له التليفزيون والسينما والراديو من نماذج قصصية لم يعد يسد حاجته المتعطشة الى أن يلمس صدق الفن مع ما يعانيه بالفعل من قضايا ومشكلات ؟ . . وهل سمح المتلقي بهذه الردة الغريبة الى الحكاية الشعبية ، للمبدع الجمعي أن يتقدم فيسد الثغرة الناجمة من خلال هذه الحكايات المتناقلة عن طريق الكاسيت والتي تبدو طاغية شديدة الطغيان ، رائجة واضحة الرواج . .

وأيا كان الأمر فالظاهرة ملفتة وجديرة بالاهتمام والتسجيل ، فلعلها تعني تمردا جمعيا على ما تقدمه أجهزة الاعلام من نماذج مرفوضة ومسفة ، ولعلها تعني الايماء الى مخاض قد يلد فنا جديدا يفرض نفسه أو يفرض ـ على الأقل ـ مجموعة جديدة من القيم والمعاني ، وهو على كل حال يفرض رفضه لما هو قائم ، وهروبه ـ كما حدث عبر التاريخ في أزمنة التزوير الفني لضمائر الشعوب ـ الى الأدب الشعبي والفن الشعبي ، يودع الضمير الجمعي حقيقة أدبه وفنه بعيدا عن عمالة المبدعين لغير الصدق ، وانتهاء المؤلفين والفنانين لغير حقيقة الفن ورسالته . □



رجل لا يتجاوز الدقيقة الخامسة من عمره !

بقلم : أبو المعاطى أبو النجا

له زمن مفضل ، يكسب فيه معركته الأولى ـ وغالباً ما تكون الأخيرة ـ ذلك الزمن هو الدقائق الخمس الأولى ، التى يلتقى فيها بشخصية جديدة ، سواء سعى هو اليها أو سعت اليه !

فى الدقيقة الأولى من هذه الدقائق الخمس يلتقط نقاط القوة ونقاط الضعف لدى هذه الشخصية ، يلتقطها من النظرة ، والخطوة ، والوقفة ، والجلسة ، وطريقة التحية ، وطريقة عرض الموضوع أو الاستماع اليه !

ربما كانت هذه الموهبة اللاقطة النافذة هي أعظم مواهبه ، لأنها هى التى تحدد له نوع وحجم الأسلحة التى يستخرجها من ترسانته ، ليحسم معركته الأولى والأخيرة فى الدقائق المتبقية !

الدقائق الخمس الأولى هي فى عصرنا هذا كل الزمن المتاح أمام الرجال من أمثاله ، وقد علمته التجربة أن الجهد المبذول لخلق الانطباع الأول أوفر وأجدى من الجهود المضنية التى قد تبذل بعد ذلك لتغييره ، وان الناس ـ حتى الأذكياء منهم ـ يسلكون

فى عصرنا هذا وفق انطباعاتهم ، فلا أحد لديه وقت للتفكير الطويل لتكوين الاقتناع ! وبعد هذه الدقائق الخمس قد تلتقى التلقائية بكل ما يمكن أن تحمل من مخاطر ومغبات !!

وله أيضا مكان مفضل ، فهو يؤثر تلك المساحة الضيقة والوعرة قرب القمة ، تلك المساحة التى تفصل بين عشرات الرجال من ذوى السلطة والنفوذ الذين يحتلون المراكز العليا ، وبين مئات الرجال من أصحاب المواهب والقدرة على الانجاز ، الذين يقبعون فى ظلال المركز الثالث فى مختلف مجالات الفكر والعمل !!

ودائما يتحرك فى رشاقة العصفور ـ ومهما يكن وزنه ـ بين هؤلاء وأولئك ، واذا كان قد أدرك نقاط القوة والضعف لدى من هم دونه ، فهو بحكم موقعه وتعامله يدرك أيضا نقاط القوة والضعف لدى من هم فوقه ، وبحكم هذا الموقع أيضا يمسك فى يديه بكثير من الخيوط الصاعدة والنازلة ، ويرى المشهد من فوق ضروراته ومحظوراته ، ويراه من تحت ، طبيعته وخصائص العاملين فيه ، ومن هذا كله يدرك أنه لا توجد لغة مشتركة كافية بين هؤلاء وأولئك ، وأن من مصادر قوته أنه هو وحده الذى يصبح عارفا وصانعا لهذه اللغة المشتركة ، وأنه بدونه تتشابك الخيوط الصاعدة والنازلة ، وأن هذه الخيوط تمسك به بقدر ما يمسك بها ، ويكثر حديثه عن ضرورة اللغة المشتركة والرؤية المشتركة ، بقدر ما يعمق شعوره بصعوبة ذلك ، ومع هذا التوحد والترابط بينه وبين من هم فوقه ومن هم دونه يزداد شعوره بأنه الواحد المتعدد ويؤكد لمن هم دونه أنه واحد منهم مقاتل من طرازهم له فى الحقيقة نفس أهدافهم ، ولولا دوره العريض لأسعده أن يكون مثلهم ، يخبر بيديه فيما يفرزون به أيديهم وجباههم من فكر وعمل ، وهو يختار من عمل هؤلاء المبدعين ما يناسب تماما ما يطلبه رجال الصف الأول ، يعرف كيف يقدمه فى الوقت المناسب وبالطريقة التى تقنعهم بأنه هو تماما ما يلبى احتياجاتهم .

وكثيرا ما يبدو فى وقت واحد فى صورة المنتصر والمهزوم ، البطل والضحية ، فهو يحقق لمن هم دونه بعض أحلامهم ، ولمن هم فوقه كل ما يمسك به فوق مكانه المفضل !! وذلك جزء من أسلوب دفاعه العظيم !!

تتغير أمامه الوجوه من فوق ، حيث تهب العواصف الجامحة عند القمة ، ومن تحت ، حيث يثور أحيانا بعض هؤلاء المبدعين ، أو يدركهم التعب واليأس ، حيث يمر الوقت دون أن يحدث التغيير ، بينما تتسع المسافة بين واقعهم وأحلامهم ، ويبقى هو فى مكانه الأثير ، فالقادمون الجدد عند القمة يحتاجون الى دليل الى قاعدة الهرم الذى يتربعون فوقه ، بينما هو قادر على أن يجتذب البدائل لاولئك الذين ثاروا أو تركوا مواقعهم ، وما أكثر البدائل على منحدر الجبل . . ! انه هو وحده الذى يعرف مواقعهم ولغتهم ، وهو يعرف كيف يجدهم هناك متعبين قابلين رغم ذكائهم ، لان يعانقوا السراب والوهم ، لا أحد مثله يعرف هذا النوع من البشر ، الذين يبدون خارج نطاق نبوغهم ومواهبهم كالأطفال ، هم دائما ينشدون الحماية والأمن ، ليتفرغوا لما يعتقدون أنه مهمتهم الوحيدة فى الحياة ، والتى يمارسونها بنفس البراءة والحيوية التى يمارس بها الأطفال ألعابهم !

انه يصطادهم فى هذه الدقائق الخمس التى هى معجزته الحقة ، والتى تصبح دون أن يدرى هى كل حياته !

امتيازه أو مأساته أنه وهو يحدثهم عن أحلامهم فى التغيير يبدو حقا وكأنه يتحدث عن أحلامه هو ، هو نفسه لم يعد يعرف عدد الأشخاص الذين يتحدثون بداخله ، يخيفه بقدر ما يرضيه أنه يبقى فى مكانه وسط كل هذه المتغيرات ، قدرته على التذكر لا يعادلها الا قدرته على النسيان !!

لا حديث له الا عن ضرورة التغيير ، ولكنه هو بدوره ، بموقعه ، بأسلوب تعامله ، يبدو نموذجا رائعا لما لا يتغير !

له سمات العباقرة دون أن يكون له انجازهم وابداعهم ، يستخدم كل الكلمات التى فى قاموس الحب والكراهية والثورة والتمرد ، ولكنه بهدوئه وتماسكه واستمراريته لا يعرف الحب ولا الكراهية ، ويمارس صلحا مذهلا بين كل المتناقضات لصالح بقائه فى موقعه !

لا يخاف شيئا مثلما يخاف لحظة فراغ ، تستدرجه

الى التفكير لحظة فيما يجرى من حوله ، فى هؤلاء الذين خدمهم أو استخدمهم ! ولذلك فهو يحيا فى العمل أو يموت فيه ، ويصبح ذلك (ربما دون قصد) من رصيد قوته وبقائه فى موقعه ! دائرة معارفة تتسع لمئات الأسماء والشخصيات من كل الطبقات والجنسيات والتخصصات ، وطبعا لا يعرف شيئا واحدا عن أى واحد من هؤلاء خارج ما يتصل بعملهم معه !

يبدو أنه يملك كل شىء ، ولكنه لا يكاد يملك حتى حياته التى تختصر أخيرا فى هذه الدقائق الخمس !.

وهو يعرف قيمة هذه الدقائق ، حين يلتقى مصادفة بواحد ممن عملوا معه أو عمل معهم .. لسنين قصيرة أو طويلة ... ان أشياء غامضة تتحرك فى داخله .. عواطف كالزلازل أو البراكين ... أشياء تنذر بما لا قبل له به ، و آنذاك يبدو تدريب الدقائق الخمس العظيم ، تأتى الابتسامة المحسوبة ، والكلمات المحسوبة ، كل الأسلحة التى تختصر المعركة فى دقائق ، دون أن تسمح بالتورط فى احساس واحد بالأسى ، أو بالندم ، أو بالحب ، أو بالكراهية ، أو بالشفقة على نفسه أو على غيره !!

يقول بعض من يعرفونه ، انه لا غنى عنه ، فهو موجود فى كل العصور وفى كل بلاد الدنيا ، وانه من صلبه ينحدر كل رجال الادارة العظام ، الذين هم سادة المستقبل دون ريب ، حيث العمل والنظام الاجتماعى كله أكثر تعقيدا وأكثر حاجة الى أمثاله ، وان التغيير الوحيد الممكن هو ما قد يمس أسلوب أدائه لهذا الدور !

بينما يقول البعض الاخر : ان وجوده بهذه الصورة هو مرحلة من مراحل التطور الانسانى ، وسيأتى يوم لا محالة يتطور فيه رجال الصف الثالث ، يحطمون شعورهم الزائف بالعجز والحاجة الى الحماية ، يعنون بتنمية ذواتهم بقدر ما يعنون بتنمية مواهبهم وقدراتهم ، يجمعون بين القدرة على الابداع والقدرة على توظيف هذا الابداع فى وقته ومكانه .

وآنذاك يتغير رجال الصف الأول أنفسهم ، فلن تكون هناك سوى لغة واحدة يتكلمها كل الرجال ، وآنذاك قد تتغير الحياة كلها !

والى أن يحدث ذلك أولا يحدث ، فسيبقى هذا الوجه فى المرآة جديرا بكل ما نملك من آسى ومحبة ، ورغبة فى التفهم ، ورغبة فى المواجهة والتغيير !! □

الروح والجسد !

كتب مارتن لوثر كنج الزعيم الزنجي الذي أمضى حياته مدافعا عن الحقوق المدنية لابناء جلده .. كتب يوما يروي قصة السيدة الزنجية العجوز التي جاوزت العام الثاني والسبعين من عمرها ، وكيف كانت تقطع كل يوم مسافة طويلة سيرا على الاقدام من بيتها الى حيث يقيم أبناؤها وأحفادها ، اثناء مقاطعة الزنوج لوسائل المواصلات العامة التي حرم عليهم البيض استخدامها ، حتى اذا استبد بها التعب يوما ، اقترب منها رجل أبيض وقال : « لماذا تمضين اذن في تأييدك لهذه المقاطعة التي لاجدوى منها ؟ » وقالت السيدة وهي تستند بذراعها الى الحائط : « ربما تكون قدماي قد انهكهما التعب .. ولكن المهم هو الروح ، وأنا أشعر بروحي هناك تحلق مستريحة في سماء الأرض التي تحتضن المسحوقين .. »

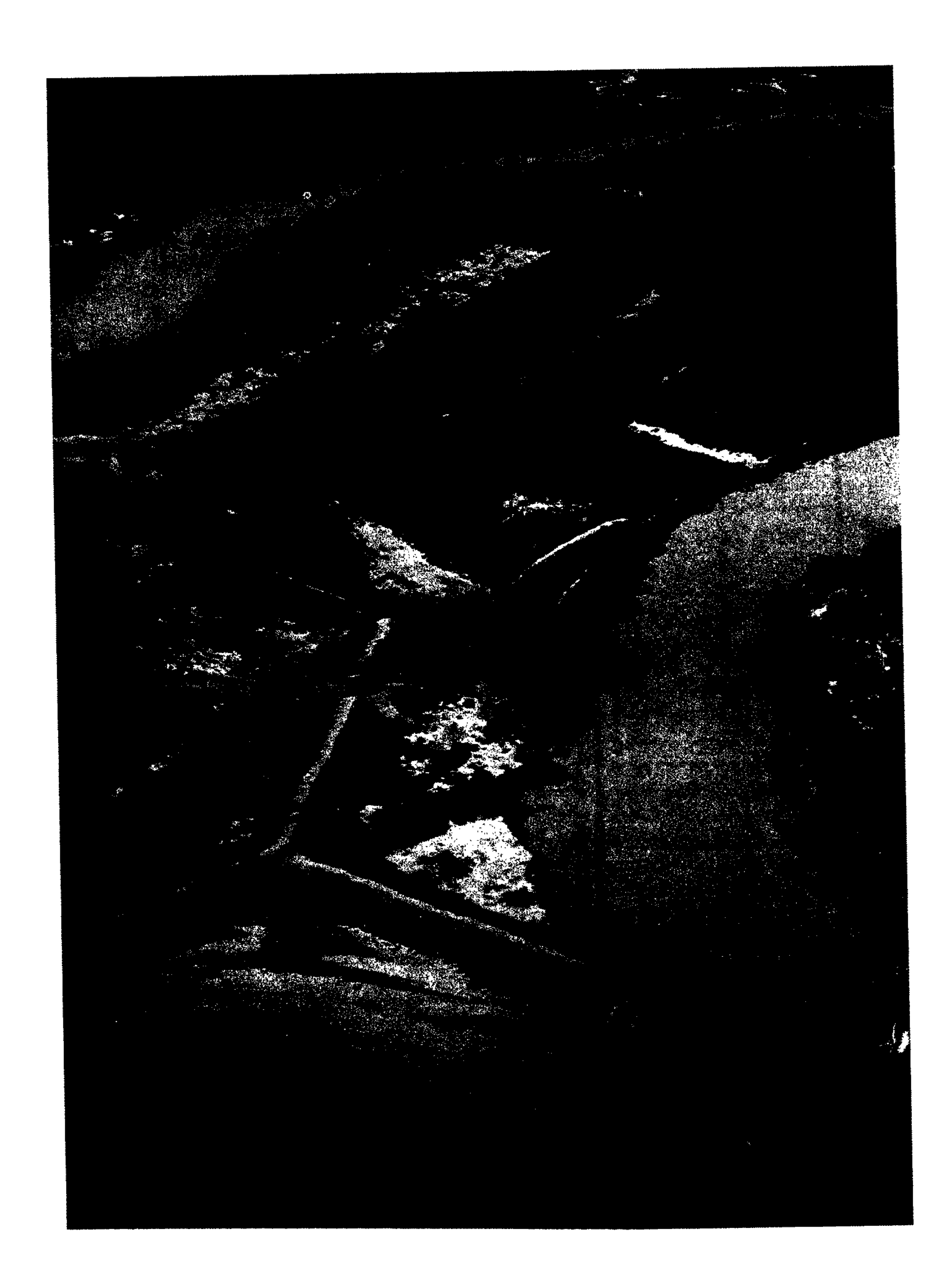
المياه العربية وصراع الوجود

استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : أوسكار متري



حصراوات الأغوار في طريقها لأسواق الاستهلاك



عناصر أساسية للوجود ، ان فقدت فقد الشعب الكثير من مقومات وجوده ، وان اعتدى عليها .. فانها الحرب لا محالة !

لنأخذ المياه على سبيل المثال .. انها مفتاح باب حضارة الاستقرار منذ أن عُرف العالم .

اذ لولا النيل ، والفرات ودجلة .. والسند وغيرها من الأنهار لما قامت حضارات مستقرة يعود تاريخ قيامها الى الانسان الأول . حتى يومنا هذا فان أكبر وأوسع المدن والحواضر مازالت مركزة على جانبي تلك الأنهار وغيرها

إنها المياه التي جعل الله منها كل شيء حي .

قصتنا نحن العرب منذ أوائل هذا القرن وخاصة في الأربعين سنة الأخيرة مع المياه قصة تروى ، لأن فيها ـ قصة ـ حياتنا ومستقبلنا ووجودنا .

لنتمعن ـ مجرد تمعن ـ في منظر مازال أمام بؤرة عين من يرى ، منذ عشرين عاماً .

المثلث الخطــــر :

كنا مع الشمس في سباق وتحد ، هي تركض نحو أفق المغيب ، ونحن بودنا أن نركب مراكب الهواء كي نصل الى هدفنا .. وهدفنا كان « المثلث الخطر » أي مكان التقاء الحدود الأردنية ، السورية ، الفلسطينية المحتلة .

جبل الجولان أصبح على يمين التلة التي ارتقيناها ، والمياه على الجانب الأيسر تلمع بوجوهنا من جراء مغازلة الشمس لها .. وبساتين وسهول ووهاد مكسوة بالأشجار والخضراوات على مد النظر .

يقول مرافقنا : أترون أشجار السرو .. هناك ؟ انها الحدود الفاصلة بين ما هو تابع لنا ، وما أصبح يتبع عدونا .

نمر على مراكز الجيش الأردني واحداً إثر الآخر .. ثم نرتقي جبلاً .. يخفق القلب ، وترتعش الأوصال .. طبيعة مكسوة بجمال حكت عنه الأساطير « أرض اللبن والعسل » بقايا نهر الأردن تلمع على يسارنا مع فيض من جمال البساتين والحقول على الجانبين الأردني والفلسطيني المحتل .

والبحيرة .. سادرة في مكانها .. تلمع زرقة مياهها من بعيد ، وبيوت بيضاء تحتل التلال التي تحيط بها .

أهي طبريا ؟

انه الوطن ، حلم العمر كله ، يتكرر في المنام واليقظة

كبرت الغصة في كل ذرات البدن ، وتجمع الحزن ـ المرح في تقاطيع الوجه .. ووقف الدمع يتشاور في المآقي .

الشمس كعادتها عجول .. ونحن نتقافز مع الكاميرا من مكان الى آخر ... نصطاد لقطات قد تجود بها الفرصة ثانية وقد لا تجود .

لم يكن صراعا مع الشمس العجول فقط ، بل كان أيضاً مع الخوف من رصاصات قد تأتي من المرصد الاسرائيلي الذي يواجهنا على الجبل المقابل .

كانت لحظات من القفز والركض والخوف والتوتر والاكتشاف ، اطلعنا فيها على محور اليرموك الذي يمثل عصب المياه المتفجر في المنطقة .

نهر اليرموك يغسل أقدام الجبل الذي نرتقيه ... ونهر الأردن يلمع على بعد مئات من الأمتار القليلة ، وبحيرة طبريا خزان الماء الذي تلتقي فيه أهم أنهار بلاد الشام تتماوج من بعيد .

وقناة الغور الشرقية بمحاذاة الجبل مازال الماء يتدفق

في شريانها ليضيف الى شرايين الناس والحيوانات والشجر الحياة والنضرة والاخضرار . . . والجولان . . . تحول الى مرصد للعدو .

نتابع توغلنا قليلاً ، بدت السيارات التي ترتقي هضبة الجولان واضحة لنا كل الوضوح . . أشار مرافقنا الى جسر مقصوف ومدمر . . قال : انه جسر خط سكة الحديد الذي كان يصل بين فلسطين وغيرها من الأقطار العربية .

ثم نقرأ لافتة « الحمة » انها الحمة السورية المحتلة ، . . مساحة خضراء واطئة بين جبلين . . لو رميت حجراً لأصاب الصبي الراكض أمام مسجدها ، . ولو رميت حجراً آخر لأثرت دوائر كثيرة في برك المياه الدافئة والساخنة التي تحيط بها .

ثم نصل الى الحمة الأردنية التي تبعد عن الحمة السورية بضعة أمتار . نرتقي جبلاً آخر . . هدفنا كان موقع ما سمي بسد المخيبة « خالد بن الوليد » ، بدا الأفق يكتسي بحمرة الغروب ، وأصبح الصمت تسبيحة خوف تنشك في القلوب . . ثم فجأة . . . مرصد آخر للعدو . . . عندها أوقف مرافقنا المهندس السيارة . . . وأشار الى أسفل الوادي وقال انه وادي نهر اليرموك ، . أنظروا !

مجموعة من الآلات والمكائن المعطوبة . . كانت في قعر الوادي . . .

ثم أشار الى يميننا . . وقال : أنظروا أيضاً نفق طولي تم شقه بين حافتي الجبلين اللذين يخترقهما نهر اليرموك بين الأردن وسوريا . . . ثم تراءت على رؤوس التلال مكاتب الشركات التي كانت قد بدأت تنفيذ . . المشروع . . . الأمل مشروع سد المخيبة أو سد خالد بن الوليد .

لقد قصف العدو الصهيوني المكاتب والآلات ومراكز التحويل ، اعتباراً من سنة ١٩٦٤ ، وتم الهجوم على مراكز التحويل عدة مرات ، آخرها سنة ١٩٦٧ أثناء حرب حزيران . ومازالت الآلات رابضة في أماكنها اشارة ورمزاً على محاولة تحقيق الأماني والأحلام . .

فهل هو العجز الذي يختزله وضع الآلات المعطوبة ، أو المكاتب المهجورة ، أو النفق الذي بقي مجرد حرث طولي بين الصخور ؟

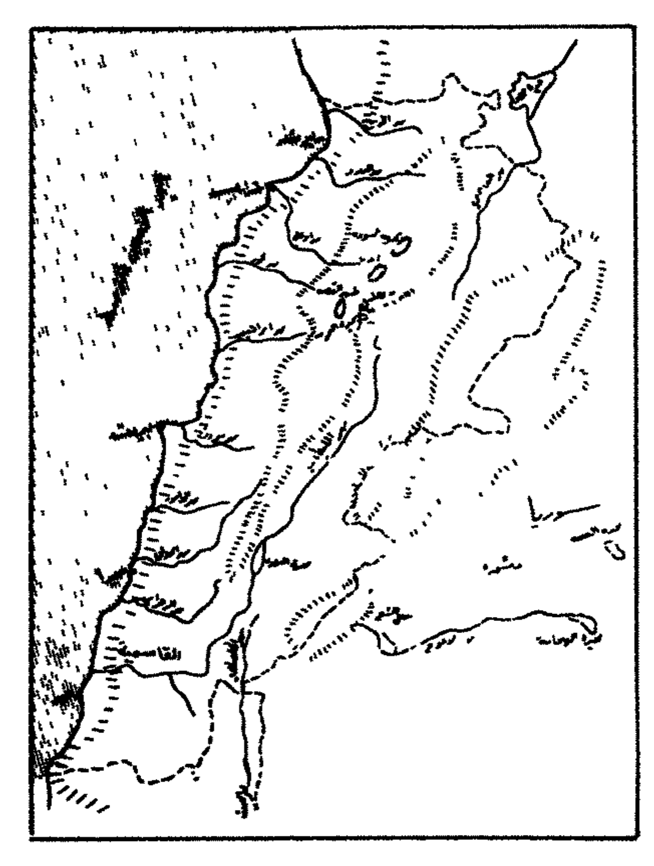
تحبك النكتة المرة معنا فنقول : بناء سد المخيبة تحول الى خيبة ! نعم هو ذلك !

الدور البريطاني :

لكن . . قبل المضي في نقل المشاهدات والانطباعات ، دعنا ننقل لك عزيزي القارىء . . بعض أطراف الحكاية من أولها . . . .

. . كان . . يا مكان . . . ـ نهزل بمرارة ـ عدواً يرسم على الورق مخططاته ومشاريعه . . . فأصبحت أحلامه حقائق ، وأوهامه مشاريع ، تشق قلب الحياة في أقطار أمتنا . وتحولت حقائقنا الى أحلام وأماني ! . .

من المؤكد أن بداية مسيرة المأساة « الدرامية » للمياه ومصادرها في منطقة بلاد الشام لم تقم بعد خطاب رئيس الوزراء الاسرائيلي ديفيد بن غوريون سنة ١٩٥٥ :



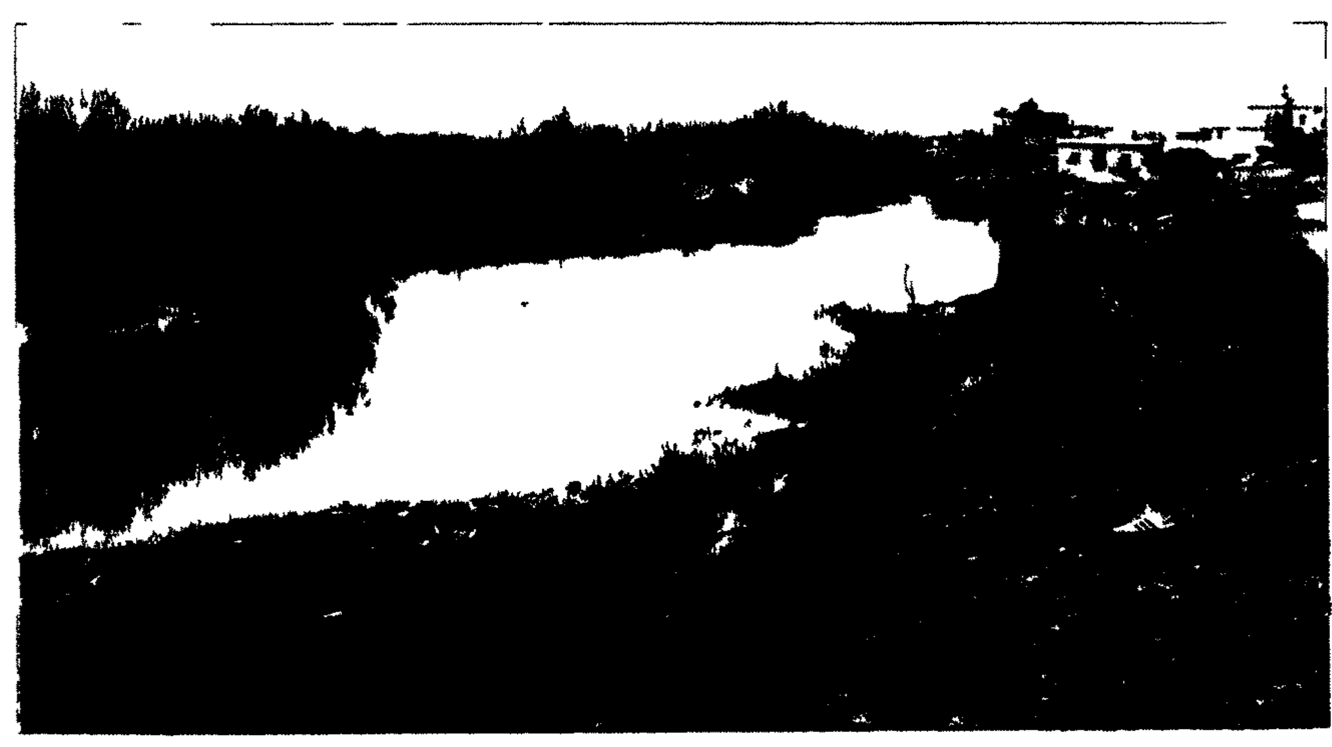
خريطة الجمهورية اللبنانية تظهر الانهار المهمة فيها ومنها الليطاني (عن كتاب « اسرائيل » والمياه العربية) لعفيف البزري .

بحيره طبريا   مصب اهم انهار بلاد الشام   لاحظ مدينه طبريا في عمق الصوره



جسر - الوصل - المضروب على نهر اليرموك   يقع عند أخطر نقطة في الحدود السورية الاردنية الفلسطينية

قناه لغور السرقيه   عليها نقوم الحياه والزراعه في منطقه لاعد   سه



نهر الليطاني   اثناء مروره بقريه المرج الماعيه   قبل ان يلتقي بقريه الاخرى

«ان اليهود يخوضون اليوم مع العرب معركة المياه ، وعلى مصير هذه المعركة يتوقف مصير « اسرائيل » واذا لم ننجح في هذه المعركة فاننا لن نكون في فلسطين » .

« اذ انه من الثابت ـ وقبل القاء هذا الخطاب ـ أن عدة مشروعات تم انجازها على الأرض ، ومخططات تم تقديمها الى الهيئات الدولية من قبل المنظمات الصهيونية ، يقول المهندس صبحي كحالة ـ أحد أهم الكفاءات التي تعاملت مع موضوع المياه ، اشرافاً ، ومسؤولية وادارة ـ في كتابه « المشكلة المائية في (اسرائيل) وانعكاساتها على الصراع العربي الاسرائيلي : « البحث في المشكلة المائية في فلسطين قديم قدم نشوء الحركة الصهيونية نفسها ، فمنذ أن بدأ حلم استعادة أرض صهيون يراود مخيلة قادتها حوالي منتصف القرن الماضي ، أدرك هؤلاء القادة أن تحقيق أهدافهم في تهجير ملايين اليهود الى فلسطين ، لن يتم الا بالتوسع في السيطرة على أرضها ، وان التوسع في استغلال الأرض لن يتم الا بتأمين كميات كافية من المياه لاروائها ، وبالهيمنة الكاملة على مصادرها » .

ويضيف المهندس كحالة :

« ومنذ عام ١٨٧٣ ، تجلى التعاون الكامل بين الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية الناشئة وقتذاك ، حين أوفدت الجمعية العلمية البريطانية بعثة من الخبراء والمهندسين الى فلسطين ، لتقصي ما فيها من موارد طبيعية ومنها المياه .

وقد كان في التقرير الذي نشرته هذه البعثة عام ١٨٧٥ ، أول اشارة الى الدعوى اليهودية القائلة بامكان اتساع فلسطين والنقب لاسكان الملايين من البشر ، وبأن من الممكن ري صحاري الجنوب اذا أمكن نقل بعض كميات المياه الموفورة في شمالي فلسطين الى جنوبها تحقيقاً لهذا الغرض » .

لذلك فان إقامة أول مستعمرة صهيونية في نهاية القرن الماضي في شمال فلسطين بالقرب من مصادر المياه . . لم تكن حالة « اعتباطية » بل جاءت جزءاً من التوجه الصهيوني العام الذي استمر في محاولات التسلل الى الأرض ، وتقديم مشروعات متتالية للهيئات الدولية . .

فقد تقدمت المنظمات الصهيونية الى مؤتمر الصلح المنعقد اثر الحرب العالمية الأولى بتاريخ ١٩١٩/٢/٣ ، بمطالب مهمة تتعلق بتخطيط حدود فلسطين ، جاء فيها :

« أن حدود فلسطين يجب ان تسير وفقا للخطوط العامة التي تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، بجوار مدينة صيدا ، وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان ، حتى تصل الى جسر القرعون ، فتتجه الى البيرة ـ قرية في البقاع اللبناني ـ متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم ـ في لبنان ـ ثم تسير في خط جنوبي متتبعة الخط الفارق بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ ، حتى تقترب من الخط الحديدي الحجازي الى الغرب منه . وفي الشرق يحدها خط يسير بمحاذاة حدود يجري الاتفاق عليها مع الحكومة المصرية ، وفي الغرب البحر الأبيض المتوسط »



المهندس صبحي كحالة

واضح في رسم هذه الحدود انها لم تتضمن السيطرة على انهار منطقة بلاد الشام فحسب ، بل السيطرة على منابعها ايضا .

الا أن اختلاف مصالح الاستعمارين الفرنسي والانكليزي اللذين اقتسما بلاد الشام بينهما ، عطل جزءاً من المشروع الصهيوني . لأن بعض منابع ومسارات بعض الأنهار كانت تقع في « الحصة » الفرنسية .

ومع ذلك فان المنظمات الصهيونية والت جهودها لاقتناص أية فرصة للحصول على ما يمكن الحصول عليه

وهكذا فان شركة روتنبرغ اليهودية حصلت سنة ١٩٢٦ على امتياز لاستثمار مياه نهري الأردن واليرموك عند نقطة تلاقيهما عند جسر المجامع الأردني ومستعمرة نهاريم اليهودية ، لتوليد الطاقة الكهربائية لمدة سبعين سنة ، مما وضع قيودا على الأردن ، وحد من حريته في استغلال مياه نهر اليرموك لأغراض السقاية وغيرها

وبذلت سلطات الانتداب البريطاني كل مساعدة ممكنة للمنظمات الصهيونية ، كي تسيطر على امتياز شركة بحيرة الحولة وتجففها وتستثمر اراضيها اعتبارا من سنة ١٩٣٤ وقد نفذ المشروع اعتبارا من سنة ١٩٥١م

وقد ساهمت سلطات الانتداب البريطانية قبل وعد بلفور سنة ١٩١٧ وبعده بتسهيل تسليم فلسطين الى الصهاينه

من الفــرات الـى النيــل :

وقام الكيان الصهيوني سنة ١٩٤٨ ، الا ان أطماع هذا الكيان بالمياه العربية المحيطة بقيت كما كانت عليه قبل نشوء الكيان ، بل ان الالحاح على تأمين المياه أصبح من الأمور المهمة جدا لسد احتياجات سيل المهاجرين ، الذي اخذ يزداد يوما بعد يوم وهكذا توالت حروب السيطرة على المياه

« أن يحدد الكيان الصهيوني في بعض أدبياته حدود امتداده من الفرات الى النيل فان هـذا يعني ان هناك رغبة اكيدة في الاستئثار بالمياه بل ان تعريف الأرض بالانهار ما هو الا دلالة اكيدة على طبيعة التوجه والخطر المحدق بالنهرين وبالمنطقة الممتدة بينهما »

هكذا قال لنا السيد ميشيل حمارنة وكيل وزارة الاعلام الاردنية عندما التقيناه في عمان

فهل آن أوان الخطر على هذين النهرين ؟

قال لنا المهندس صبحي كحالة ـ مهندس الكثير من مشروعات المياه في الأردن وسوريا ومنها مشروع سد خالد بن الوليد المضروب

خــزان الميــاه :

يقول عفيف البزري في كتابه « اسرائيل والمياه العربية »

« يشكل الحرمون ـ جبل الشيخ ـ الذي يزيد ارتفاعه على ألفين وثمانمائة متر عن سطح البحر مع هضبة الجولان ، خزان مياه المناطق الجنوبية لبلاد الشام فمليارات أطنان الثلوج التي تتساقط على قمم جبل الشيخ ، والأمطار الغزيرة التي تنهمر على

« ان مصادر المياه المتاحة داخل فلسطين المحتلة قد تم الكشف عنها وتم استغلالها ، ولذلك فان الزيادة في عدد السكان ، واستصلاح اراض للزراعة ونمو الصناعة تحتاج كلها الى مصادر جديدة للمياه ، فاذا عرفنا ان اكثر من ٩٥/ من مصادر المياه قد تم استغلالها ، فهذا يعني أن الكيان الصهيوني يبحث عن مصادر جديدة ومع انه استعمل كل ما هو متاح من مصادر

ـ كتحلية المياه المالحة واعادة استعمال مياه المجاري والمصانع بعد تصفيتها

ـ محاولة وقف التبخر من بحيرة طبريا واستمطار الغيوم وحجز مياه السيول والتخزين الجوفي لمياه الشتاء ، ومزج المياه المالحة بالعذبة ، والاقتصاد والحد من استعمالات المياه كل ذلك جربه العدو الصهيوني

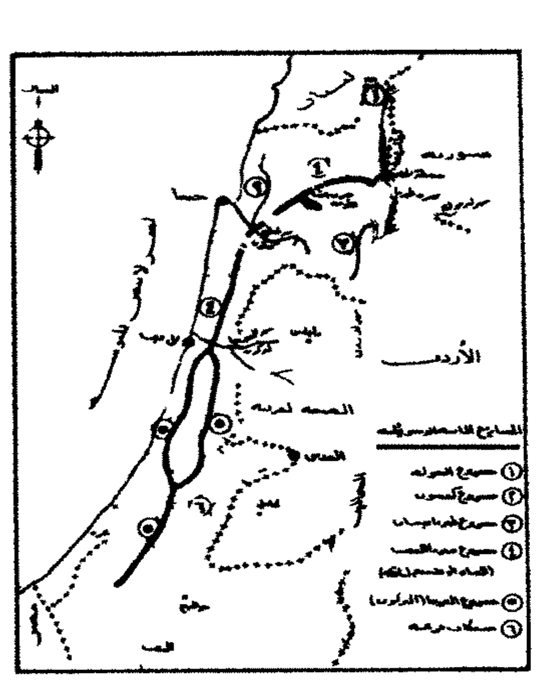
والنتائج ؟

ـ « فيما عدا عمليتي تحلية مياه البحر وتكريرها (امكاناتهما محدودة) فان العدو استنفد كل الوسائل المتاحة له داخليا ، ووصلت كميات المياه المنتجة والمتاحة الى حدودها القصوى »

والحل ؟

ـ انا وجها لوجه امام السؤال الملح من أين سيأتي العدو الصهيوني بالمياه كي تستجيب لمشاريعه الاستيطانية والتوسعية المستمرة ؟

عزيزي القارىء قبل ان نجيب عن هذا السؤال فانه يحسن بنا متابعة الخطوات التي اتخذها العدو للسيطرة على مصادر المياه القريبة من حدود الأراضي التي احتلها سنة ١٩٤٨ ، وأخذ يقضم غيرها بعد هذا التاريخ



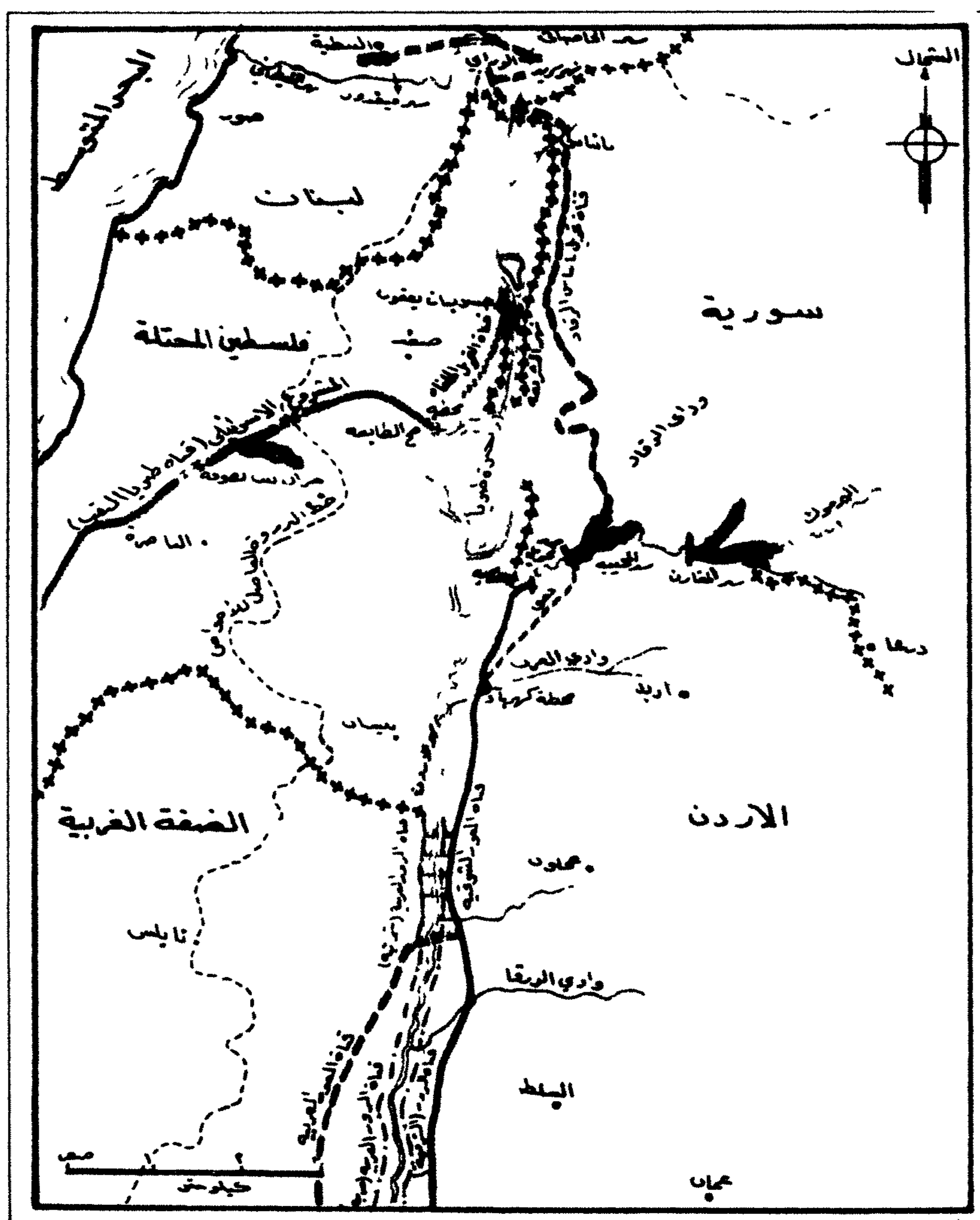
المشاريع المائية الاسرائيلية
تم تنفيذها قبل حرب ١٩٦٧ وبعدها (عن كتاب « المشكلة المائية في « اسرائيل » وانعكاساتها على الصراع العربي - الاسرائيلي) للمهندس صبحي كحالة



مياه الأردن الأسفل أملح من الدموع حتى السمك لا يعيش فيها !



جسر الملك حسين أو جسر اللنبي سابقا ، بوابة الى قسم من الوطن أصبح تحت الاحتلال



المشروع العربي لتحويل روافد نهر الاردن سنة ١٩٦٤ - (عن كتاب « المشكلة المائية في « اسرائيل » وانعكاساتها على الصراع العربي - الاسرائيلي) للمهندس صبحي كحالة

سفوحه وعلى هضبة الجولان ، والتي تتجاوز الألف وثلاثمائة مليمتر سنويا ، تتسرب كميات كبيرة منها بعد تغذية مياه السطح ، بعيدا في أعماق الأرض لتشكل المياه والأنهار الجوفية التي تغذي ينابيع نهري الأردن واليرموك وفروعهما وجداولهما (بانياس ، الحاصباني ، دان ، الوزاني ، الرقاد وغيرها) » .

والنقطة ـ القاتلة ـ في هذه الانهار انها تقع على ما يسمى بالحدود المشتركة الأردنية السورية الفلسطينية المحتلة . بعضها يصب في بحيرة طبرية مباشرة كالحاصباني والوزاني ودان والأردن الأعلى ، وبعضها يصب في مجرى نهر الأردن الأسفل ، أي اثر خروجه من بحيرة طبريا ، كنهر اليرموك (يلتقي بالأردن الأسفل بعد مسافة حوالي عشرة كيلومترات من البحيرة) .

ان وضع هذه الأنهار وجريانها في مجار مشتركة ، جعلها عرضة للخلافات والتعدي على « حقوق » معروفة ومنصوص عليها في القانون الدولي .

وبما أن العدو الصهيوني اقام كيانه من منطلق الاغتصاب ، وتجميع اكبر عدد من اليهود في مساحة من الأرض محدودة في المساحة والموارد ، لذلك فانه يلجأ الى متابعة حالات الاغتصاب بين الحين والآخر ، وذلك كي يستجيب الى الحاجات المتزايدة لمستوطنيه ارضا وماء .

وهكذا اصدرت السلطات الصهيونية منذ عام ١٩٤٩ تشريعا يؤمم المياه ، ويقنن استثمارها ، ويعتبرها كملك عام من حق الدولة فقط أن تتصرف فيها ، ملغيا كل حق للأفراد عليها .

ثم انشأت شركة « تاهال » لتخطيط ودراسة وتصميم كل ما يتعلق بالمياه ومصادرها اضافة الى شركة « ميكوروت » التي كانت قائمة من قبل ، وتولت الشركتان تنفيذ كل ما يتعلق بمشروعات المياه ومصادرها المتاحة داخل فلسطين المحتلة .

الا أن ذلك لم يلب أو يف بالأطماع الصهيونية . فتم وضع المخططات « لسرقة » مياه نهر الأردن وفروعه .

يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه :

« فبعد أن ثبت عجز الآبار المحفورة في مستعمرات النقب ـ صحراء في جنوب فلسطين ـ عن تأمين حاجة



السيد ميشيل حمارنة

المنطقة من المياه ، تقرر عام ١٩٥٤ البدء بتنفيذ نقل مياه نهر العوجا ـ ينبع من جبال نابلس ويصب في البحر شرقي مدينة تل ابيب ـ والينابيع التي تغذيه الى النقب الشمالي لارواء أراضيه الخصبة ، وصُمم المشروع بحيث يشكل حلقة اساسية متكاملة ، مع انشاء القناة الرئيسية المقررة لنقل مياه نهر الأردن وروافده من الشمال الى اراضي النقب في الجنوب » .

عند هذه « العقدة » بدأت نذر الاصطدامات تتوالى . . لقد جفف الاسرائيليون بحيرة الحولة قبل ذلك ـ سنة ١٩٥١ ـ ومع أن سوريا حاولت ايقاف العمل . . تارة بواسطة القوة العسكرية ، وأخرى بواسطة الشكاوي الى الأمم المتحدة . الا ان الغاصب الصهيوني المحتل أنجز المهمة ، وانتقل الى غيرها . .

مشروع جونستون :

حدثت صدامات أخرى خاصة عندما بدأ العمل الجدي بتحويل الأردن ، فتحركت أميركا وأرسلت جونستون الى المنطقة سنة ١٩٥٣ ، ثم تكررت الزيارة لاربع مرات آخرها كان سنة ١٩٥٥ هدفت الى :

« محاولة اقناع الأطراف بالموافقة على اقامة مشروع

استثماري موحد للموارد المائية في حوض وادي الأردن . .

وقد قدر المشروع كميات مياه حوض الاردن بـ ١٢١٣ مليون متر مكعب . تم الاقتراح بتوزيعها بالشكل التالي :

- ٧٧٤ مليون متر مكعب للاردن .
- ٤٥ مليون متر مكعب لسورية .
- ٣٩٤ مليون متر مكعب للكيان الصهيوني .
- لاشيء للبنـــان .
- اقامة سدود على الحاصباني واليرموك ، وانشاء عدة اقنية في المنطقة . وقد رفض العرب المشروع ، لكونه :

اهمل تخصيص أية كمية من المياه للبنان ، واكتفى بتخصيص كمية رمزية لسورية ، بالرغم من انهما يغذيان النهر باكبر قسط من المياه ، ولم يخصص للاردن ما يكفيه ، واعطى العدو الصهيوني اكثر مما يستحق . اضافة الى ان المشروع كان يتضمن تحويل مياه اليرموك الى بحيرة طبرية مما يجعل الكيان الصهيوني هو المتحكم بتزويد الاردن وسوريا بحصتيهما .

ورفض الكيان الصهيوني المشروع ايضا وطالب بـ ١٢٩٠ مليون متر مكعب من المياه ، بل وأصر على ادخال مياه الليطاني في المشروع - مع ان الليطاني نهر لبناني صرف منبعا ومصبا - وطالب بـ ٤٠٠ مليون متر مكعب حصة له منه .

واضح ان الكيان الصهيوني كان يطرح شروطا تعجيزية لافشال المشروع من أساسه . . كي يستكمل مشروعاته الخاصة القاضية بالسيطرة على كامل مياه النهر .

ويمكن الاشارة الى ان المشروع الأميركي لم يخف وجهه السياسي الواضح الأبعاد الملاصق للوجه الاقتصادي .

تذكر الباحثة ليزلي شميدا في كتابها « الصراع على المياه » النص التالي الذي جاء على لسان جونستون نفسه سنة ١٩٥٤ في جامعة كورنيل الأميركية :

« لقد وضعنا برنامجا شاملا متكاملا لتطوير حوض الأردن ، سوف يعتبر على الأقل بداية لحل عملي بناء وطويل الأجل لمشكلة اللاجئين ، وبالتالي يساعد في القضاء على جو المرارة والاستياء في المنطقة » .

وقد تنبهت الباحثة شميدا وغيرها من الباحثين الى هذا الهدف ، فأنكرته كحل « اقتصادي » لمسألة سياسية . . . فقالت :

« ١ - انه من غير الملائم او المناسب أن تسوى مشكلة سياسية بصفة جوهرية بوسيلة اقتصادية .

٢ - ان سياسات المياه في الكيان الصهيوني عكست التطلعات السياسية غير القابلة للتفاوض ، كما ان الاسرائيليين لم يكونوا راغبين ابدا في الزام انفسهم بأسس وقواعد لاستغلال المياه ، يمكن أن تؤدي الى تقييد حريتهم في القيام بأي عمل من جانب واحد » .

تحويل نهر الأردن :

استأنف العدو الصهيوني العمل في تحويل نهر الأردن الى النقب اعتبارا من ربيع سنة ١٩٥٦ واعتمد التصميمات التالية :

١ - اعتماد بحيرة طبرية كمركز لتخزين مياه الفيضانات .

٢ - تأمين كامل الكميات المطلوبة للمشروع من المياه بضخها مباشرة من بحيرة طبريا .

- تنبه العرب بعدها لما يقوم به العدو الغاصب ، فدعت الجامعة العربية سنة ١٩٦٠م الى تحويل روافد الأردن اذا ما استمر العدو في مخططات تحويل النهر .
- وفي سنة ١٩٦٤ اعلن الاسرائيليون انهم على وشك الانتهاء من انجاز المرحلة الأولى من ايصال مياه الأردن الى النقب .

وردا على ذلك دعا الرئيس الراحل جمال عبدالناصر الى مؤتمر القمة الأول سنة ١٩٦٤ الذي عقد في القاهرة .

وكان من نتائجه :

- قرار تحويل روافد الأردن ، وتشكيل هيئة سميت باسم « هيئة استغلال مياه نهر الأردن وروافده » تتولى مهمة وضع التصاميم والاشراف على تنفيذ سلسلة من العمليات الهندسية في لبنان وسورية والأردن برئاسة المهندس صبحي كحالة .

ويتلخص المشروع العربي بالتالي :

- تحويل مياه ينابيع الحاصباني الى حوض الليطاني .



شلالات تل شهاب في سوريا



أطفال يلعبون في احدى قرى الأغوار



الجبال محتلة وزراعات الاغوار العربية يمكن تهديدها في أية لحظة !



الحمة السورية المحتلة . . . لاحظ ينابيع المياه التي تحيط بها .

- تنفيذ ما يلزم من انشاءات لاستثمار ينابيع الوزاني وبانياس .
- انشاء سد في موقع المخيبة في الأردن على نهر اليرموك لاقتسام المياه بين الأردن وسوريا وتوليد طاقة كهربائية منه .
- تعلية قناة الغور الشرقية لمضاعفة تصريفها من ١٠ الى ٢٠ مترا مكعبا في الثانية .

وعندما جد العرب وبدأوا بتنفيذ مشروع المخيبة . . . توالت التهديدات الاسرائيلية لسوريا ولبنان والأردن ، ثم حدثت اعتداءات عسكرية على مراكز وورش تحويل الأنهار في سورية والأردن - منها موقع المخيبة الذي ذكرناه في بداية هذا الاستطلاع - وهكذا حصل التقطع وعدم الثبات والاستمرارية في مشاريع تحويل روافد الأنهار . . الى أن شن العدو الصهيوني حرب عام ١٩٦٧ فقضى على كل المنشآت التي كانت قائمة لتحويل روافد نهر الأردن ، وتم احتلال الضفة الغربية والجولان وسيناء أيضا .

وبذلك تخلص الاسرائيليون من « مضايقات » السوريين والاردنيين الى حين ، وأصبحوا مطلقي الأيدي في التصرف بطبريا وحوض نهر الاردن الأعلى بكامله .

وقد قال ايغال ألون نائب رئيس الوزراء الاسرائيلي ومنظر حزب العمل المعروف في تلك المرحلة :

« ان لهضبة الجولان ولمنحدر جبل الشيخ اهمية حيوية ، لا من أجل الدفاع عن مستوطنات وادي الحولة ضد الرمايات السورية فحسب ، وانما ايضا لحاجات « اسرائيل » الاستراتيجية الشاملة في الاشراف على الجولان . فهذا الأمر يتعلق بالدفاع عن الموارد الأساسية لمياهنا ، وبالدفاع عن الجليل الأعلى والأسفل ، وبالدفاع عن الأردن الأعلى والأوسط (- وادي الحولة وبحيرة طبريا والوديان المحيطة بها ، ووادي بيسان) .

نتائج التحويل :

هكذا . . . انتهى الأمر بتحويل نهر الأردن الأعلى الى النقب ، وتم نقل ما يزيد على ٥٠٠ مليون متر مكعب من المياه بواسطة قناة تمتد من الحدود الشمالية لبحيرة طبريا ، ثم تتعرج ناحية الغرب لتمر بخزان بيت نطوفة ، ثم تتابع انحدارها نحو الجنوب الغربي لتلتقي بمشروعات : نهر المقطع - كيشون - القريب من حيفا ، ونهر العوجا - اليركون - قرب تل أبيب وشبكات أخرى فرعية . . وصولا الى النقب .

وقد نتج عن تحويل نهر الأردن الأعلى ما يلي :
- زيادة الملوحة في بقايا النهر بعد خروجه من بحيرة طبرية وسيره بين الضفتين الشرقية والغربية وصولا الى البحر الميت .
- كي تتغلب « اسرائيل » - على ملوحة المياه ، خاصة وأن بيسان تحتاج الى المياه العذبة - فانها أنشأت قناة طبريا - بيسان لنقل المياه العذبة أو المنقاة من الملوحة .
- انخفاض مستوى الماء في البحر الميت - وصل الى ٣٩٤ مترا تحت سطح البحر - مما سيؤثر على المشروعات الصناعية الأردنية المقامة عليه .
- حرمان ١٥ كيلومترا مربعا من الأراضي السورية من السقاية المناسبة .
- حرمان حوالي ٤٠ ألف دونم في الأردن من امدادات المياه العذبة ، والحيلولة دون تطوير ٨٠ ألف دونم أخرى .
- استبدال المياه المالحة في حوض الأردن الأسفل - المتجة من طبريا الى البحر الميت - والاعتماد على مياه نهر اليرموك المنقولة بواسطة قناة الغور الشرقية .

هذا وقد لجأت سوريا والأردن اثر حرب عام ١٩٦٧م الى استغلال السيول والأنهار الفرعية التي تصب في نهر اليرموك وأقامتا سدودا صغيرة عليها . بعد أن جمدت الخلافات بينهما مشروع اقامة سد نهر المقارن على مجرى نهر اليرموك الفاصل بين القطرين . خاصة وأن « اسرائيل » تطالب برفع نصيبها منه في حال انجاز السد من ١٧ مليون متر مكعب الى ٤٠ مليونا ، وتطالب بتخصيص ١٤٠ مليون متر مكعب اخرى بدعوى انها تريدها للضفة الغربية .

يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه المشار اليه سابقا :

« قام القطر العربي السوري خلال العشر سنين الأخيرة ، ومازال يقوم ، بتنفيذ العديد من المشاريع الزراعية في منطقة حوران ، واستعان لتأمين المياه لريها بانشاء عدد من السدود السطحية الصغيرة لحجز مياه الوديان والينابيع ، واستثمارها في هذه الينابيع

ـ المزيريب (اقيم سد صغير على بحيرة المزيريب منذ سنة ١٩٤٣) تل شهاب ، جلين ، زيزون ، الشيخ مسكين وغيرهـا ـ ، الأمر الـذي أدى الى تعـديـل مساهمة اراضي القطر العربي السوري في تغذية مياه النهر من معدل ٤٠٠ مليون متر مكعب الى معـدل ٢٢٠ مليون متر مكعب سنويا » .

وقال المهندس محمد بني هاني نائب رئيس سلطة وادي الأردن . . الذي قابلناه في عمان : « لاشك ان الأردن هو المتضرر الأساسي من تحويـل نهر الأردن الأعلى الى النقب . لذلك فاننا لجأنا الى عدة اجراءات كي نقلل من المصائب التي نـزلت عـلى فـلاحينـا وأراضينا ومياهنا الوطنية ، منها :

ـ استغلال جميع مصادر المياه المتوفرة بأعلى كفـاءة ، كـاستعمال بعض شبكـات المياه المـدفونـة بدلا من المفتوحة ، واستعمال الباطون للارضية ، واستخدام وسـائـل التنقيط للري ، والاستعـانـة بـالأنـابيب المضغوطة ، واستعمال البيوت البلاستيكية .

ـ استغلال الأودية والأنهار الجانبية المتبقية ، واقامـة سدود صغيرة عليها ، كسد وادي العرب ، وسد على نهر الزرقاء ، (سد الملك طلال) ، وسد الكفرين ، وسد وادي شعيب وشرحبيل بن حسنة وغيرها .

ـ مد مياه الأغوار الشرقية حوالي ١٤ كيلو (يصبح طولها حوالي ١١٠ كيلوات) أي انها اصبحت تغطي المنطقة الممتدة من مثلث اليرموك القريب من بحيرة طبرية الى طريق القدس القديم القريب من البحـر الميت .

ـ تم التنقيب عن المياه الجوفية في المنطقة ، وتوصلنا الى بعض النتائج الجيدة ، خاصة في المخيبة وبالقرب من وادي العرب .

ـ تفتيت الملكيات الزراعية الكبيرة ، وجعـل سقف الملكية في الأغوار حوالي ٢٠٠ دونم ، وذلك لـربط الفلاحين بالأرض . ونتائج ما بذلناه تمثلت في زيادة الرقعة الزراعية المروية ، وزيادة الكثافة السكانية التي نأمل ان تصل الى مائة ألف .

مياه الضفة الغربية :

ذكـرنا في فقـرة سابقـة ان السلطات الصهيونيـة طالبت « بحقوق » الضفـة الغربيـة المحتلة من مياه اليرموك . . فما الذي تم بالنسبة لمصادر المياه فيها ؟

تقول الباحثة ليزلي شميدا في كتابها « الصراع على المياه » : « الحقيقة أن ثلث استهلاك « اسرائيل » من المياه قبل عام ١٩٦٧م والبالغ بليون وستمائة مليون متر مكعب جاء من الضفة الغربية ، بعد ان قامت بحفر آبار على جانب خط الهدنة مباشرة .

وقد تراوح حجم المياه العربيـة السنوي الـذي تسيطر عليه « اسرائيل » منذ عام ١٩٦٧ بين ستمائة الى سبعمـائة مليـون متر مكعب (ميـاه جـوفيـة في معظمها) ، أي ما يساوي تقريبا مجموع الزيادة في استهـلاك « اسـرائيـل » من الميـاه منـذ اواسط الستينيـات . وبمعنى آخر فـان توسيـع المستوطنـات الاسرائيلية والزيادة في انتاجها الـزراعي منذ ذلـك الوقت انجز في الحقيقة بمياه الضفة الغربية وأعلى نهر الاردن » .


د محمد بني هاني

وتضيف البـاحثـة : ان النـوايـا والأهـداف الاسرائيلية في سياستها المائية في الضفة الغربية يمكن توضيحها بنشاطات حفر الآبار فحتى أغسطس ـ آب سنة ١٩٨٢ قامت « اسرائيل » بحفر ٣٢ بئراً جديدة على الأقل في المنطقة ، تستغل من قبل الاسرائيليين فقط ، في حين ان الفلسطينيين حصلوا على الاذن بحفر ٧ آبار جديدة فقط لـلاستهلاك المنزلي ، ولم يحصلوا على أي تصريح لحفر أي بئر يمكن استعمالها للري .



في هذا الموقع كان من المفترض انشاء سد المخيبة - خالد بن الوليد .

اضافة الى ذلك فان الآبار الاسرائيلية أعمق ، وبالتالي تضخ مياها اكثر من الآبار العربية . ففي عام ١٩٧٧م ضخت ١٧ بئرا اسرائيلية في وادي الأردن ما مجموعه ١٤ مليون متر مكعب من المياه ، بينما ضخت ١٠٦ آبار عربية ١٢ مليون متر مكعب فقط . وقد أصبحت هذه مشكلة رئيسية بالنسبة للفلسطينيين ، لأن الكثير من الآبار الاسرائيلية حفرت على مقربة من الآبار والينابيع العربية ، وكانت نتائج ذلك في أغلب الأحيان مدمرة ، مما زاد الملوحة فيها » .

اليرموك :

تساءلنا في صفحة سابقة عن مصادر المياه التي يمكنها أن تلبي مشروعات الاستيطان الصهيونية ، والزيادة السكانية المرفودة بهجرات اليهود من شتى أنحاء العالم . . وترجيحات الخبراء والمختصين انصبت على مصدرين :

الأول : مصادر داخلية ذكرنا امكاناتها وآفاقها .

الثاني : مصادر خارجية تتمثل في نهري اليرموك ، والليطاني .

بالنسبة لنهر اليرموك (طوله من منبعه حتى مصبه حوالي ٥٧ كيلومترا) فانه مصدر حيوي واساسي حتى لمياه « الشفة » الشرب للأردن وسوريا ، وكان من المؤمل انشاء سدين عليه هما : المخيبة أو خالد بن الوليد ، الذي دمر العدو الصهيوني منشآته في حرب عام ١٩٦٧م وقبلها . وسد المقارن الذي وضعت كل الدراسات لانجازه ، بل تم اعتماد التمويل اللازم لهذا الغرض ، وكان يمكن له لو انجز ان يحجز حوالي ٤٠٠ مليون متر مكعب يمكنها الاستجابة الى كل المتطلبات الزراعية وسد الحاجات الأخرى ، كمياه الشرب او المساهمة في مخططات الصناعة وغيرها في الاردن .

الا ان مطالب الكيان الصهيوني المغالية في حقه بمياه اليرموك (يمر اليرموك في الاراضي العربية المحتلة عدة كيلومترات لا يستحق عليها العدو كما قدر ذلك الكثير من خبراء الري الا ١٧ مليون متر مكعب فقط) ، وسيطرة العدو الصهيوني على هضبة الجولان أعاقا أية محاولة لاقامة سد على الحدود أو بالقرب منها ، اضافة الى عدم وجود اجواء عربية مناسبة ذكرناها من قبل .

فهل يكون اليرموك هدفا للعدو . . اذا ما وجد ان كل مصادر المياه المتاحة له لا تستجيب الى طلبات الأرض والسكان المتزايدة على المياه ؟

وما هي علاقة الليطاني بالكيان الصهيوني ؟ . . مع

العلم بأن كل المسافة التي يقطعها النهر من منبعه بالقرب من بعلبك في منطقة البقاع اللبنانية الى مصبه في منطقة القاسمية في البحر الأبيض المتوسط هي مناطق لبنانية كاملة (طول النهر حوالي ١٤٥ كيلومترا) .

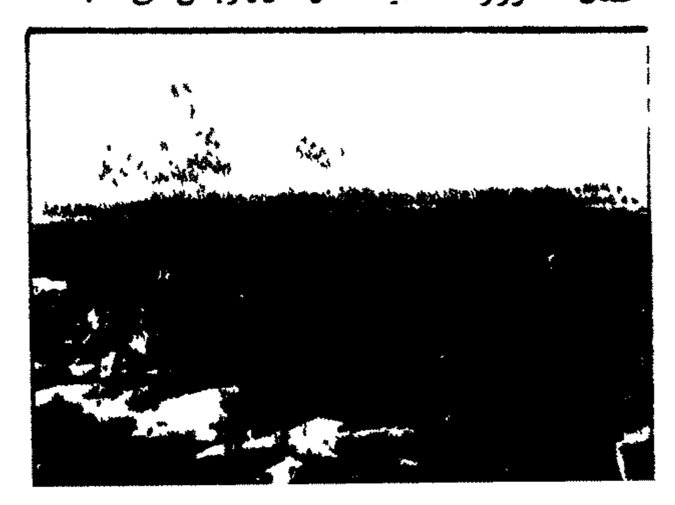
يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه : « ان مشكلة المياه في « اسرائيل » مازالت قائمة ، وانفراجها خلال سني السبعينيات اثر استيلائها على مصادر المياه العربية وتصرفها دون رادع ، هو انفراج مؤقت . ومن المؤكد ان ازمتها المائية ستزداد في العقود القادمة ـ صدر الكتاب سنة ١٩٨٠ ـ مادامت سياستها التوسعية مستمرة ، ومادام اصرارها على توطين المزيد من ملايين المهجرين اليهود في ارض فلسطين مسيطرا » .

وقال لنا المهندس كحالة نفسه عندما قابلناه في دمشق (١٧/١٢/١٩٨٤) : « ساعتقادي أن أزمة المياه ستبرز واضحة في الكيان الصهيوني في عقد التسعينيات » .

وتقول الباحثة شميدا في كتابها « في عام ١٩٩٠ سوف تحتاج « اسرائيل » الى ما بين أربعمائة الى أربعمائة وخمسين مليون متر مكعب اضافية من الماء لمواجهة الاستهلاك المنزلي فقط ، مما يعني أنه يتوجب على « اسرائيل » مضاعفة استهلاكها الكلي من الماء ، اذا كانت تريد تجنب انخفاض مستوى المعيشة والانخفاض في نموها الاقتصادي » .

فما هو المصدر الأقرب الى عيون المراصد والمصالح الاسرائيلية ؟

عمال وزراعة محمية وعدو يتربص على الجبال



اليرموك . . أو الليطاني . . هما الهدف . . فهل نعي ذلك . . ونتخذ الاجراءات اللازمة قبل أن يتم وضعنا أمام الأمر الواقع ؟

الليطاني :

انهدام بين جبلين يأخذ مسارا طوليا يمتد من الحدود السورية جنوبي سهل حمص ليحاذي حدود فلسطين الشمالية . . يعتمد عليه لبنان في تموينه بمعظم خضراواته ، . انه سهل البقاع الذي يقع بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية ، اللتين تكتسيان بالثلج في الكثير من أشهر السنة . كان الثلج قريبا من حواف الطرق في بعض المناطق البقاعية التي زرناها (٢٠/١٢/١٩٨٤) .

كان جلال الشيب الذي يحيطنا من طرفي الجبلين يفرض علينا لحيظات من التأمل والتمعن . . وفجأة دوت طلقات المدفعية وظهرت خطوط بيضاء في السماء . . لقد كانت الطائرات الاسرائيلية وهي توالي طلعاتها الاستكشافية . . تقابلها طلقات المقاومين الذين مازالوا على عهد المقاومة .

هذه الوفرة في الثلوج واستمرارها لأشهر معدودة من السنة ، من الطبيعي ان ينتج عنها وجود عدة ينابيع وأنهار في المنطقة : البردوني (يصب في الليطاني) والعاصي (ينبع بالقرب من قرية اللبوة) الذي عصى طبيعة مسار الأنهار ، فاتجه شمالا ليدخل الأراضي السورية ، والليطاني . . تتجمع ينابيعه من بحيرة اليموسة وينابيع العليق والعسل واللبن وغيرها ، ويتجه جنوبا فيمر بالقرى البقاعية . . ثم يتعرج . . ليصل الى منطقة الجنوب اللبناني ، فيسمى بالقرب من الساحل باسم نهر القاسمية ، اقيمت عليه بحيرة القرعون ـ بالقرب من قرية القرعون البقاعية ـ التي وفرت طاقة كهربائية لمعظم المناطق اللبنانية . . . وارتوت من مياهه العديد من القرى والبساتين خاصة في الجنوب ، (بساتين القاسمية الغنية بالحمضيات التي تصل مساحتها الى ٥٠ ألف دونم تقريبا) .

ذكرنا أن الأطماع الصهيونية في مياه نهر الليطاني قديمة . . قدم الحلم باقامة الكيان الصهيوني . . وقد جاء في مذكرة الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن المقدمة بتاريخ ٣٠/١٠/١٩٢٠ الى وزير الخارجية البريطاني



سد صغير بالقرب من قرية الشيخ مسكين بسوريا

انذاك « اني متأكد من أن سيادتكم تدركون أهمية الليطاني الكبرى لفلسطين ، فلو تأمنت لها جميع مياه الأردن واليرموك لن تفي بحاجاتها ، ان الليطاني هو المصدر الذي يمكنه ان يؤمن المياه لري الجليل الأعلى ولتوليد الطاقة الكهربائية لاحياء الصناعة »

وفي سنة ١٩٥٤ قدم الكيان الصهيوني مشروعه البديل للمبعوث الأميركي جونستون ، حول موضوع الأنهار ، وتضمن المشروع المطالبة بحصة من مياه الليطاني تصل الى ٤٠٠ مليون متر مكعب ، ليبقى للبنان صاحب النهر منبعا ومجرى ومصبا ٣٠٠ مليون متر مكعب فقط !!

لم يكف العدو الصهيوني عن المطالبة واستنساخ الفرص المناسبة للسيطرة على مياه الليطاني ، فغزا لبنان سنة ١٩٧٨ وسمى عملية الغزو « بالليطاني » واحتل أجزاء منه ، وتعاون مع مجموعات مسلحة سماها « جيش لبنان الجنوبي » كي تحافظ له على أمن مستعمراته في شمال فلسطين

ثم غزا الكيان الصهيوني لبنان في صيف عام ١٩٨٢ ، بحجة اخراج الفدائيين الفلسطينيين من جنوب لبنان ، فأصبح الليطاني تحت السيطرة الاسرائيلية وقد ذكرت مصادر كثيرة ان « اسرائيل » أقامت منشآت عديدة لتحويل الليطاني والسيطرة على مياه الوراني والحاصباني

ذكرت ليرلي شميدا في كتابها « لقد أجرى المهندسون الاسرائيليون عدة مسارات للتحويل ، وقد اكتملت خطة التحويل الرئيسية هذا النهر منذ عدة سنوات ، وتتكون من مجموعة من القنوات وقنوات الجر والسيفونات والانفاق التي ستحمل مياه نهر الليطاني من جنوب لبنان الى بيت ناتوفا ـ البحيرة الاصطناعية القريبة من بحيرة طبريا ـ حيث تفرغ هناك في خط المياه الذي يمتد الى النقب »

ويقول الدكتور كمال حمدان في دراسة له نشرتها جريدة السفير اللبنانية بتاريخ ١٩٨٤/١/٦ مايلي « كانت الشكوى اللبنانية المقدمة الى مجلس الأمن في آب ـ اغسطس من سنة ١٩٨٤ قد أكدت وجود حفريات بين قريتي كفركلا ودير ميماس اللبنانيتين الواقعتين على اقصر خط نظري بين الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية ومجرى نهر الليطاني » وذلك لتحويل النهر

كما ان مجرى نهري الوراني والحاصباني (يصبان في نهر الاردن قبل وصوله الى بحيرة طبريا) يتعرضان لخطر التحويل الكامل والسيطرة الكاملة على مياههما (طاقة تصريف النهرين من المياه تصل الى حوالي ١٣٥ مليون متر مكعب سنويا)

وبالرغم من انسحاب « اسرائيل » من بعض اجزاء الجنوب اللبناني (انتهت المرحلة الأولى بتاريخ ١٩٨٥/٢/١٨) فإن الخطوط الجديدة لوجود القوات الصهيونية تم تثبيتها على نهر القاسمية بالذات ، ومع أن العدو الصهيوني أعلن أنه سينسحب الى خطوط الهدنة المثبتة اعتبارا من سنة ١٩٤٨م بينه وبين لبنان في

مراحل لاحقة ـ سميت بالحدود الدولية ـ فان مياه الليطاني والوزاني والحاصباني بل والأراضي اللبنانية كلها تبقى ضمن الأطماع الصهيونية المعلنة مرارا وتكرارا ، وان الانكفاء الحاصل ما هو الا ترصد وكمون الانتظار للفرص المناسبة !

جسور الأحزان :

وبعد عزيزي القارىء كانت السماء ملبدة بالغيوم ، وكانت نقط المطر تعانق الأرض العطشى برقة وتؤدة البحر الميت تسمع حفيف أمواجه كأنها أوراق ناعمة ، وأريحا ترنو على الطرف الاخر مزنرة بالمستعمرات التي تحيط بها وجبال القدس تظهر عليها مباني العيزرية البيضاء كنقط صغيرة (تبعد جبال القدس حوالي ٣٠ كيلومترا عن الحد الجنوبي من البحر الميت)

مررنا بعدة قرى تزرع الحمضيات والموز والخضراوات المحمية بالبلاستيك ، قرى شهدت تاريخا من المعارك القديمة ، (الكثير من مقامات الصحابة كضرار بن الأزور ، ومعاذ بن جبل ، وسعد ابن ابي وقاص ، وأبي عبيدة عامر بن الجراح وغيرهم مازالت قائمة في العديد من قرى الأغوار) ، والحديثة معركة الكرامة وغيرها من معارك سنة ١٩٦٨ بين الكيان الصهيوني من جهة والفدائيين الفلسطينيين والجيش الأردني من جهة اخرى ثم اتجهنا الى قرية الشونة الجنوبية وتوغلنا لعدة كيلومترات (حوالي خمسة) وفجأة برز العلم الاسرائيلي واضحا في وجوهنا

كان الموقع هو جسر الملك حسين (اللنبي سابقا) ، لا يزيد طوله على ٥٠ مترا وعرضه حوالي خمسة امتار ، نقطة الفصل بين حدي الحدود مجرد برميلين تنكيين على عرض الجسر سألت

* هل تحادثونهم سيدي الضابط ؟

ـ وهل يحادث الانسان عدوا أجابني ضابط نقطة الحدود وهو يحمل جهاز اللاسلكي بيده ويجابر عمان

الكمين الاسرائيلي على بعد امتار قليلة ، يرصد كل حركة على الجسر والجنود الاسرائيليون على الطرف المقابل يصل حديثهم الى المسامع واضحا ، اقف على حافة الجسر واتمعن الحافلات المغادره بانشداده الى الضفة العربية أو الاتية منها هم أهلنا الذين مازالوا في قلب دائرة الحصار والمقاومة التفت الى يساري فأرى جسر اللنبي ركاما مكوما منذ حرب عام ١٩٦٧

وأتمعن بالمياه المعكرة المتسربة تحت الجسر انها مياه نهر الأردن الأسفل بعد خروجه من بحيرة طبريا سألت

* ألا تصلح للزراعة ؟

ـ انها مالحة الى درجة ان السمك الذي يسير معها من بحيرة طبريا يعافها ويقذف نفسه منتحرا على حافتي النهر (تصل الملوحة الى ٢٥٪)

* هل هذا ما تبقى من نهر الأردن ؟

ـ يجيب مرافقنا المهندس هذا هو مياه مالحة لا تصلح للزراعة ، اضافة الى انها منخفضة عن سطح البحر حوالي ٢٠٠ متر

* الا يوجد حل لملوحة المياه هذه ؟

ـ الحل هو بخلطها بمياه عذبة لكن من اين نأتي بالمياه العذبة ؟

* ألم تتأثر الزراعة والآبار في المنطقة ؟

ـ لقد تأثرت كثيرا ، ونحن بصدد محاولة معالجة الأمر من خلال مشروع قناة الأغوار الشرقية

* هل يمكن تلبية الحاجة تماما ؟

ـ علينا ان نحاول !

* والبحر الميت ألم يتأثر بانخفاض منسوب مياه نهر الأردن ؟

ـ لقد ازدادت ملوحته وانخفض منسوب المياه فيه وهناك مشروع لانشاء قناة البحرين ، اي لنقل مياه البحر المتوسط الى البحر الميت تسعى السلطات الصهيونية لانشائه ، وهو يمثل خطراً كبيراً على المصانع والمنشآت الأردنية المقامة عليه

تمعنت المنطقة مليا ، كان المطر مازال يهمي خفيفا وكان نهر الأردن المالح يسير متئدا والكمين الاسرائيلي يرصد حركتنا ، وجسر اللنبي مازال مكوما مقصوفا ، وأريحا ارى ملامح وجهها وراء نقطة الحدود مكسوة بغلالة حزن الأسر ، ومزنرة بطوق المستعمرات الاسرائيلية التي تحيط بها حينئذ تذكرت قول من قال ان صراعنا مع العدو الصهيوني هو صراع وجود ! □



شكل (٢) الخفاش يطير بجناحين ، وليس له منقار او ريش ، بل شفاه وانياب واذان طويلة . . وهذا ما حير الناس ، فحاكوا حوله الأساطير

« ميليز لوداميا » Melese laodamia وهى نوع واحد من عائلة تضم ستة آلاف نوع وتنتشر انتشارا واسعا فى القارات الخمس .

وطبيعى أن لهذا الاختيار الغريب ما يبرره ، اذ أن هذه الحشرة ـ مع غيرها ـ قد ظلت تستخدم « تكتيك » الدفاع والمناورة مع الخفافيش ، مستعينة على ذلك بتقنية الموجات والموجات المضادة منذ عشرات الملايين من السنين ، ومن أجل هذا احتلت موقع الصدارة على الشارة ، وكأنما هى تشير الى أن الانسان ليس هو مخترع تلك التقنية الحربية ، ومن هنا كان التكريم ـ ليس للفراشة بالتحديد ، بل لفكرة سابقة دالة على بديع الصنع ، وروعة التدبير ، بدليل ان الفكرة قد استغلت وصمدت كل هذه الملايين من السنين !

ولا يحسبن الانسان نفسه ـ بعد ذلك ـ أنه صاحب الافكار المبتكرة ، والتصميمات المذهلة ، والأجهزة المتطورة ، ووسائل التخاطب والاتصالات والتشييدات المتباينة . . الى آخر هذه القائمة الطويلة



شكل (٣) غابة من الأنابيب الرفيعة التي تشكل متاهات متداخلة لتمرق الخفافيش خلالها ، ودون ان تصطدم بها ، ويرجع ذلك الى كفاءة استخدامها لموجاتها ، وكأنما هي ترى بآذانها في الظلام .

التى يباهى بها ويفاخر ، اذ لو عاد الى الطبيعة ودرس أسرارها ، واستوضح مكنوناتها ، وعرف نواميسها ، واستلهم قوانينها ، لخرج من ذلك بحصيلة علمية هائلة توضح له أنه « لا جديد تحت الشمس » كما يقولون ، فكل فكرة للانسان ، انما جاءت على أساس فكرة فى الخلق سابقة ، ولا يعرف ذلك الا العلماء الذين درسوا اسرار الطبيعة وألغازها .

اكتشاف مثير

كان لبداية الكشف عن سر الحرب التى تستخدم فيها الموجات فوق الصوتية قصة واقعية حدثت فى شرفة منزل العالم الأمريكى دكتور كينيث رويدر ـ أستاذ علم الحيوان بجامعة « تفتس » بولاية ماساشوسيتس ــ ففى ليلة صيف دافئة من عام ١٩٥٦ جلس هو وبعض زملائه يتسامرون فى شرفة المنزل ، وبالصدفة أمسك أحدهم بغطاء زجاجة من الفلين وحركه بضغط شديد على حافة كوب زجاجى ، فانطلق منه صوت حاد ، والى هنا يبدو الأمر عاديا تماما ، لكنه لم يكن كذلك حقا ، اذ ان ما حدث بعد ذلك كان ملفتا للنظر ، فلقد قامت الفراشات ـ التى كانت تحوم حول المصباح الكهربي المضىء ـ بعملية هبوط مفاجىء على أرضية الشرفة ، وكأنما قد أصابها الشلل بغتة !

لم تمر هذه الملاحظة المتواضعة مرورا عابرا ، بل جذبت انتباه الحاضرين ، وعلى رأسهم بروفيسور رويدر . ولقد ظن بعضهم ـ بادىء الامر ـ أن هذا الهبوط الفجائى ربما كان بسبب شلل عارض فى الجهاز العصبي للفراشات ، نتيجة لذلك الصوت الحاد ، إذ أحيانا ما يحدث الشىء نفسه لبعض الكائنات عندما تتعرض لضوضاء شديدة تفقدها وعيها لفترة غير قصيرة .

لكن الفراشات التى هبطت فجأة ، بدأت تتحرك هنا وهناك بسرعة ، وظلت هكذا ـ فى حركتها ـ مضطربة ، كأنما تخشى من بلاء قادم . ثم ما لبثت أن حلقت فى الهواء ، وانطلقت الى غير رجعة ، وكأنها تتجنب كارثة محققة ، ومن أجل هذا عقد العلماء العزم على تحرى أسباب هذه الظاهرة المثيرة . وفى معامل الجامعة تعاون كل من رويدر وزميله دكتور اشر تريت فى دراسة سلوك هذه الفراشات ، واستمر البحث سنوات ، فتمخض عن حقائق مذهلة لم تكن لتطرأ على بال احد، فهناك الآن قائمة بأكثر من خمسمائة بحث منشور عن تقنية الموجات فوق الصوتية القائمة بين الخفافيش والحشرات ، ومع ذلك فقد كشف العلماء عن اسرار ، وبقيت أسرار أخرى كثيرة تستوجب كشف غموضها ، ومعرفة ألغازها ، لأن المعرفة هنا قد تفيدنا فى تطوير أفكارنا ، وصقل أجهزتنا ، أو قد نسيطر بها على انتشار تلك الحشرات ، ومعظمها ضار بالزرع والضرع ،

مشاكل تقنية معقدة

العلماء الذين يتعاملون مع النظم البديعة الموزعة بين المخلوقات يعلمون قبل غيرهم أنهم يقفون أمام آيات فى الخلق قدرت تقديرا مذهلا ، وأنها قد وصلت الى درجات من الاتقان والكفاءة التى يصعب هضمها بعقولنا . . مثل أجهزة ارسال الموجات فوق الصوتية ، وأجهزة استقبال الموجات المرتدة التى تحدد بها الخفافيش أهدافها بدقة تامة ، حتى لو كان هذا الهدف فراشة صغيرة أو حتى بعوضة محلقة . . وقد تبدو هذه المشكلة هينة لينة ، لكن الذين يدرسون علوم الفيزياء عامة ، والموجات فوق الصوتية خاصة ، يدركون تماما أن الأمر ينطوى على شىء أشبه بالمعجزة !

دعنا نبسط هذه المسألة . لتتصور مثلا انك تجلس فى قاعة بها موسيقا صاخبة ، ممتزجة بأصوات بشرية عالية ، تحجب كل صوت هامس ، ثم زعم صديق يجلس بجوارك فى هذا الوسط الضوضائى الصاخب أنه يسمع طنين ذبابة أو بعوضة يأتيه من مسافة مترين أو ثلاثة ، عندئذ لن تصدقه أنت ، ولن يصدقه أحد ، لأن التموجات الصوتية الضعيفة تحجبها التموجات القوية ، كما يحجب ضوء مصباح قوى ضوء شمعة ملاصقة له ، او كما يحجب ضوء الشمس الساطع ضوء المصباح الكهربى .

ضع هذه الأمور فى الحسبان مع أخذك فى الاعتبار ما يعترض الخفاش من مشاكل مشابهة ، فالخفاش يطلق موجات فوق صوتية ذات ترددات عالية ومزعجة ، ولنتصور سربا يتكون من مئات وآلاف

الخفافيش التي تطلق موجاتها القصيرة وغير المسموعة للآذان البشرية ، لكنها بالنسبة لهذه الكائنات صوصاء عالية تستقبلها اذانها رغما عنها ، لكن اذانها ـ مع ذلك ـ تستطيع أن « ترشح » الصدى الصوتي الواهن المرتد من بعوضة أو فراشة ومع أن هذا الصدى أضعف بنحو ألفي مرة من الصوصاء التي يطلقها الخفاش ، الا أنه يستطيع أن يلتقطها ويحدد مصدرها من بين « غابة » كثيفة من فوضى الاصوات التي تطلقها آلاف الخفافيش لكن أحدا من العلماء لم يستطع أن يعرف الكيمية التي يتغلب بها الخفاش على هذه المشكلة التقنية المعقدة !

ولكي يتأكد العلماء من هذه الحقيقة ، قاموا باجراء تجارب مثيرة ، منها ـ على سبيل المثال انهم سلطوا على الخفافيش موجات فوق صوتية ، وبنفس أطوال موجاتها ، وذلك بغرض تداخل هذه مع تلك ، وابطال مفعولها ، لكن الخفافيش ـ مع ذلك ـ استطاعت أن « ترشح » موجاتها المرتدة من بين هذا الضجيج ، وسلكت سبلها بسلام ، ودون أن تصطدم بالعوائق التي وضعت في طريقها ليس ذلك فحسب ، بل زيدت الصوصاء الى ألفي ضعف مما تطلقه الخفافيش . ولم يغير ذلك في الأمر شيئا ، أما كيف توصلت الخفافيش الى حل هذه المشكلة ، فلا أحد يعرف ذلك يقينا

نعود لنقول لو أن الاذن البشرية قدر لها سماع صيحات الخفافيش ، لأصبح الخلاء الذي تنطلق فيه مصدر صوصاء مزعجة ومقلقة ، لكن عدم سماعنا لها ، أو احتجابها عنا ، ليس من قبيل الرحمة بنا ، عندما نلجأ الى فراشنا ، بل يرجع ذلك الى مبدأ علمي عرفه الانسان حديثا جدا ، وسبقته به الخفافيش منذ ملايين السنين فالموجات فوق الصوتية تتميز بترددات عالية ، أي أن موجاتها أشد ، وأصواتها أحد ، وانعكاساتها من الأهداف أكثر تحديدا لمواقع هذه الأهداف وأحجامها ، حتى لو كان ذلك علىاهيئة سلك رفيع ممتد ، او بعوضة محلقة ، وكأنما ارتداد الموجات فوق الصوتية من الهدف بمثابة شعاع الضوء الذي ينعكس من الشيء الى العين فتراه ، لكن لا مانع من تقنية بيولوجية متقدمة تهيىء للخفاش من أمره رشدا ، « فيرى » الأشياء بأذنيه لا بعينيه ؟

قديما صف الجاحظ غذاء الخفاش في كتابه « الحيوان » بقوله « لا يجوز ان يكون طعمه الا من البعوض ، وقوته من الفراش ، ثم لا يصيده الا في وقت طيرانه في اهواء » وعن سلوك الخفاش وابصاره يذكر « ومن أعاجيبه انه لا يطير في ضوء ولا في ظلمة ، وهو طائر ضعيف ، قوى البصر ، قليل شعاع العين الواصل من الناظر ، ولذلك لا يظهر في الظلمة ، لأنها تكون غامرة لضياء بصره ، غامرة لمقدار شعاع ناظره » الخ

وما دد ء الجاحظ عن طريقة غذاء الخفاش ، وسبل صيده ، فهو صحيح ، لكن قلة شعاع العين فرعم خاطىء ، اد ظن الاقدمون أن العين تبصر عن طريق شعاع حمي يخرج منها لترى به الاشياء ، ولقد كان أول من صحح هذا المفهوم الخاطىء العالم العربي الحسن بن الهيثم ، اد قرر ان الضوء او الشعاع هو الذي يسقط على الشيء ، فينعكس منه الى العين لتراه ، وليس العكس صحيحا أضف الى ذلك أن الخفاش ليس قوي البصر . كما انه يستطيع التحسس في الظلام الحالك ، لأنه يعتمد على موجاته فوق الصوتية التي ترتد الى أذنيه . فترسم له خريطة للمجال الذي يطير فيه حتى ولو لفه الظلام

وطبيعي أن للجاحظ عذره ، اذ لم يكن زمانه يعرف العلوم التجريبية ، وظل الخفاش محاط بالاساطير ، الى ان جاء العالم الايطالي سبالانزاني في عام ١٧٩٤ ، وكان يعتقد مع غيره أن الخفاش يمتلك حاسة حمية غير الحواس المعروفة لكن سبالانزاني لم يعرف طبيعتها ، وتحدى من يستطيع اكتشافها ، وقبل المدعو لودفيج جورين السويسري تحدى الايطالي ، وقرر أن السر يكمن في اذني الخفاش لا في عينيه ، بدليل أن الخفاش سوف يتخبط على غير هدى لو حل بأذنيه أذى ، وتعجب سبالانزاني من هذا الاستنتاج ، لكنه لم يقف عند حد التعجب ، بل تخطاه أيضا الى مرحلة التجربة ، فقام باجراء عدة تجارب رائدة على الخفافيش ، واتضح أنها لا تستخدم عيونها في الصيد ليلا ، فلو طمستها ، فسوف تصل مسارها ، لكن طمس الاذنين سوف « يعميها » ، والى هذه الحدود لم يستطع أحد أن يضيف جديدا ، وظل الأمر محيرا بعد ذلك لحوالي ١٥٠ عاما ، ولم يتضح الا في حوالي منتصف القرن العشرين ، فالخفاش يطلق دفقات

التى يباهى بها ويفاخر ، اذ لو عاد الى الطبيعة ودرس أسرارها ، واستوضح مكنوناتها ، وعرف نواميسها ، واستلهم قوانينها ، لخرج من ذلك بحصيلة علمية هائلة توضح له أنه « لا جديد تحت الشمس » كما يقولون ، فكل فكرة للانسان ، انما جاءت على أساس فكرة فى الخلق سابقة ، ولا يعرف ذلك الا العلماء الذين درسوا اسرار الطبيعة وألغازها .

اكتشاف مثير

كان لبداية الكشف عن سر الحرب التى تستخدم فيها الموجات فوق الصوتية قصة واقعية حدثت فى شرفة منزل العالم الأمريكى دكتور كينيث رويدر - أستاذ علم الحيوان بجامعة « تفتس » بولاية ماساشوسيتس - ففى ليلة صيف دافئة من عام ١٩٥٦ جلس هو وبعض زملائه يتسامرون فى شرفة المنزل ، وبالصدفة أمسك أحدهم بغطاء زجاجة من الفلين وحركه بضغط شديد على حافة كوب زجاجى ، فانطلق منه صوت حاد ، والى هنا يبدو الأمر عاديا تماما ، لكنه لم يكن كذلك حقا ، اذ ان ما حدث بعد ذلك كان ملفتا للنظر ، فلقد قامت الفراشات - التى كانت تحوم حول المصباح الكهربى المضىء - بعملية هبوط مفاجىء على أرضية الشرفة ، وكأنما قد أصابها الشلل بغتة !

لم تمر هذه الملاحظة المتواضعة مرورا عابرا ، بل جذبت انتباه الحاضرين ، وعلى رأسهم بروفيسور رويدر . ولقد ظن بعضهم - بادىء الامر - أن هذا الهبوط الفجائى ربما كان بسبب شلل عارض فى الجهاز العصبى للفراشات ، نتيجة لذلك الصوت الحاد ، إذ أحيانا ما يحدث الشىء نفسه لبعض الكائنات عندما تتعرض لضوضاء شديدة تفقدها وعيها لفترة غير قصيرة .

لكن الفراشات التى هبطت فجأة ، بدأت تتحرك هنا وهناك بسرعة ، وظلت هكذا - فى حركتها - مضطربة ، كأنما تخشى من بلاء قادم . ثم ما لبثت أن حلقت فى الهواء ، وانطلقت الى غير رجعة ، وكأنها تتجنب كارثة محققة ، ومن أجل هذا عقد العلماء العزم على تحرى أسباب هذه الظاهرة المثيرة . وفى معامل الجامعة تعاون كل من رويدر وزميله دكتور اشر تريت فى دراسة سلوك هذه الفراشات ، واستمر البحث سنوات ، فتمخض عن حقائق مذهلة لم تكن لتخطر على بال احد، فهناك الآن قائمة بأكثر من خمسمائة بحث منشور عن تقنية الموجات فوق الصوتية القائمة بين الخفافيش والحشرات ، ومع ذلك فقد كشف العلماء عن اسرار ، وبقيت أسرار أخرى كثيرة تستوجب كشف غموضها ، ومعرفة ألغازها ، لأن المعرفة هنا قد تفيدنا فى تطوير أفكارنا ، وصقل أجهزتنا ، أو قد نسيطر بها على انتشار تلك الحشرات ، ومعظمها ضار بالزرع والضرع .

مشاكل تقنية معقدة

العلماء الذين يتعاملون مع النظم البديعة الموزعة بين المخلوقات يعلمون قبل غيرهم أنهم يقفون أمام آيات فى الخلق قدرت تقديرا مذهلا ، وأنها قد وصلت الى درجات من الاتقان والكفاءة التى يصعب هضمها بعقولنا . . مثل أجهزة ارسال الموجات فوق الصوتية ، وأجهزة استقبال الموجات المرتدة التى تحدد بها الخفافيش أهدافها بدقة تامة ، حتى لو كان هذا الهدف فراشة صغيرة أو حتى بعوضة محلقة . . وقد تبدو هذه المشكلة هينة لينة ، لكن الذين يدرسون علوم الفيزياء عامة ، والموجات فوق الصوتية خاصة ، يدركون تماما أن الأمر ينطوى على شىء أشبه بالمعجزة !

دعنا نبسط هذه المسألة . لنتصور مثلا انك تجلس فى قاعة بها موسيقا صاخبة ، ممتزجة بأصوات بشرية عالية ، تحجب كل صوت هامس ، ثم زعم صديق يجلس بجوارك فى هذا الوسط الضوضائى الصاخب أنه يسمع طنين ذبابة أو بعوضة يأتيه من مسافة مترين أو ثلاثة ، عندئذ لن تصدقه أنت ، ولن يصدقه أحد ، لأن التموجات الصوتية الضعيفة تحجبها التموجات القوية ، كما يحجب ضوء مصباح قوى ضوء شمعة ملاصقة له ، او كما يحجب ضوء الشمس الساطع ضوء المصباح الكهربى .

ضع هذه الأمور فى الحسبان مع أخذك فى الاعتبار ما يعترض الخفاش من مشاكل مشابهة ، فالخفاش يطلق موجات فوق صوتية ذات ترددات عالية ومزعجة ، ولنتصور سربا يتكون من مئات وآلاف

الخفافيش ألتى تطلق موجاتها القصيرة وعير المسموعة للاذان البشرية ، لكنها بالنسبه لهذه الكائنات صوصاء عالية تستقبلها ادانها رعا عنها ، لكن اذانها ـ مع دلك ـ تستطيع أن « ترشح » الصدى الصوق الواهن المرتد من بعوصة أو فراشة ومع أن هدا الصدى أصعف بنحو ألفى مرة من الصوصاء التى يطلقها الخفاش ، الا أنه يستطيع أن يلتقطها وتحدد مصدرها من بين « عابه » كثيمة من فوصى الاصوات التى تطلقها الاف الخفافيش لكن أحدا من العلماء لم يستطع أن يعرف الكيفية التى يتغلب بها الخفاش على هده المشكلة التقنية المعقدة !

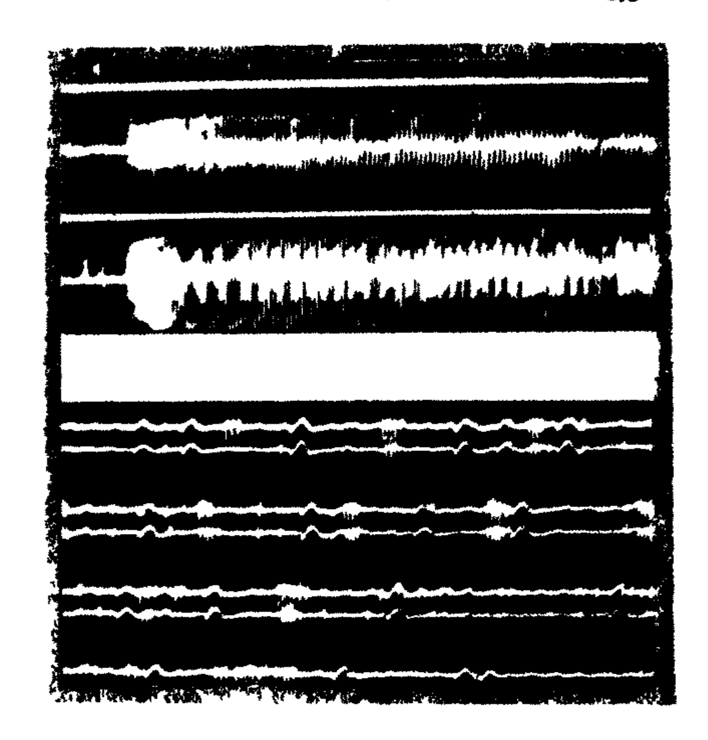
ولكى يتأكد العلماء من هده الحقيقة ، قاموا باجراء تجارب مثيرة ، منها ـ على سبيل المثال انهم سلطوا على الخفافيش موجات فوق صوتية ، وبنفس أطوال موجاتها ، ودلك بغرض تداخل هده مع تلك ، وابطال مفعولها ، لكن الخفافيش ـ مع دلك ـ استطاعت أن « ترشح » موجاتها المرتدة من بين هدا الصجيج ، وسلكت سبلها بسلام ، ودون أن تصطدم بالعوائق التى وصعت فى طريقها ليس دلك فحسب ، بل زيدت الصوصاء الى ألفى صعف مما تطلقه الخفافيش . ولم يعير دلك فى الأمر شيئا ، أما كيف توصلت الخفافيش الى حل هده المشكلة ، فلا أحد يعرف دلك يقينا

نعود لنقول لو أن الادن البشرية قدر لها سماع صيحات الخفافيش ، لأصبح الخلاء الذى تنطلق فيه مصدر صوصاء مرعجة ومقلقة ، لكن عدم سماعنا لها ، أو احتجابها عنا ، ليس من قبيل الرحمة بنا ، عندما نلجأ الى فراشنا ، بل يرجع دلك الى مبدأ علمى عرفه الانسان حديثا جدا ، وسبقته به الخفافيش مند ملايين السنين فالموجات فوق الصوتية تتميز بترددات عالية ، أى أن موجاتها أشد ، وأصواتها أحد ، وانعكاساتها من الأهداف أكثر تحديدا لمواقع هده الأهداف وأحجامها ، حتى لو كان دلك على هيئة سلك رفيع ممتد ، او بعوصة محلقة ، وكأنما ارتداد الموجات فوق الصوتية من الهدف بمثابة شعاع الصوء الذى ينعكس من الشىء الى العين فتراه ، لكن لا مانع من تقنية بيولوجية متقدمة تهيىء للخفاش من أمره رشدا ، « فيرى » الأشياء بأدنيه لا بعينيه ؟

قديما وصف الجاحظ عداء الخفاش فى كتابه « الحيوان » بقوله « لا يجوز ان يكون طعمه الا من البعوض ، وقوته من الفراش ، ثم لا يصيده الا فى وقت طيرانه فى اضواء » وعن سلوك الخفاش وابصار يدكر « ومن أعاجيبه انه لا يطير فى صوء ولا فى ظلمة ، وهو طائر صعيف ، قوى البصر ، قليل شعاع العين الواصل من الناطر ، ولذلك لا نطهر فى الظلمة ، لانها تكون عامرة لضياء بصره ، عامرة لمقدار شعاع ناطره » الخ

وما دكره الجاحظ عن طريقه عداء الخفاش ، وسبل صيده ، فهو صحيح ، لكن قلة شعاع العين فزعم خاطىء ، اد ظن الاقدمون أن العين تبصر عن طريق شعاع خفى يخرج منها لنرى به الاشياء ، ولقد كان أول من صحح هدا المفهوم الخاطىء العالم العربى الحسن بن الهيثم ، اد قرر ان الصوء او الشعاع هو الذى يسقط على الشىء ، فينعكس منه الى العين لتراه ، وليس العكس صحيحا أصف الى دلك أن الخفاش ليس قوى البصر ، كما انه يستطيع التحسس فى الظلام الحالك ، لأنه يعتمد على موجاته فوق الصوتية التى ترتد الى أدنيه ، فترسم له خريطة للمجال الذى يطير فيه حتى ولو لفه الظلام

وطبيعى أن للجاحظ عدره ، اد لم يكن زمانه يعرف العلوم التجريبية ، وظل الخفاش محاطا بالاساطير ، الى ان جاء العالم الايطالى سبالانزانى فى عام ١٧٩٤ ، وكان يعتقد مع عيره أن الخفاش يمتلك حاسة حفية عير الحواس المعروفة لكن سبالانزانى لم يعرف طبيعتها ، وتحدى من يستطيع اكتشافها ، وقبل المدعو لودفيج جورين السويسرى تحدى الايطالى ، وقرر أن السر يكمن فى ادنى الخفاش لا فى عينيه ، بدليل أن الخفاش سوف يتخبط على عير هدى لو حل بأدنيه أدى ، وتعجب سبالانزانى من هدا الاستنتاج ، لكنه لم يقف عند حد التعجب ، بل تخطاه أيصا الى مرحلة التجربة ، فقام باجراء عدة تجارب رائدة على الخفافيش ، واتصح أنها لا تستخدم عيونها فى الصيد ليلا ، فلو طمستها ، فسوف تصل مسارها ، لكن طمس الادنين سوف « يعميها » ، والى هده الحدود لم يستطع أحد أن يصيف جديدا ، وظل الأمر محيرا بعد دلك لحوالى ١٥٠ عاما ، ولم يتصح الا فى حوالى منتصف القرن العشرين ، فالخفاش يطلق دفقات



شكل (٤) لغة حشرة نوع واحد سجلها العلماء على أجهزتهم الحساسة من خلال ما يحس به جهاز الاستقبال عند الحشرة . وشرح هذه اللغة الموجية يطول ، لكن ما تراه هنا ليس الا ترجمة لما تستقبله الحشرة من موجات صوتية من خفاش ، وتحت ظروف متغيرة ، فتغير ما بها ، حتى تفلت بجلدها .

سريعة من الموجات فوق الصوتية ، لتصطدم بالهدف ، ثم يرتد صداها الى أذنيه ـ كما سبق أن ذكرنا .

والتجارب الكثيرة والمثيرة التى أجراها العلماء على الأنواع المختلفة من الخفافيش توضح بحق أنها تمتلك تصميمات بيولوجية مذهلة ، ثم انها تستخدمها ببراعة فائقة ، ولقد وضعوا فى طريقها عوائق على هيئة انابيب دقيقة تتداخل وتتشابك فى متاهات من الحلقات التى تسمح بتحليق الخفافيش من خلالها فى صالة كبيرة مغلقة ومظلمة (شكل ٣) واستمر تسجيل طيران الخفاش لست ساعات كاملة ، دون أن يصطدم بواحدة . واعتبر العلماء هذه المناورات المتقنة بمثابة واحدة من معجزات الخلق المحيرة ، وكأنما لسان حالهم كان يقول كما قال الجاحظ من قبل فى وصف رشاقة الخفاش فى كتاب الحيوان !

بين الصيد والصياد

لكن الجانب التطبيقى او التقنـي. لهذه التصميمات البيولوجية يتضح أكثر عندما تظهر على مسرح الأحداث بعض أنواع خاصة من الفراشات التى تلعب مع الخفافيش لعبة خطرة من العاب الموت والحياة .

والواقع ان العلماء قد سجلوا الحرب الدائرة بين الخفافيش المحلقة ، والحشرات الهائمة بالموجة والصوت والصورة (شكل ٤) . . وبعمليات تشريح دقيقة . وتعرفوا على محطات البث والاستقبال فى الخفافيش ، وعلى أجهزة التنصت الحية التى تمتلكها بعض الحشرات ، لتتسمع على الموجات . ونحن لا نستطيع أن نتعرض لتفاصيل هذه التكنولوجيا البيولوجية هنا ، فالحديث فيها يتشعب ويطول والمجال ضيق ، لكن يكفى أن نذكر ان الخفافيش تبث موجاتها فوق الصوتية باندفاع الهواء من « صناديق قوية حية » فيمر بضغط كبير من حلال حناجرها الى أفواهها على هيئة تموجات سريعة تصل شدتها الى ما بين ٤٥ الف الى ٩٠ ألف تردد أو اهتزازه فى الثانية الواحدة ، وهذه لا نسمعها ، لأن الاذن البشرية تسمع فى حدود ترددات تقع ما بين ٢٠ ، ٣٠ ألف تردد فى الثانية ، وكلما كان التردد أشد كان الصوت أحد ، ثم يصبح أكثر حدة فى الموجات فوق الصوتية التى لا نسمعها ، لكن الفراشات تستطيع ذلك .

ولا شك أن هناك مشاكل تقنية عويصة بين الصيد والصياد ، لكن الخفاش متكفل بحل مشاكله ، ويعرف تماما كيف يغير من « تكتيكه » ، وهذا التكتيك مؤسس على مبادىء علمية هامة يعرفها العلماء حتى المعرفة ، وعليها نؤسس أجهزتنا فى تطبيقات لا نحصيها عدا لكن الخفاش قد عرفها ، أو هى قد أوحيت فى تكوينه وحيا جيلا ، لكن يكفى أن نذكر مثالا واحدا نوضح به ما قدمنا فاوجزنا .

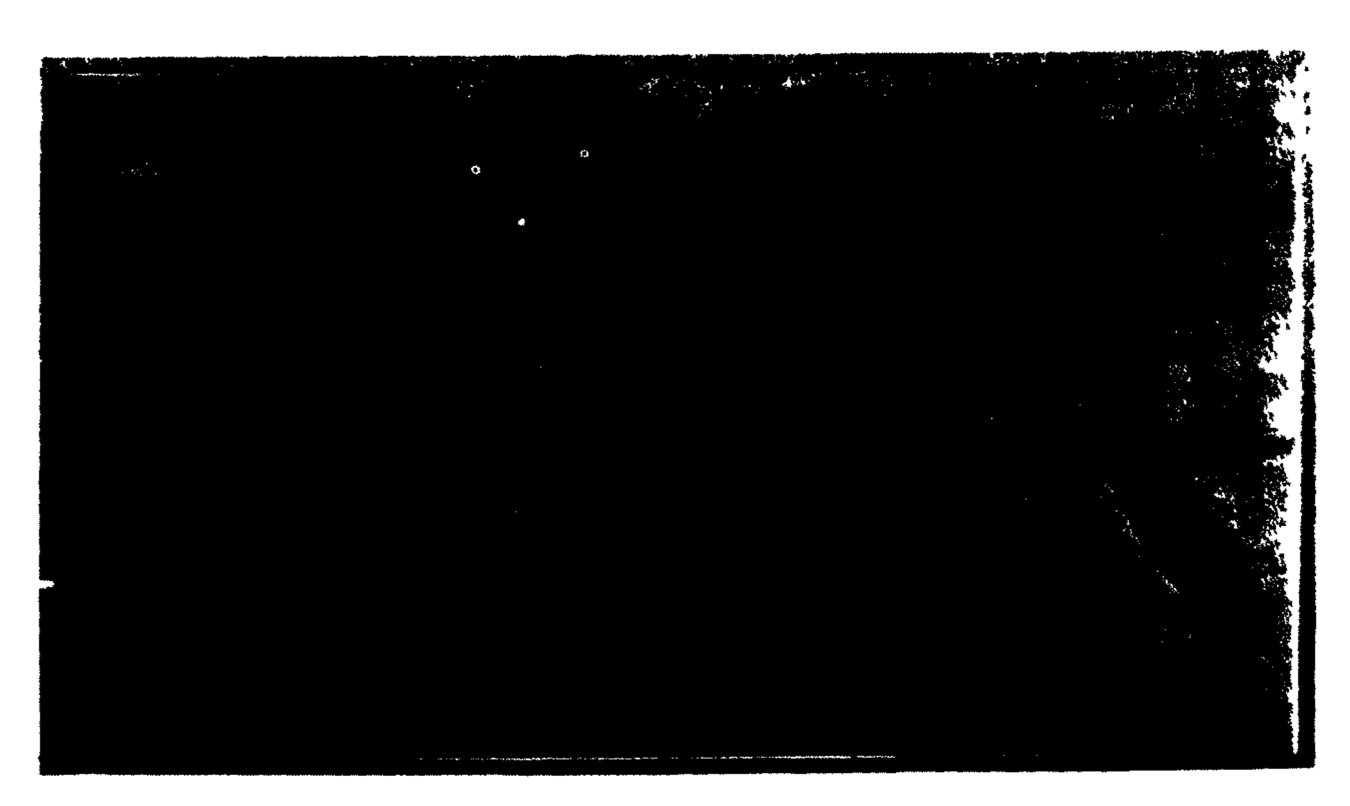
خذ على سبيل المثال حشرة ضئيلة محلقة مثل ذبابة الفاكهة التى لا يتجاوز طولها ملليمترين ونصف ، ووزنها جزء من الف من الجرام ، ورغم هذه الضآلة وزنا وحجما ، الا أنها كافية لأن تعكس الموجات فوق

الصوتية الى أذن الخفاش فيشعر بها وهو على مسافة منها تقدر بنصف المتر ، وفي جزء من الف جزء من الثانية ، أو بعد أن يكون قد قطع عشرة سنتيمترات فقط من استقبال الموجات ، يقوم بحركة التفاف بارعة ، وفي الوقت ذاته تنطلق منه موجات أكثر ، وبعدد من الترددات أكبر ، وبأطوال أقصر ، لتكون الكفاءة في الرصد اتقن ، وكل هذا نزول على قوانين ومعادلات الفيزياء التي يطبقها الخفاش بكفاءة « وذكاء » .

والخفاش لا شك صياد بارع ، اذ يستطيع ان يرصد ويصطاد ويلتهم عددا كبيرا من الحشرات . ولقد أحصى له العلماء ما اصطاده ـ وهو ينطلق بين سرب من البعوض ـ بخمسة آلاف بعوضة خلال ساعة واحدة . . ولقد اتضح أنه لا يصطادها بفمه ، بل يحويها بطرف جناحه ، وبسرعة خاطفة يحولها الى فمه !

تكتيك

والخفاش يطلق صيحاته فوق الصوتية ، فتنتشر في الهواء كما ينتشر الضوء من مصباح سيارة ، وكلما ابتعد الضوء عن المصدر ، زاد اتساعا وانتشارا وضعفا ، وكذلك الموجات الخفاشية التي اصبحت بدورها بمثابة « كشاف » صوتي يكشف له الافق الممتد امامه ، ويوضح له ما قد يعترض تلك الموجات من بعوضة محلقة ، او حشرة هائمة ، او عوائق معترضة ، لكنه ـ وبسرعة فائقة يحدد الغث فيتجنبه . اما السمين فينجذب اليه بدقة قذيفة موجهة ، فاذا بالصيد ـ في لحظة خاطفة ـ يصبح لقمة سائغة . . لكن ليس كل ما يهواه الصياد يدركه ، وكذلك الأمر مع الخفافيش اذ توجد اجهزة تنصت دقيقة ترصد موجات العدو ، وتحدد سرعته واتجاهه ، لتقوم بعمليات توجيه ومناورة سريعة ، فتفوت على المهاجم فرصته (شكل ٥)



شكل (٥) يوضح كيف يندفع الخفاش الى فراشة بعد ان تنعكس موجات منها اليه ، لكنها ـ في الوقت ذاته ـ ترصد بسرعة فائقة حركته واتجاهه ، وتقوم بمناورات سريعة تغير فيها اتجاهاتها بمهارة مدهلة ، واحيانا تضطر الى عملية هبوط فجائية نحو الأرض (حيث يشير السهم) علها تنجو بحياتها .

ويعود من محاولاته ـ في أغلب الأحيان ـ بخفي حنين !

ولاشك ان اجهزة التنصت على موجات العدو ليست في الأصل فكرة بشرية ، بل هي اساسا « حشرية » . لكن الأجهزة الحشرية تعتبر ادق واكفأ وأصغر اجهزة يمكن ان تتعامل مع الموجات فوق الصوتية . . وبالطبع فان التنصت يختلف باختلاف النوع عند الصيد والصياد ، فهناك مثلا حوالي ٧٠٠ نوع من الخفافيش تعيش على الحشرات ، ولكل نوع محطة بث تذيع على موجات يمكن بها تحديد هويته ، ويوجد ايضا نحو ٤٥ ألف نوع من الحشرات لها اجهزة تنصت ، لكن دعنا نختصر كل ذلك ونختار جهازا بسيطا ، تتجسد فيه الكفاءة ، وتتجلى العظمة . . ولنأخذ جهاز التنصت عند فراشة « ميليز » ـ رمز الشارة الشرفية التي اوردناها في بداية الدراسة ، فلهذه الفراشة اذنان على جانبي صدرها ، وكل اذن تتكون من غشاء رقيق (بمثابة طبلة) وعلى هذا الغشاء ترتكز نهايتا خليتين عصبيتين ، كما ترتكز الابرة على اسطوانة جراموفون ، وتحت « الطبلة » يوجد نسيج خفيف به اكياس هوائية ، وفي هذا النسيج تنتشر ثلاث خلايا عصبية لاغير ، اثنان منها ينقلان اهتزازة الطبلة خلال خيط او خط حي ، مرورا بكل خلية ، وانتهاء ـ من خلال خيط عصبي من نفس الخلية ـ بمخ الحشرة البدائي (مجرد عقدة عصبية) . . اما الخلية الثالثة ، فلا احد يعرف وظيفتها حتى الان ، لكن لاشك انها لم تخلق عبثا ، ويوم نعرف رسالتها ، فقد نرى منها عجبا !

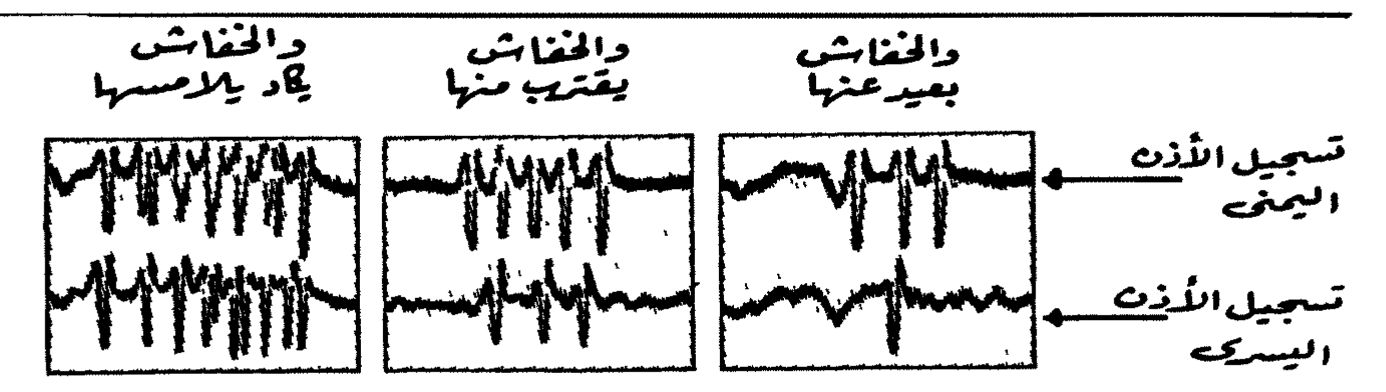
لكن العجب قد اكتشفه العلماء عندما اوصلوا كلا من الخليتين على جهاز رسم النبضات العصبية ليعرفوا كيف تتفاعلان اذا ما سمعت الفراشة الموجات فوق الصوتية لخفاش من زوايا مختلفة ، وعلى مسافات متباينة ، من ذلك مثلا ان الخفاش لو جاء الفراشة من يمينها ، وكان يبعد عنها حوالي ٢٥ مترا ، فان الخلية العصبية رقم ١ في الأذن اليمنى تسجل ثلاث نبضات ، والتي في اليسرى تسجل واحدة ، فاذا اقترب أكثر ، زادت الثلاثة الى خمسة ، والواحدة الى ثلاثة ، وفي حالة مروره فوقها او تحتها او قريبا جدا منها ، تسجل الخليتان في الاذنين عددا متساويا من النبضات العصبية (شكل ٦) .

لكن . . ما المصير ؟ . . أي كيف تتصرف الفراشة مع هذا الخطر الداهم ؟ ليس هناك من مفر الا عمل مناورة فجائية لحركات نحسبها اعتباطية ، وفيها تنحرف الحشرة انحرافات موجهة حسبما تمليه الاشارات المرصودة عن اتجاهات العدو ، فان اتجه نحوها يمينا انحرفت بغتة يسارا وفي زوايا هابطة صاعدة بغرض تجنب « القذيفة » الحية الموجهة . . والذين سجلوا مثل هذه المعارك على افلام حساسة ، ثم عرضوها عرضا بطيئا ، ذكروا ان المناورات تتسم ببراعة فائقة ، قد لا يصدقها عقل بشر ، ولاشك ان التوقيت والمباغتة وخفة الحركة وسرعة المناورة تلعب ادوارا هامة في حسم المعركة . . إما لصالح الخفاش ، او لصالح الحشرة ، وغالبا ما تسلك هذه طريق السلامة ، فتطوي جناحيها ، وتهبط اضطراريا الى الأرض ، حيث تسعى لتبحث لها عن مخبأ يحميها .

جهاز الانذار المبكر ! :

لكن الخفافيش قد تكف احيانا عن بث موجاتها ، حتى لا يتنبه لذلك صيدها ، وهنا تبرز المشكلة : اذ كيف يهتدي الى موقعها مادامت « كشافاته » الصوتية ، قد أغلقت ؟

الحل ان يشتغل على موجات الصيد ذاته ، اي يصبح الخفاش مستقبلا لا مرسلا ، خاصة في حالات الحشرات التي تصدر صوتا او طنينا اثناء الطيران (مثل البعوض والذباب) وفي مثل هذه المواقف ، تكون قد « جنت على نفسها براقش » ، ولابد ـ والحال كذلك ـ ان يهتدي اليها الخفاش بموجاتها لا موجاته ، فاما ان يتوجه ليحصل على الغنيمة ، او يبتعد عن تلك المصيبة ، اذ كثيرا ما تأتي الرياح بما لا تشتهي سفن الخفافيش ، فقد تكون الحشرة الهائمة ذات طعم رديء ، او قد يكون فيها السم الزعاف ، وطبيعي ان الخفاش لا يقتل لكي يتذوق ، ولا يضيع وقته وجهده فيما يعود عليه بالأذى ، اذ هو خبير بالصالح والطالح ، ولديه ذاكرة قوية بما تبثه الاذاعة الحشرية ، ومن البث ما يجد هوى في نفسه ، ومنه ما يفزعه ، وكأنما الحشرة او الفراشة تطلق صيحاتها



شكل (٦) تسجيلات خلية عصبية في جهاز التنصت عند الفراشة ، وبها تستطيع تحديد موقفها من الخفاش الذي يتجه صوبها ، فالتسجيل الأيمن (الى اعلى) يوضح ان الخفاش يأتي من جهة الأذن اليمنى (ولهذا فالنبضات اكثر نسبيا) لكنه لا يزال بعيدا ، فاذا اقترب منها اكثر ، زادت النبضات ترددا ، حتى اذا اصبح قريبا جدا منها اشتغل جهاز التنصت الأيمن والأيسر بنفس الكفاءة مع نبضات اسرع واكثر .

هكذا « خذ حذرك ، فمذاقي مقزز ، وطعمي مقبض » . .

وقد يبدو ذلك من شطحات الخيال ، لكنها حقيقة لم تنبع من فراغ ، اذ اوضحته لنا الدكتورة دوروثي دانتج (وهي من تلاميذ البروفيسور رويدر الذي سبقت الاشارة اليه) من خلال تجارب رائدة ، وملخصها انها كانت تطلق انواعا من الديدان التي تهواها الخفافيش من بندقية خاصة ، فتنتشر في الهواء ، وفي الوقت ذاته تطلق عددا من الخفافيش في صالة مغلقة وتصطاد الديدان من الهواء بكفاءة نادرة ، وفي احدى هذه التجارب احضرت جهاز تسجيل كانت قد سجلت عليه طنين انواع خاصة من الفراشات ، وما ان بدأ الصوت ينطلق حتى بدأت الخفافيش المنطلقة وراء الديدان تتراجع عن اهدافها ، وكأنما اصابتها صدمة !

ان تعليل ذلك لا يخفي على لبيب ، فهذا التسجيل المذاع هو لجنس معين من الفراشات (اسمه اركتيدي) ، وانواع هذا الجنس تمتلك جهازا صغيرا تنطلق منه موجات فوق صوتية ، وبها تنذر الخفاش مبكرا بانها رديئة الطعم ، حتى لا يبدأ الهجوم ، وطبيعي ان الخفافيش لا تعرف اجهزة التسجيل ، ولا خداع البشر ، لكنها عرفت معنى « الانذار المبكر » قبل ان يعرفه البشر بعشرات الملايين من السنين !

وقد يبرز هنا استفسار اخير : ولماذا كل هذه « التكتيكات » بين خفافيش وحشرات ؟ . . وهذا سؤال كبير جدا ، والاجابة عنه تحتاج لمجلة كاملة ، لأن الموضوع اشمل من ذلك واعم ، ولأن حياة المخلوقات جميعا تحكمها شرائع عامة ، ومن شرائعها انها قامت على اساس ان هناك دائما يوجد آكل ومأكول . . صيد وصياد . . وكل هذا يسير في سلسلة معقدة ، ذات حلقات متشابكة ، لتدور الحياة بموازين مقدرة ، فلا تطغى ذرية نوع على ذرية نوع آخر . . وطبيعي ان لكل نوع ذريته وافراده ، لكن الذرية لا تأتي وكأنما هي نسخة كربونية من بعضها ، بل لابد من اختلاف في القدرات او الكفاءات . . والقدرات تتجلى في عوامل كثيرة ، بمعنى ان الحشرة او الفراشة التي تتميز عن اترابها في النوع الواحد بامتلاك جهاز تنصت اكثر اتقانا ، وتقوم بمناورات اسرع ، وتكون متيقظة لمصيرها اكثر ، فسوف تكون فرصتها في الافلات من الخفاش اكبر ، لكن ما دون ذلك يصبح سهل المنال ، لأنه ـ بضعفه التكتيكي ـ لا يستطيع ان يجابه الحياة ، وهكذا شاءت شريعة الله !

كذلك الحال مع الخفاش ، خاصة اذا حدثت ازمة في الطعام ، وعندئذ يفوز الخفاش الاقوى بنصيب الاسد ، وعلى الأضعف ان يتوارى ، وسر على ذلك مع كل المخلوقات !

انها القوة ، ولاشيء غير القوة . . فأفيقوا يرحمكم الله . □

وجهاً لوجه



الدكتور **عبدالسلام العجيلي** و المهندس **خالد الجويشي**

☐ نظرة المرأة المتحضرة الى الرجل الريفي نظرة فوقية !

☐ تطورنا الاجتماعي قاصر عن اللحاق بتطورنا الثقافي والتعليمي .

☐ حياتي مقسمة بين الريف والمدينة .

☐ الهواية تبقى لذة في حين يتحول الاحتراف الى واجب قد يكون ثقيلا !

حوار حديد ولقاء حديد وحها لوجه اللقاء يجمع بين الأديب القاص الدكتور عبدالسلام العجيلي وبين المهندس خالد سلامة الحويشي ، ولعل مما يلفت النظر أنهما أديبان بالهواية ، ولكل منهما ـ بعد ذلك ـ مهنته الخاصة

الأديب القاص الدكتور عبدالسلام العجيلي غني عن التعريف ، فقد مضى عليه أكثر من ربع قرن وهو يرفد المكتبة العربية بنتاجه الأصيل الخصب ، ولكن بعضا من أوجه نشاطه يعرفها البعض ولا يعرفها الكل ، فهو يكتب الشعر والروايه والمقامه والمقالة ، وله حتى الان خمسة وعشرون كتابا أغلبها في القصه

لقد ظل عبدالسلام العجيلي أديبا هاويا لم يحترف صناعه الأدب ، على الرغم مما أصاب فيه من شهرة ، وظل طبيبا في قريه متواضعة يمارس عمله اليومي مع اهل الريف ، لم تبهره اضواء المدينه ، ولم تقتلعه من جذوره عند شاطىء الفرات أبقى على صلات الود مع الناس الذين احبهم واتخذ منهم شخصيات تبعث الحياة في قصصه ورواياته ، منهم مزارعون يغتسلون بماء الفرات ، وينتشرون في أرض الجزيرة مثل سنابل القمح ، انك عندما تراهم ، لا يخامرك شك في أنك تعرفهم ، وأنت تعرفهم حقا ، فهم أنفسهم الذين كنت تعيش تجاربهم وأنت تقرأ قصة كتبها عبدالسلام العجيلي

الدرب الى عبدالسلام قصير وطويل في آن واحد ، انها مهابة الاتي الى النهر لينهل من شاطئه ، لكنه لا يدري أي تيارات تدوم فيه ، وأي طعم لمائه مهابة الجدول اذ يصب في نهر مايبرال يتدفق منذ أربعين عاما

في العيادة يتحرك مثل أي طالب طب يعشق هذه المهنة ، يتعامل مع أبناء القرى البعيدة ومع البدو القادمين من عمق الجزيرة ، مثلما يتعامل مع أبناء المدينة.يسأل ويجيب ويستفهم ويشرح ببساطة آسرة تجعل الانسان يؤمن حقا أن المثل ليست كلاما يكتب فقط ، وانما هي المراوحة بين الفعل والقول ، وأن البساطة لا تعني بالضرورة الهبوط بل الصعود الهادىء والحقيقي نحو القمة

هاهو عبدالسلام الطبيب ، وهاهو عبدالسلام المحدث الأديب ، وهاهو عبدالسلام الانسان بلحمه ودمه ، لا يطل من برج عاجي ، أو يحدث من قمة عالية ، هو كالفرات لا حاجة به لأن يذكر الاخرين بعطائه ، فحسبه ان يسقي الشاطئين

المدينة والريف

● لن أسألك أسئلة تقليدية أو شخصية ، ففي كتابك « أشياء شخصيه » رد يكاد يكون شاملا على مثل تلك الأسئلة أريد أن أسألك عن الرواية والقصة ، وبالتحديد « باسمة بين الدموع » و « رصيف العذراء السوداء » و « المغمورون » ، اذ أنني أكاد الحظ برغم تباعد الزمن بين الثلاث ، أن هناك خيطا لا يرى يربط بين الرجال الثلاثة ، وخيطا يربط بين النسوة الثلاث ، فالرجال أبناء ريف والنساء بنات مدينة فهل حاولت تحقيق مراوحة بين الريف ـ الرجل والمدينة ـ المرأة ؟

ـ كلٌ يعمل على شاكلته وكل ما ينفق مما عنده حياتي مقسمة ، ليس مناصفة بين الريف والمدينة بل بعوامل تختلف مع الظروف والفترات الزمنية

والعلاقات الاجتماعية والعاطفية عندي كريفي في أصله وعيشه لابد أن تكون من وجهة نظر الريفي الرجل لو كنت رجلا بتكوين نفسي انثوي وهناك كثيرون يتصفون بهذه الصفة بين الأدباء وعامة الناس لكان ممكنا أن أكتب عن علاقة المرأة الريفية بالرجل المدني ، ولما كان ذلك غبنا من الناحية الفنية فثمة كتاب وشعراء في كل اللغات أحسنوا التعبير عن نفسية المرأة وهم رجال غير أني لست كذلك ، ولهذا

كان لابد أن أكتب عن علاقات الحياة التي أعرفها ، والتي يتقاسمها الريف والمدينة من وجهة نظر رجل ريفي يلتقي نساء مدنيات

على أني في رواية رابعة ، وهي « أزاهير تشرين المدماة » ، تحدثت عن أبطال مدنيين نساء ورجالا ، كما تحدثت في قصص قصيرة كثيرة لي عن أبطال ريفيين نساء ورجالا ولكن الراوي لكل هذه القصص يبقى رجلا سواء غلبت عليه النزعة الريفية أو الحضرية

● اذا كان سعيك للمراوحة واردا كما تصورت ، أليس ذلك على الأقل ، هو رد فعل الرجل الريفي الكامن في ذاتك ازاء استلاب المدن للريف أم هو محاولة انتقام لعملية الاغتصاب التي تتولاها المدن الكبرى لتمزيق ما تبقى من أصالة البادية ؟

ـ الاستلاب والانتقام والاغتصاب ألفاظ ليست من مفرداتي الشخصية ، كما أن معانيها ليست قريبة الى نفسي ثمة مراوحة ولا شك في أعمالي الثلاثة التي ذكرتها « باسمة بين الدموع » ، و « رصيف العذراء السوداء » ، و « المغرورون » الا أن الدوافع المدركة واللاشعورية وراء هذه الأعمال تعود الى محاولة الغوص الى الأسباب والعوامل التي تكمن وراء الأحداث ، وتؤدي الى سيرها الى النهاية التي سارت اليها محاولة تفسير لتلك الأحداث والوصول الى معرفة ما يوجه الأبطال نحو مصائرهم ، ناس المدن الكبرى مثل ناس البادية ، لهم وجوههم الخيرة ولهم تصرفاتهم المشينة ، ولهم نقاط ضعف ونقاط قوة الطيبون منهم هم الذين يتاح لهم أو يستطيعون السير في الخط الطيب والمستقيم ، والذين يضعفون يقعون فريسة للشر سواء كانوا مدنيين أو ريفيين ليس بي رغبة انتقام من سكان المدن ولا بي افتخار لا حد له بالبداوة ، وانما أنا مراقب محب لهؤلاء ولأولئك ، ولا يمنعني حبي من أن أسجل ما أحس به أو تراه عيني وان كان تسجيلي له مصنوعا بالمحبة والاشفاق

الحنين والتكامل

● اذا ألغيت كل ملاحظاتي ، ألا ترى معي أن تعلق « المرأة ـ المدينة » الموجع في الكتب الثلاثة هو بعض من حنينها الى جذورها ، أليس هو بعضا من حنينها الباحث عن الصدق والبراءة التي تنزوي بعيدا في القلوب الصحراوية للمدن الكبرى ؟

ثم ألا ينطبق ذلك على تعلق « الرجل ـ الريف » المحموم في ذات القصص « بالمرأة ـ المدينة » ؟ أليس هو بعضا من بحثه الدائم عن التطور ؟ أليس هو نوعا من بحثه عن الحضارة التي يتصور أنها منقذه الوحيد من حياة الشقاء التي يعيشها ؟

ـ أعتقد أن الحادث بين أبطال قصصي الريفيين وبطلاتها المتحضرات ليس الطموح الى التحضر عند الأولين ، والحنين الى الجذور في الأخريات ، بل هو حادث التكامل ، حادث النقيض الى نقيضه ، وهذا الحادث لا يفعل فعله في كل حال ، بل لابد لذلك الفعل من شروط خاصة نظرة المرأة المتحضرة في العادة الى الانسان الريفي نظرة فوقية في أغلبها ربما أعجبت بصراحته وكرمه ومؤهلاته البدنية ، ولكنها تحتقر تخلفه فاذا وقعت المتحضرة على ريفي يتجاوز ما تعتبره تخلفا فيه ، بأن كان مثقفا وذكيا وواثقا من نفسه ، فانها تنجذب اليه بأكثر من انجذابها الى أبناء طبقتها الذين ألفتهم أما الرجل الريفي فانه ينبهر في العادة بالهالة الحضرية المحيطة بابنة المدينة ، ولكنه يتخوف من تقلبها وهشاشة سلوكها ، الى جانب شعور بالنقص ناجم عن ادراكه لتقدم المدينة على الريف فاذا خطت اليه بنت المدينة خطوتها الأولى من جانبها هي ، فان شعور النقص يفارقه ويدرك قيمته الذاتية ، ويحدث حينئذ تجاذب النقيض الى نقيضه ، اذا تجاوزت بنت المدينة النقاط التي كان يتخوفها منها في سلوكها

● في رواية « باسمة بين الدموع » التي كتبتها قبل ربع قرن أو أكثر ، تبدو « المرأة

ـ المدينة » أكثر صدقا اذ أنها تحقق انتصارها على نفسها من خلال رحيلها الى صحراء أكثر اتساعا ونقاء فلم تجد في صدر « الرجل ـ الريف » الذي التقته ما يروي حنينها الظامىء . بينما « الرجل ـ الريف » يبدو أكثر فرحا من خلال مشروع زواجه بأخت باسمة الأكثر هدوءا وتساعا ، اذ يخيل اليه انه وصل الى قمة الانتصار . هل كنت اذ ذاك تتفاءل بأن المدن الكبرى يزداد عطشها أكثر الى أصالتها ، وأن امكانية المزاوجة بين « الرجل ـ الريف » و « المرأة ـ المدينة » ممكنة ، اذا كان الريف قريبا الى التحضر والمدينة أقرب الى الريف ؟

كثيرة ، ولكنه لا يحسن استخدامها لقلة ثقته بنفسه ، فيلجأ الى التعالي والتباعد ، وهما نوعان من الهزيمة . انه انسان متردد في سلوكه المعاشي وسلوكه العاطفي ، بينما باسمة امرأة ذات كبرياء ، لا تتردد في أن تدوس على عاطفتها اذا رأت أنها تؤدي الى مهانتها اني في الواقع أميل الى جانب المرأة أكثر من ميلي الى جانب الرجل في طريقة سلوكهما في الحياة . حتى اذا أساءت المرأة سلوكها فان وراء هذا السلوك تصرفا ظالما من الرجل دفعها اليه . وباسمة مثال على ما أقوله ، فقد أحسنت الظن بالبطل فأعطته كل ما عندها ، ولكن البطل كان دون مستوى ما أعطته ودون مستوى تضحيتها .

وفي الرواية لم يتزوج سليمان أختها وان أوحت فقراتها الأخيرة بأنه في سبيل أن يفعل ذلك . وقد



● حوار بين د . عبد السلام العجيلي والمهندس خالد الجويشي

ـ ليس بطلا الرواية التي أشرت اليها نموذجين وصفيين لابنة المدينة ورجل الريف . ولكنهما نموذجان متميزان لامرأة ورجل في عصرنا هذا ، في بلادنا هذه ، منسوبان الى المدينة والريف . المرأة في هذه الرواية وهي باسمة أمتن أخلاقا ، وان ظهرت للقارىء المتزمت غير ذلك ، وأصدق عملا بما تحس وتعتقد من البطل الذي هو سليمان . سليمان صاحب مزايا

اقترح علي مرة أن أكتب جزءا ثانيا لرواية « باسمة بين الدموع » ولو أني فعلت لرددت البطل الى باسمة ، أولا لتردده ، وثانيا لاقتناعه فيما بعد أن باسمة أكثر قربا الى نفسه وصلاحية كشريكة حياة من هيام الأخت القليلة التجربة البسيطة النفس . هذا اذا قبلت باسمة بالرجوع الى سليمان بعد أن ركبت الطيارة متجهة الى حياة جديدة في بلدان الخليج .

● في القصة الطويلة « رصيف العذراء السوداء » تحقق « المرأة ـ المدينة » انتصارها من خلال التحاقها في الدير لتموت في الحياة ، أو لتبحث عن براءة لم تجدها . أما الرجل فان الانتصار الذي خيل اليه أنه حققه في باسمة ، هذا الانتصار يظل مكسورا . فهاهو وحيد على الرصيف لعله ينتظر امرأة اخرى . أكنت تريد أن تقول ان عملية المزاوجة هنا بين الريف والمدينة ممكنة لحظة الدهشة والانبهار لكنها مستحيلة عند تكشف الحقائق أو أنها قد تحدث يوما ؟

ـ البطل في قصة « رصيف العذراء السوداء » من بغداد ، والبطلة من ستوكهولم ، كلاهما ابن مدينة كبيرة . وأنت تعتبر بغداد هنا ريفا وتعتبر ستوكهولم مدينة . ربما كان الحق معك في هذا الاعتبار . على أن القصة هنا تعالج موضوعا فكريا فلسفيا وان بدت كمعالجة لعلاقة عاطفية بين رجل شرقي وامرأة غربية .

مرة أخرى يكون الجاذب هنا بين البطلين جاذب النقيض الى نقيضه . الا أن هذا الجاذب لا يفعل فعله الا في لحظة واحدة في ليلة واحدة ، ثم يسير كل بطل الى الغاية المضادة لغاية انطلاقه ، ظانا أنه يصل الى الحقيقة حين يصل الى هذه الغاية الجديدة . المرأة هنا أكثر تصميما أيضا وأصدق عملا بما تعتقده ، سواء كانت مخطئة فيما تعتقد أو مصيبة .

لعل هذه القصة تعبر ، دون قصد مني ، عن عجز الانسان ، رجلا كان أو امرأة ، عن وعي الحقيقة كاملة ، حين يعتقد بأفكار معينة ، ثم يتعرض في يوم من الأيام الى تجربة تفتح عينيه على أن هذه الأفكار لا تمثل الحقيقة بكل وجوهها ، فيهرب الى الأفكار المناقضة . والصحيح ان كلا منا يدرك طرفا من الحقيقة ، ولا يدركها كلها .

وخير لنا أن نعرف هذا ونعمل جهدنا بأن نقيم توازنا بين المنازع المختلفة التي تتجاذب تفكيرنا دون أن نقف عن السعي لاستكمال معارفنا ، واستكشاف مجهولات الحياة والكون ، وان أيقنا أن استكشافها التام مستحيل على امكانياتنا البشرية .

التقاليد والأعراف

● في رواية « المغمورون » تقوم ذات العلاقة ، لكن الأحداث تقع هنا في قلب الريف حيث « المرأة ـ المدينة » قادمة لتصنع شكلا جديدا من الحياة على ضفاف النهر . النهاية هنا موجعة ، إذ بينما تعود المرأة الى مدينتها لتؤكد انتماءها بقوة من خلال زواجها بفتى غني في المدينة يبدو « الرجل ـ الريف » أكثر صدقا ونبلا رغم سقوطه في هذا الاحباط ، فالنهر يغمر أرضه والدموع عينيه . هل هي خيبة أمل كبرى باستحالة المزاوجة . . ؟

ـ الرجل الريفي في رواية « المغمورون » أصدق سلوكا وأنصع صورة منه في رواية « باسمة بين الدموع » ، ربما لأنه ظل أمينا على نوازعه الأساسية وطبقته التي ينتمي اليها فلم يقبل بالانتقال الى طبقة أخرى ، أرفع ظاهريا ، لأنها تكلفه خسارة في أخلاقه ومعتقداته . على أن « المرأة ـ المدينة » في هذه الرواية نفسها أعني « المغمورون » ليست سيئة وان كانت فشلت في تحقيق ما طمحت إليه وهو ارتباطها برجل ريفي دونها مرتبة اجتماعية وثقافية ، ولكنه لا يقل عنها أو يفوقها بقوة الشخصية والتفتح الفكري والذكاء . عودة ندى بطلة « المغمورون » الى طبقتها راجع الى أن مجتمعاتنا لم تبلغ من النضج ما يجعلها قادرة على كسر طوق التقاليد والأعراف المتبعة . نحن قد تطورنا ثقافيا وتعليميا ، ولكننا لم نستطع أن نساير هذا التطور الثقافي والتعليمي بتطور اجتماعي مماثل . وهنا تقع المرأة والرجل في الريف والمدينة معا تحت كوابح تمنعهم من أن يسلكوا في الحياة المسار الذي يرونه من الناحية العلمية مسارا صحيحا . أما الذين يحاولون كسر الطوق فكثيرا ما ينتهون الى النهايات الموجعة التي انتهى اليها بطلا « المغمورون » . نحن بانتظار المستقبل الذي يجعل المزاوجة ممكنة بدون نهايات موجعة ، وذلك حين يواكب التطور الاجتماعي تطورنا العلمي أو التعليمي .

● هل يمكن أن نقول ان الريف من خلال الرجال الثلاثة قد ازداد تمسكا بمثله ، وأن

المدينة أيضا قد تمسكت بمثلها . والنتيجة في الصراع أن المدينة هي المتصر الأخير .

ـ لا أعتقد أن الريف في بلادنا ، وفي عصرنا ، قد ابتعد عن جسده لحساب روحه . كل ريف يطمح الى أن يكون مدينة غير حاسب حسابا لمكاسبه أو خسائره . هناك أفراد ينعون على المدينة ماديتها ، ولكن قلّ من زهد منهم بالمدينة التي أمّها ورجع الى ريفه مفضلا قيم الريف على المدينة .

ليس هناك صراع بين المدينة والريف ليكون منتصر هناك ومخذول ، وانما هناك احتواء وهيمنة ، والى أن يجتاح عالمنا طوفان جديد فان المدينة هي المحتوية وهي المهيمنة . .

● لعلك تستغرب أني اخترت من بين كتاباتك كلها هذه الكتب الثلاثة . ولكني أتصور أن فكر عبدالسلام العجيلي يتمثل فيها خير تمثيل . ما رأيكم ؟

ـ الكتب الثلاثة التي اخترتها من مؤلفاتي الروائية تمثل حقا جوانب مهمة من فكري ، ولكنها لا تمثل فكري كله انها ثلاثة كتب من خمسة وعشرين كتابا ظهرت لي . وفي كل من كتبي الأخرى جوانب من فكري قد لا أكون تطرقت اليها في هذه الكتب الثلاثة . ذلك أني أسعى الى أن ألا أكرر نفسي ، والى أن أعالج في كل كتاب جديد أو قصة جديدة مواضيع غير التي سبق وعالجتها فيما كتبته سابقا .

الطب والأدب

● أنت طبيب وأديب أيضا ، كيف تمكنت من المزاوجة بين الاثنين ، رغم أنها ليست حالة نادرة في الدنيا ، لكن للتجربة الخصوصية مذاقها . أنت ترى الأدب هواية . وأنا أرى ـ والكثيرون يرون ـ أنه على المستوى العالمي وعلى المستوى العربي والوطني تكاد صورة الطبيب أن تختفي تماما وراء صورة الأديب .

ـ اذا كنت طبيبا وداويت مائة مريض يوميا ، أي داويتهم بنجاح ، فإن عارفي منزلتك الطبية لا يتعدون الثلاثين ألف انسان في عام كامل . واذا كنت أديبا ، كاتبا أو شاعرا ، وكتبت كلمة موفقة فانها قادرة على أن تجعل عارفيك مئات الآلاف في يوم واحد . هذا هو الفرق في الشهرة بين الأديب والطبيب بصورة عامة ، وفي كل الأزمان ، وعند مختلف الأمم .

وأنا طبيب بحكم عملي الذي نذرت له نفسي والذي يؤمن لي عيشي ، والذي تهيأت له بالدراسة والعمل الدؤوب . أما الأدب فقد ظل هواية كانت بداياتها موهبة ، ولكن لم أتهيأ له بدراسة متعمدة ولا أعطيته من وقتي إلا ما فضل عن عملي الطبي واهتماماتي الأخرى . وأظل أديبا هاويا على الرغم من كثرة انتاجي الأدبي ، وتغلب شهرتي كأديب عند أناس يقيمون خارج المنطقة التي أمارس فيها الطب ، على شهرتي كطبيب . . وما أظنني سأتحول من هاوٍ الى محترف في مجال الأدب ، حتى لو انقطعت لسبب أو لآخر عن ممارسة الطب . الهواية تبقى لذة ، في حين يحولها الاحتراف الى واجب ربما يكون ثقيلا على النفس ، وأنا أحب أن التذ بالأدب ، فهذه لذة رفيعة سامية أحاول أن أجنبها الاثقال على النفس .

● تتحدث مع أعلى المستويات الاجتماعية المثقفة في كافة أقطار الدنيا ، وتتحدث أيضا مع أبسط الناس القادمين من البادية . كيف أمسكت بخيوط هذه اللغة ؟

ـ يبدو أن هذه هبة مولودة في نفسي ، اذ أني لم أتعلمها في كتاب لأقول أنها مكتسبة . في بعض بلاد العالم مدارس تلقن تلاميذها أصول الحديث أو طريقة القاء الخطب ، وهي مدارس لا توجد في بلادنا . ولا شك أن الهبة أو الموهبة تزداد تمكنا بالتجربة والاطلاع .

وأنا بطبعي طلق ، كثير الفضول ، كثير المعارف ، كثير البحث وراء المجاهيل .

وهذا ما زودني بروافد من المعلومات وبأساليب أصل بها الى أفهام الآخرين ، انها صفة أو خاصة لم أقصد الوصول اليها ، ولكن ظروف حياتي ومخالطاتي ودراساتي ، الى جانب الهبة المولودة ، أوصلتني اليها . □

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

ص

صهيونية

حركة ودعوة دينية ـ عنصرية استيطانية تطالب بتوطين وتجميع اليهود في دولة خاصة بهم على أرض فلسطين كحل للمسألة اليهودية ، مستبيحة في ذلك كل الوسائل بدءا بالهجرة ومرورا بالغزو والعنف . . الكلمة مشتقة من اسم جبل صهيون ،

الذي يقع جنوب غرب مدينة القدس ، وفق تعاليم الديانة اليهودية ، فالجبل يعد مزارا ومكان حج لليهود ، يزورونه هاتفين « رنموا للرب الساكن في صهيون » وأول من اشتق الكلمة كان « ناتان برنبادم » في عام (١٨٩٠) ليصف بها تحول تعلق اليهود بجبل صهيون وأرض فلسطين من مجرد تعلق ديني الى برنامج سياسي استعماري ، يهدف الى توطين الشعب اليهودي بفلسطين .

وتعود نشأة الصهيونية الى جذور سياسية واقتصادية متفاوتة ، فأول من دعا الى تهجير اليهود الى فلسطين هو « بالمرستون » رئيس وزراء بريطانيا (١٨٤٠) وذلك بقصد ايجاد حاجز بشري غريب يمنع قيام دولة موحدة بين مصر والمشرق العربي ، وذلك عقب أن استوعب الغرب تجربة محمد علي في مصر وسوريا ، وتهديده لمصالح الدول الامبريالية ، وتبنى كبار الساسة الاستعماريين البريطانيين الفكرة بعد ذلك ، إلا أن الصهيونية لم تبرز كفكرة محددة المعالم وكبرنامج سياسي وتنظيم الاعقب عام (١٨٩٧) ، عندما تمكن تيودور هرتزل من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا وأعلن عن قيام المنظمة الصهيونية العالمية . والثابت تاريخيا أن الحركة الصهيونية بذاتها كانت عاجزة عن الاستمرار ، بل مهددة بالتلاشي ، لولا دعم الدول الغربية ومؤسساتها وكبار رجال النظام الرأسمالي فيها ، فقد كان اليهود داخل المجتمع الأوروبي يمثلون عبئا شديدا عليه ، فاليهود يقفون خارج المجتمع دينيا واقتصاديا ، فهم أقليّة دينية متزمتة ، وهم خارج التنظيم الاقتصادي يقصرون نشاطاتهم في مجال التجارة وأعمال المال والربا ، حيث لم يسلم من مراباتهم أحد ، مما جعل للرأسماليين الأوروبيين مصلحة حقيقية في تهجير اليهود الى خارج أوروبا ، لتجنب منافسة اليهود للبرجوازية الصغيرة في أوروبا ، وتجنب عواقب البطالة ، وكسر احتكار سوق التجارة والمال .

وتتضح أهمية هذه الأسباب اذا نظرنا اليها في سياق المجتمع الاوروبي بمقاييس ذلك الوقت (منتصف القرن التاسع عشر) حيث كانت أوروبا تتحول من نظام اقطاعي الى نظام رأسمالي ، بما يعنيه ذلك من

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى


تيودور هرتزل

تغير في اشكال التنظيم الاقتصادية والاجتماعية ، من تنظيم اقتصادي ديني الى تنظيم اقتصادي اجتماعي .

في هذا المناخ من الدعم والرغبة في مساعدة اليهود من أجل ترك أوروبا ، جاء مؤتمر بال الذي أسفر عن تحديد أهداف الحركة الصهيونية ، وانشاء « المنظمة الصهيونية العالمية » ، لتكون بمثابة الأداة التنظيمية لتنفيذ هذا البرنامج ، وقد حدد المؤتمر هدفه العام وهدف الحركة الصهيونية في خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين بواسطة الهجرة ، مع العمل على ربط يهود العالم بهذا البرنامج ، والتعاون مع الدول الأوروبية لتحقيق ذلك . .

عقب ذلك حاول السياسيون الصهاينة الحصول على تأييد السلطان العثماني للفكرة ، الذي رفضها لأسباب تتعلق بالحفاظ على مملكته والخوف من تمزيقها ، بينما نشط فريق آخر من الصهاينة يتزعمه وايزمان في العمل على خلق حقائق جديدة ، وأمر واقع جديد فوق أرض فلسطين ، وذلك بخلق وجود استيطاني من خلال الهجرة ، وبناء المؤسسات والمستوطنات الصهيونية ، وبالفعل ظهرت الى الوجود مؤسسات كاتحاد العمال والجامعة العبرية ومؤسسة الجيش ، وبذلك تكون الفكرة الصهيونية سابقة لوجود الدولة وممهدة لها ، ففي ذلك الوقت كان هناك اتحاد عمال ولم يكن هناك عمال ، وجامعة بدون اساتذه وطلاب ، ومؤسسة جيش بدون جيش .

وقد كان من الممكن أن تظل هذه المحاولات في حجمها ، وقابلة للانهيار ، لولا التحالف الأوروبي اليهودي أثناء الحرب العظمى الاولى ، الذي تبلور في صورة وعد بلفور ، والتزمت بريطانيا بموجبه بالمساعدة على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . .

وتشكل العقيدة الصهيونية وجذورها التاريخية الزائفة الاطار الفكري للكيان الاسرائيلي ، الذي تقوم فيه الدولة والسلطة السياسية على أساس ديني ، وقد انعكس هذا الاطار وتمثل في النظم الاجتماعية القائمة على التمييز بين كل من هو يهودي وغير يهودي ، وظهر ذلك في التشريعات والقوانين ، وأوضح مثال لها قانون العودة ، الذي يحق بمقتضاه لكل يهودي في العالم حمل الجنسية الاسرائيلية ، وأن أرض فلسطين هي أرض الميعاد وملك لليهود بأقدمية التاريخ ، الى آخر الأفكار والغيبيّات الدينية .

إلا أنه من الخطأ النظر الآن الى الصهيونية في ذلك الاطار فقط ، أو فهم العداء التاريخي بينها وبين العرب من خلال هذه النظرة الضيقة ، فواقع الحال لايفصل الكيان الصهيوني الآن عن كل المحاولات الامبريالية الغربية استغلال المنطقة العربية وتبعيتها له سياسيا واقتصاديا ، ليتحول الأمر في النهاية من سلب للأرض الى سلب للارادة . □

العربي - العدد ٣١٨ - مايو ١٩٨٥

ملوثات الهواء وطـــرق معالجتها

بقلم : الدكتور فاضل حسن

■ التلوث هو التقليل من نقاء الجو والماء ... والارض بواسطة المواد الضارة بالصحة والتفايات . أي انه تركيز للمواد الضارة المؤثرة على الانسان ومحيطه .

فماذا تعرف عن ملوثات الهواء ؟ !

ان اهم ملوثات الهواء هي المواد الدقيقة ، وثاني اكسيد الكبريت ، وأول أوكسيد الكربون ، واكاسيد النيتروجين ، والاوزون ، والهيدروكاربونات ، وكبريتيد الهيدروجين ، والفلوريد والمواد المسببة للحساسية .

تنتج المواد الدقيقة عن العواصف الرملية في المناطق الصحراوية ، والتي تؤثر على جهاز التنفس ، والمواد الدقيقة المنبعثة من المصانع مثل الرصاص والمنغنيز والاسبست والنحاس والقصدير ، وكذلك المبيدات المختلفة كالمبيدات الزراعية ومبيدات الحشرات التي تنتشر في الهواء ، والمحتوية على مواد دقيقة ملوثة تؤثر على بعض أعضاء الجسم .

أما ثاني أوكسيد الكبريت فينتج عن احتراق الفحم والزيت في وحدات التدفئة المنزلية ، أو محطات الطاقة ، وهو أحد نواتج مصانع الورق والتعدين والبترول . ان الحدود العظمى التي يسمح بها لتركيز الغاز تتراوح بين (٣ - ١٠ جزء / بالمليون) حيث تعتمد على زمن التعرض .

وينتج أول أكسيد الكربون عن التدخين والتدفئة المنزلية ومكائن احتراق المركبات ، ويكثر بشكل خاص في المدن المزدحمة بالمواصلات . وهو خطر جدا لانه لا يُرى ولا تشم له رائحة . ان تركيز الغاز نتيجة

المواصلات المزدحمة يتراوح بين ٥٠ ـ ١٠٠ جزء بالمليون ، بينما معدل تركيزه نتيجة التدخين يبلغ ٤٠٠ جزء بالمليون .

وتبلغ الحدود العظمى التي يسمح بها لتركيز الغاز ١٠٠ ـ ٣٠٠ جزء بالمليون ، واذا فحصنا أكاسيد النيتروجين ، نجد أن أهم هذه المركبات هي أول وثاني أوكسيد النيتروجين . وأهم مصادرها هي ما تقذفه وسائط النقل المختلفة . وأول أوكسيد النيتروجين يمكن أن يتحول بوجود الضوء الى ثاني أوكسيد النيتروجين .

ان بخار الماء الموجود في الهواء يتحد مع ثاني أوكسيد النيتروجين مكونا حامض النتريك ، الذي يعمل على تآكل البنايات ، ويؤثر على المزروعات . وتبلغ الحدود المسموحة العظمى لتركيز هذه الأكاسيد ٣ ـ ١٠/جزء بالمليون.

وينتج الاوزون عن تأثير ضوء الشمس على ثاني أوكسيد النيتروجين والاوكسجين ، ويؤثر الاوزون على العين والقصبات الهوائية . وتكون رائحة الغاز واضحة عند ازدياد تركيزه . وتتراوح الحدود المسموحة لتركيزه بين ٥,٠ ـ ١,٥ جزء بالمليون .

أما الهيدروكاربونات : وهي مركبات الكربون والهيدروجين فتشكل معظم المواد الكيماوية في الكازولين والمنتجات البترولية الأخرى ، ولها تأثير على الصحة . وبوجود ضوء الشمس يتفاعل ثاني أوكسيد النيتروجين مع الهيدروكاربونات ، لتنتج تفاعلات معقدة جدا وسامة ، ومعظم الهيدروكاربونات تنتج عن احتراق وقود المركبات ومصافي النفط وبعض المصانع الكيماوية . ومن الهيدروكاربونات ما هو خطر جدا على شكل مواد دقيقة معلقة .

ويتكون كبريتيد الهيدروجين : من تجمع الفضلات الصناعية في ماء راكد ، وخاصة الصناعات النفطية ، ويكثر في محطات تصفية ماء الصرف ، وهو ذو رائحة كريهة ، وتظهر رائحته عندما يتراوح تركيزه بين ١,٠ ـ ١ جزء بالمليون .

وأما الفلوريد فهو المادة التي تنتج عن تفاعل الفلورين وعنصر آخر . ان أخطر مركبات الفلوريد هو فلوريد الهيدروجين . وتركيز الفلوريد النموذجي في الجو يبلغ ٠,٠٥ ملغم / م^{3} .

وهناك أخيرا المواد المسببة للحساسية : وهي المواد العضوية النباتية أو الحيوانية ، والمواد الصناعية التي تنتقل في الهواء ، والمسببة للحساسية ، وخاصة للاشخاص الذين يسكنون المناطق الزراعية والصناعية .

السيطرة على تلوث الهواء :

تصنف ملوثات الهواء الى نوعين رئيسيين هما : ـ ملوثات غازية وملوثات ناعمة . لذلك من الضروري دراسة حجم الجزئية وتصنيف الجزئيات مع تركيزها وسرعة سقوط الجزئية ، وكذلك دراسة المؤثرات على انتقال الغازات .

يقاس حجم الجزئية بالمايكرون ، وتتراوح الجزئيات بين المرئية بالعين المجردة ، والتي هي أكبر من ٥٠ مايكرون ، الى أصغر من ٠,٠٠٥ مايكرون ، والتي لا ترى الا بالمجهر الألكتروني . ان تركيز الجزئيات يتغير من ١٠^{6} ملغم / م^{3} كتركيز الهواء الموجود فوق المحيطات الى ١٠^{6} ملغم / م^{3} وكهواء العواصف الترابية . ويصنف تركيز الغبار الى خفيف ووسط ومعتدل وكثيف .

وتصنف الجزئيات حسب حجم الجزئية ، الى ناعم جدا وناعم ومعتدل وخشن .



وهنالك قوى مؤثرة على الجزئية الساقطة . فهنالك قوة اتجاه نحو الأسفل نتيجة للجاذبية ، تسمى قوة الجاذبية ، وقوتان مقاومتان نحو الأعلى هما القوة الطافية وقوة المقاومة . وتسقط الجزئية عندما تكون قوة الجاذبية أعلى من القوتين المقاومتين ، وتطفو الجزئية عندما تتساوى قوة الجاذبية مع القوتين المقاومتين ، وترتفع الجزئية عندما تكون قوة الجاذبية دون القوتين المقاومتين .

وللسيطرة على الغازات الناقلة للملوثات ، يجب دراسة الضغط ، ودرجة الحرارة والكثافة ومعدل جريان الغاز .

وتصنف نظم السيطرة على تلوث الهواء حسب تركيز الجزئيات الى : ترشيح الهواء الاعتيادي وترشيح هواء المصانع ، وترشيح الغبار . يتضح مما سبق ذكره أن السيطرة على التلوث تعتمد بشكل أساسي على خصائص كحجم وتركيز الجزئيات ، بينما لا تعتمد كثيراً على النوعية الكيماوية للملوثات ، الا في حالة الأجهزة المعقدة في المصانع ذات التلوث الكيماوي الخطير .

أما عن مرشحات الهواء وهي الأجهزة المستخدمة لازالة التركيز المنخفض في الهواء الجوي وهواء المباني . فهناك ثلاثة أنواع أساسية لمرشحات الهواء ، هي التصادم اللزج ، والمرشحات الجافة ، والمرشحات الالكترونية .

ان مرشحات التصادم اللزج تكون على شكل ألياف مصنوعة من مواد مختلفة ، تعمل كمصدات ، حيث تلتصق جزئيات الغبار بهذه الألياف . أما المرشحات الجافة فهي مشابهة لمرشحات التصادم اللزج ، ولكنها أكثر كفاءة بسبب نعومة اليافها .

أما المرشحات الالكترونية فانها تستخدم الشحن الكهربائي لترسيب الجزئيات من الهواء .

منظفات الهواء الصناعي :

ان تركيز الهواء الصناعي أكثر من تركيز الهواء الاعتيادي (١٠٠ ـ ٢٠٠٠٠ مرة) فالمنظفات تصمم على شكل مجمعات لازالة الغبار الكثيف من المراحل الصناعية ، باستخدام أجهزة التفريغ ، أو مدخنة الفضلات الغازية . وهنالك أنواع مختلفة من المنظفات منها : غرفة الترسيب ، والمجمع الذي يستخدم القوة المركزية ، والمجمعات الرطبة ، والمجمعات النسيجية ، والمرسبات الالكتروستاتيكية ، وطريقة الامتصاص والحرق .

ان غرفة الترسيب بالجاذبية هي أبسط وأقدم الطرق لجمع الغبار الصناعي ، وهي ذات فعالية لازالة الجزئيات الكبيرة الحجم نسبيا ، وخاصة في معامل الطابوق التي تستخدم الزيت كوقود . أما المجمعات التي تستخدم القوة المركزية فانها تشبه الاسطوانة ، حيث تنقذف الجزئيات نحو الجدار خلال دوران الاسطوانة ، وتترسب نحو الأسفل ، ويخرج الهواء النقي من أعلى الاسطوانة . وأما النوع الثالث من المنظفات فانها المجمعات الرطبة ، ومن أهمها برج الرش ، حيث يرش الماء بشكل رذاذ من الأعلى ، ويدخل الهواء الملوث من الأسفل ، فتلتصق الجزئيات الملوثة مع جزئيات الماء ، وتترسب مع الماء ، ويخرج ماء ملوث من فتحة أسفل البرج .

اما الهواء النقي نسبيا فيخرج من الأعلى ، ومن فوائد هذه الطريقة بساطة الانشاء وكلفتها القليلة . ويتم فصل الجزئيات عن الغاز خلال مرورها بالمجمعات النسيجية التي تتكون من ألياف بحجم كبير . وفائدة هذه الطريقة أن فعاليتها عالية . وتستخدم القوى الكهربائية لفصل الجزئيات المعلقة من الغازات في حالة المرسبات الالكتروستاتيكية . ويستخدم البرج المحشو بمادة قابلة للامتصاص للجزئيات الملوثة . ان الامتصاص هو عملية فصل الغاز باذابته أو تجانسه مع سائل ، أو داخل جسم صلب ، أما الامتصاص فهو فصل الغاز باذابته أو تجمعه على سطح الجسم . وتستخدم طريقة الحرق عادة في حالة الملوثات السامة ذات الرائحة ، مثل الهيدروكاربونات .

وتستخدم المدخنة لابعاد الملوثات لمسافات بعيدة عن مصدر التلوث ، حيث ان تركيز الملوثات في الجو يعتمد على المعدل الحجمي للملوثات المنبعثة ، وعلى سرعة الريح والارتفاع الصافي للمدخنة ، بالاضافة الى الظروف الجوية مثل درجة الحرارة والرطوبة .

وهنالك طرق للازالة تعتمد على النوعية الكيماوية للملوثات ، حيث تضاف مواد كيماوية للتفاعل مع الملوثات ، ويخرج هواء نقي نسبيا بعد التفاعل . □

أصابعك علاج



للصداع

بقلم : الدكتور نبيل سليم علي

« الصداع » ألم يصيب كل البشر . . فى كل الاعمار والاجناس ، ولم يصل الطب حتى الآن الى علاج ناجع له .

ولكن قبل أن نعرف العلاج يجب أن نعلم أولا حقيقة الصداع وأنواعه لكى يتيسر لنا فهم وتنفيذ العلاج . وهو ما يعرضه هذا المقال .

من أبرز أنواع الصداع ذلك الذى ينشأ من تقلص وتمدد مفاجىء ووقتى وعابر بشرايين الدماغ ، وهذا التمدد العابر ما هو إلا نتيجة لارتفاع بعض الهرمونات العصبية فى الدم ، وهو يختفى دائما بعد فترة استهلاك هذه الهرمونات .

وعندما تكشفت للطب حديثا أسرار كيمياء الألم حدثت ثورة جديدة فى علاج الصداع ، فمثلا ثبت وجود ما يسمى بـ « الاندورفينات » Endor-phines أو الأفيون الطبيعى فى الجهاز العصبى للانسان والحيوان ، وهى مادة تشبه المورفين ، مسئولة عن حماية الانسان من الألم وخاصة الصداع ، وقد رزق الله بها عباده بدرجات متفاوتة ، واتضح أنها موجودة بكثرة فى الجمال والأفيال ، ولذلك عرف عنها الاحتمال الشديد للألم . أما البشر فهم يختلفون ـ فيما

بينهم ـ فى درجة ما حباهم الله به من هذا الأفيون . فتجد احتمال بعضهم للألم مرتفعا ، وذلك لارتفاع نسبة ما يحتويه جهازه العصبى من هذه الاندورفينات الطبيعية ، وقليل من الناس حرمهم الله من كمية معقولة من الأفيون الطبيعى فأصبحوا نهبا للآلام .

لذلك تجرى الأبحاث اليوم على قدم وساق لحل مشكلة هذه الأقلية بتنشيط الأفيون الطبيعى لديهم ، فلم يعد هناك أدنى شك فى أن الألم والمتعة والانفعال ، لها إتصال بعمل الاندورفينات ، وعلى ذلك فإن القدرة على تحمل الألم العظيم قد تكون نتيجة لزيادة كمية الاندورفينات عما هى موجودة فى الشخص العادى ، وكان أن تم منذ عام اكتشاف عائلة بأكملها من الاندورفينات أو المورفين الداخلى ، كما أمكن تركيبها خارج جسم الانسان ، ولكن بتكاليف باهظة ، حيث أن الجرام الواحد يكلف ثلاثمائة ألف دولار . وفى تقدم آخر لفهم طبيعة عمليات الشعور بالألم والصداع وضع الأطباء أيديهم على مفتاح جديد . . فعند عبور الألم من مصادره الأولى فى أعضاء الجسم إلى المراكز العليا فى الجهاز العصبى يمر الألم أو الصداع ببوابات متعددة . وهذه البوابات تسمح بأقدار متفاوتة من الألم حسب إتساعها ، فإذا كانت مغلقة خف الصداع أو الألم ، واذا كانت مفتوحة على مصراعيها زاد الصداع .

ويتحكم فى فتح البوابات وغلقها أنظمة مراقبة وتقدير داخلية تراعى مصلحة الانسان ككل ، فمثلا تفتح بوابات الألم على مصراعيها للألم الذى يهدد حياة الانسان ـ مثل الذبحة الصدرية أو التى تتطلب إجراء سريعا .

وهناك درجة من السيطرة يمكن أن يمارسها الانسان على بوابات الألم لديه ، ومن الأمثلة الصارخة التى يمكننا أن نقدمها فى ذلك المجال ، ما يقوم به فقراء الهنود عند المشى على المسامير ، وما يقوم به الجنود فى المعارك .

ان « الصداع » . . هذا الاحساس المزعج الذى يداهمنا ، يتم التعبير عنه من خلال جهازنا العصبى والنفسى ، وحيث الدماغ ـ كما نعرف ـ منطقة متسعة من الجسم ، وهى تحتوى على أعضاء كثيرة مثل المخ والأذنين والعيون وعظام الجمجمة وعضلات الوجه ، وقد اصطلح على أن أى ألم يصدر من هذه الأعضاء يسمى صداعا . . كما أنه يمكن أن يصدر عن مرض أو خلل فى الضروس ، أو النظر أو التهاب الجيوب الأنفية أو غيرها ، وفى مثل هذه الحالات يختفى الصداع بعلاج الأسباب لأنه كان عرضا وليس مرضا .

أما إذا أصيب الأنسان بصداع لا يوجد له سبب واضح ، فإن الطبيب عادة يصنف هذا الصداع على أنه صداع نفسى ، أى أنه مرتبط باضطرابات نفسية . والواقع أن طب الأمراض النفسية والعصبية تصدى لهذا النوع من انواع الصداع مستخدما المناهج العلمية السليمة ، وتوصل إلى بعض النتائج التى يقول بعضها : ان هناك أعضاء فى الدماغ ، وبالذات فى عضلات الرقبة والجبهة والوجه تعتبر مصدرا للصداع نتيجة لتوترها الشديد لفترة طويلة ، وهذه العضلات تعتبر من أدوات التعبير الوجدانى ، ولذلك فهى دائمة التوتر ، كما أن توتر هذه العضلات مسئول عن الصداع الذى يحس به كل منا بعد فترة من الانفعال الشديد ، وغالبا ما يتبدد هذا الصداع بعد فترة من الاسترخاء أو النوم . . ولكنه يعتبر مشكلة للذين لا يجدون وقتا للاسترخاء ، حيث أنهم يتزايدون بصفة مستمرة فى مجتمعاتنا التى تتسم بالانفعال الدائم واليقظة العالية وقلة فرص الراحة أو الاسترخاء ، إلا أنه أمكن الاستعانة ببعض التمرينات المعينة للاسترخاء كالهروب المتنظم الى المناطق الخلوية الهادئة والخضراء ، كما أن التأمل الروحى فى الكون والصلوات تخفف كثيرا من نوبات هذا المرض .

الصداع النصفى

أما النوع الثالث من أنواع الصداع هو الصداع النصفى « الشقيقة » وهو مرض قديم قدم الحضارة ، فقد جاء ذكره فى لوحة مصرية يعود تاريخها إلى سنة ١٢٠٠ ق . م ، كذلك وصفه « أبو قراط » ولكن كان أول وصف شامل لهذا المرض قد تم فى عام



١٣٠ م ، فقد جاء فى تقرير وصفه « أنه ألم يتركز فى قسم واحد من الرأس ، مع إعتلال ، ودوار ، وانزعاج شديد من الضوء وشعور شديد بالغثيان قد يصاحب حدوث النوبة » .

وبعد نصف قرن من الزمن ، استخدم « جالين » الكلمة الاغريقية (Hemicania) التى تعنى (نصف الجمجمة) لوصف الصداع النصفى ثم تحولت فيما بعد الى (Migraine) وهى الكلمة المستخدمة حاليا .

ويعانى نحو ستة ملايين أو أكثر من البريطانيين ـ أى بما يعادل عُشر السكان هناك ـ من ويلات الصداع النصفى الذى يدوم أحيانا بضع ساعات وأحيانا بضعة أيام ، كما يعانى عشرات الملايين من الأشخاص فى العالم من هذا المرض ، ففى أمريكا وحدها يوجد أكثر من سبعة ملايين من السكان يعانون من الصداع النصفى ، ويلاحظ أن عدد النساء المصابات يعادل ضعف عدد الرجال خاصة أيام الحيض ، وهناك نوع واحد غير مألوف من المرض وهو الصداع النصفى العصبى يكاد يقتصر على الرجال . كما يصاب الأطفال من كلا الجنسين بهذا المرض وبنفس النسبة ، وتزداد الأصابة به عند الفتيان بعد سن البلوغ .

ونوبات الصداع النصفى تأتى عادة دون سابق إنذار ، وتسبب فى بعض الاحيان صحو النائم من نومه ، إلا أن لدى البعض حاسة تدلهم على حلول نوبة الصداع ، إذ يشعرون مثلا بدوخة أو اضطراب بصرى ، أو يشعرون بالجوع ، أو الرغبة الشديدة فى أكل الحلويات وما شابه ذلك .

وتثير نوبات الصداع أسباب كثيرة ، منها التدخين ، وهبوب العواصف والأضواء الساطعة والأصوات المزعجة ، أو الضوضاء والروائح الشديدة ، أو تغيير الطقس ، أو التأخر عن وجبات الطعام أو شدة حرارة ماء الاستحمام ، أو كثرة الهموم

أما النساء فإن كثيرا منهن يعانين من الصداع أيام الحيض وعند استعمال أقراص منع الحمل . ويحدث الصداع أيضا من جراء تعاطى بعض العقاقير الكيماوية إما فى الأدوية أو فى الأغذية ، فالعناصر الأمينية الموجودة فى الشيكولاتة والجبن وبعض المشروبات من العوامل التى تؤدى الى إثارة الصداع النصفى .

أما أساليب معالجة الصداع فأهمها تجنب العوامل التى تسبب حدوثها ، واستعمال الأدوية أو العقاقير التى تخفف حدة الألم فور الشعور بحلول النوبة ، من جراء ظهور الأعراض كالاصابة بدوخة واضطراب أو هذيان ، أو إدرار البول أو الجوع غير العادى ، أو النشاط أو الكسل غير الطبيعى وخلاف ذلك ، ويجب على الذى يصاب بنوبات متكررة أن يحمل معه مسكنات الألم ويخلد الى الهدوء فى غرفة هادئة وشبه مظلمة . وهناك عدة عقاقير يمكن تناولها ، وهى التى تحتوى على مادة « الأيرجوتامين » ، فهذا العقار يؤثر على قطر الأوعية الدموية بصورة عامة وفى الدماغ أو الجمجمة بصورة خاصة . وله أيضا تأثير على مستويات « الجيروتونين » العالية فى الدم والتى يعتقد أن لها علاقة بنوبات المرض .

ومن العقاقير التى تحتوى على هذه المادة : ميجريل ، افرجوت ، كافيرجون ، وفيمرجين .

ولا يؤثر هذا الدواء إلا قليلا على الأعراض التحذيرية التى تنبىء عن قدوم النوبة . هذه الأعراض التى تنجلى تلقائيا خلال ٣٠ ـ ٦٠ دقيقة

ولكن هذه العقاقير إذا استعملت بكثرة قد تؤدى إلى حالة (تسمم) فى بعض الحالات .

علاج الصداع فى « أصابعك »

والآن نأتى إلى العلاج الجديد للصداع . ونظرا لأهمية هذا المرض وخطورته على المجتمع .. أصدرت الجمعية البريطانية لأبحاث الصداع كتابا جديدا عن أسباب وأنواع الصداع وكيفية وطرق علاجه ، لما له من منغصات العيش لعشرات الملايين من الناس كما ذكرت مسبقا ، كما أن أحد علماء الطب النفسى بجامعة الينوى بالولايات المتحدة يقول ان للأسبرين أضرارا جانبية منها قرحة المعدة ، وسيولة الدم ، ورغم ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية تستهلك مائة طن أسبرين يوميا .

لذا فقد بدأنا بإجراء تجربة جديدة على ١٢ مريضا من الأطباء ، وتم شفاؤهم جميعا ، وذلك من خلال الضغط على أربعة أماكن فى الجسم ، ولكن يجب أن يكون لدينا إقتناع بأننا سوف نحصل على نتائج إيجابية .



المنطقة الأولى :

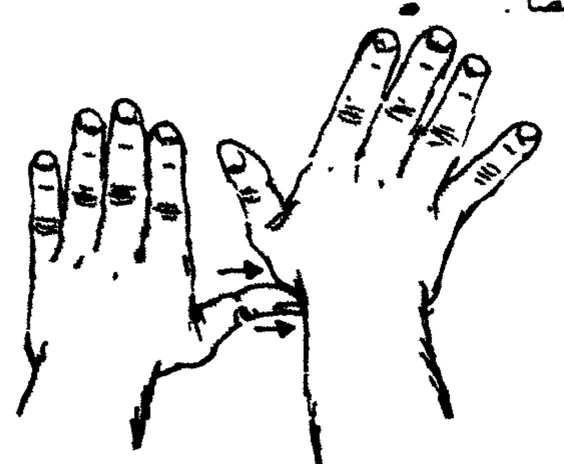
عند التقاء الحاجب بطرف العين ستشعر بوجود عظمة تكون الجدار الخارجي لتجويف مقلة العين . . أخرج عن هذه النقطة في اتجاه أذنك مسافة نصف سنتميتر أو سنتيمتر وابدأ الضغط ، ستشعر بأن الضغط على هذه النقطة بالذات يسبب لك ألما أكثر من الضغط على أي نقطة أخرى مجاورة . . اضغط بالابهام حوالى دقيقة واحدة ضغطا مستمراً وبالطبع على الناحيتين .

المنطقة الثانية :

ـ عند خلف الرقبة إتجه داخليا على العظمة الموجودة خلف الأذن وعندما تجد تجويفا بسيطا تحت أصبعك تكون قد وصلت إلى النقطة المطلوبة . . إضغط بشدة على هذه النقطة لمدة دقيقة واحدة .

المنطقة الثالثة :

وهى ضغط الابهام بالابهام لمدة دقيقة واحدة ايضا .



المنطقة الرابعة :

الضغط على جانب الرسغ تحت نهاية الأصبع الكبير (الابهام) .

ولكن هناك شروطا للضغط . . وهى أن يكون الضغط بطرف الأصبع وليس بجزء كبير منه وذلك لكى يكون الضغط بأصغر سطح من الأصبع :

ـ أن يكون الابهام الضاغط منثنيا بزاوية قائمة .

ـ اضغط بشدة ولا تنزعج لهذا الألم لأنه لن يستمر طويلا .

ـ ابدأ التجربة بالضغط لمدة نصف دقيقة ثم انتظر قليلا ، ثم أكمل الضغط مدة الدقيقة ، وذلك لانك لن تستطيع أن تضغط منذ اللحظة الأولى دقيقة كاملة من شدة الألم ، لكن بعد ذلك سوف تتحمل الضغط مدة دقيقة كاملة . ويمكنك ممارسة الضغط على اليدين فقط لمعالجة الصداع أثناء جلوسك فى مجتمع ما دون أن يشعر بك أحد . إذا احتجت الى جرعة إسعاف سريعة لصداع طارىء اجعل كفيك متشابكين واضغط بالابهامين على نقطتى حافتى العين . واذا اصبحت خبيرا فى عملية الضغط هذه يمكن بعد ذلك ان تستخدم اليدين فقط فى علاج الصداع وذلك بأن « تقرصها » بشدة وهى منقبضة .

فلنجرب هذا العلاج يا عزيزى القارىء وليكن كل منا حكماً من خلال تجربته لهذا العلاج ، خاصة وأن العلاج الكامل والناجع للصداع ما زال بعيدا عن التحقيق . □



حكايات شرق وغرب

حكاية أم

● كانت باتريشيا مارشال قد بلغت عامها الثامن عشر عندما رزقت بطفلها الأول بعد زواج قصير انتهى برحيل والد الطفل بعد ولادته ببضعة أشهر .

وتقدم أحد شبان المدينة الصغيرة بولاية الينوى الأمريكية بطلب الزواج من الأرملة الشابة ، ولكنه كان يحمل مع رغبته فى الزواج بها شرطا قاسيا : « لا بد أن تبحث الأم عن أسرة تتبنى الطفل الصغير لانه يريد أن يربى أطفاله هو عندما يجيئون ، ولا يريد أن يربى بينهم طفلا غريبا عليهم » .

وقبلت باتريشيا أن تفترق عن طفلها ، فقد كانت حياتها مليئة بالفقر والحرمان بعد رحيل زوجها الأول ، وكان لا بد لها أن تتزوج لتعيش ، ووقفت تودع طفلها الصغير وهى تبكى وتتوسل الى الوالدين اللذين تبنياه ان يرعياه ويعطياه كل الحب والحنان .

ومضت الأعوام ، والأم تنتقل مع زوجها بريان ماكدرموت من بلد الى بلد حتى استقر بهما الأمر فى النهاية فى احدى المدن الكبيرة فى ولاية أخرى تبعد مئات الأميال عن المكان الذى شهد بداية قصتها مع المأساة التى بدأت تعيشها . . فلم ترزق باتريشيا بأطفال من زوجها الثانى رغم مرور عدة سنوات على زواجهما ، وبدأ الحنين الى طفلها الذى تخلت عنه يعذبها ويؤرقها . . ترى أين هو الآن ؟ كيف يعيش . . هل مازال يذكرها . ؟ لقد افترقت عنه وهو طفل لم يتجاوز شهره التاسع ، وكانت تسخر من نفسها وهى تقف عند هذه الهواجس التى باتت تسيطر على كل تفكيرها .



وكان شعورها بالألم والعذاب يتضاعف ، كلما قصدت المتجر الصغير الذى تشترى منه ما تحتاج اليه من مواد غذائية ، فقد كان مدير المخزن ويدعى (جيرى) يذكرها بابنها . . كان جيرى شابا فى السادسة والعشرين ، نفس السن تقريبا التى بلغها طفلها الصغير الآن . . وكانت تجد السعادة فى تلك اللحظات القصيرة التى تقضيها فى الحديث اليه وهى تدفع ثمن ما اشترته من متجره وتعود الى بيتها الذى يقع قريبا من المتجر !

الى أن جاء يوم ذهبت فيه الأم الى المتجر كعادتها ولم تجد جيرى ، واستبد بها القلق . . ترى ماذا حدث له ؟ وقررت ألا تعود الى هذا المتجر ثانية قبل أن يعود

جيرى بدوره اليه ، فقد علمت انه مريض وانه نقل الى المستشفى ، بعد أن قرر الاطباء انه فى حاجة الى جراحة خطيرة وعاجلة ، ولكنهم لا يستطيعون اجراء العملية لانها ستكلف مبلغا يزيد على الستين الف دولار .

وأحست الأم بأنها قد تستطيع أن تساعد هذا الشاب الغريب ، ربما بدافع من الشعور بأمومتها التى حرمت منها ، وذهبت الى البيت لتروى لزوجها قصة جيرى مع المرض . . وكأن الزوج بدوره كان يحس بالذنب لأنه فرق بين أم وطفلها دون أن يحقق امنيته فى انجاب الاطفال . فقدم لها عشرة آلاف دولار ، هى كل ما كان يدخره ، وحملت الام المبلغ وذهبت الى دور الصحف لتنشر نداءً صغيرا الى اصحاب القلوب الرحيمة .

وكانت الاستجابة سريعة . . وفى خلال أيام استطاعت باتريشيا ان تجمع المبلغ واسرعت به الى المستشفى حيث يرقد جيرى . وأجرى له الاطباء العملية الجراحية التى انقذت حياته .

وفى غرفة سجلات المستشفى التى كان يرقد فيها الشاب المريض كان فريق من الاطباء يقومون باسعاف سيدة سقطت على الارض مغشيا عليها ، وفى يدها بطاقة تحمل اسم جيرى وتاريخ ميلاده ، والمكان الذى ولد فيه واسم الأسرة التى تبنته . . لقد كان جيرى هو ابنها الذى تخلت عنه منذ أكثر من ربع قرن من الزمان . .

قالت عندما افاقت من غيبوبتها : « لقد انقذت حياة ابنى . . كفرت عن الذنب الذى جنيته لقد عاد الى ولدى » .

رصاصة فى قلب الطبيب !

● عندما أعلن الدكتور دارفينج فروهمان التقاعد عن ممارسة مهنة الطب ، قرر البقاء فى بيته الذى كان يعالج فيه مرضاه بالجناح الذى كان مخصصا لاستقبالهم ببلدة كوينز بولاية نيويورك . ولكن الطبيب ما لبث أن اكتشف أن المكان الذى عاش فيه مدة تزيد على الثلاثين عاما لم يعد يشعر فيه بالأمان والهدوء . . فقد أصبح وكرا للصوص وقطاع الطرق والسفاحين .

ولم يجد فروهمان من وسيلة لمواجهة موجة الجرائم فى كونيز الا أن يمتلك سلاحا يدافع به عن نفسه ، وخاصة بعد أن تقدم به العمر فقد جاوز السبعين واشترى مسدسا ، ولكنه كان يرجو ألا يضطر الى استخدامه فى يوم من الأيام ومهما كانت الظروف .

ولكنه ما لبث أن وجد نفسه يوما يواجه الموت ، عندما اقتحم شاب باب بيته الخارجى فى الفجر ، فما كان منه الا أن اطلق عليه رصاصة من مسدسه استقرت فى صدره !

وسقط الشاب داخل بيته والدماء تنزف منه بغزارة ولم يكد الطبيب يرى ما صنعه بيده حتى أسرع الى أدوات الجراحة القديمة التى علاها الصدأ ، وأخرجها من مخزنها ، وراح يعمل بسرعة لانقاذ حياة الشاب وتضميد جراحه . وعندما اطمأن عليه اتصل بالاسعاف الذى سارع بنقله الى المستشفى لاستكمال علاجه .

ونجا الشاب من الموت . أما الدكتور فروهمان ، فقد أمسك بالسلاح الذى اشتراه ليدافع به عن نفسه وألقى به فى البحر ، وكتب يقول : لقد قضيت حياتى كلها أضمد جراح الناس . وأحاول أن أعيد لهم نبض الحياة ، ولا أريد أن أختتم أيامى الأخيرة بأن أتحول الى سفاح !



مدخنو السجاير « فى المصيدة » !

● الابحاث الأخيرة فى سيكولوجية التدخين بدأت تفسر لنا ذلك الاصرار الغريب على الاستمرار فى التدخين . ويقول الباحثون انه بالرغم من تزايد الأدلة على الخطر الشديد الذى يتعرض له المدخن ، والآثار السيئة التى يتركها التدخين على الصحة ، فلا تزال السيجارة حيث كانت دائما بين الأصابع والشفاه ، ولا يزال دخانها المحترق يملأ صدور المدخنين الذين يهربون من التحذيرات .

وفى احصائية أخيرة نشرت فى نيويورك جاء:ان ثلث الأمريكيين البالغين قد أحرقوا ما يزيد على ستمائة بليون سيجارة خلال عام ١٩٨٤ ، وأن أربعة من بين كل خمسة من المدخنين يريدون أن يقلعوا عن التدخين ، ولكنهم لايلبثون أن يجدوا أنفسهم وقد عادوا الى السيجارة من جديد بعد محاولات عديدة للتخلص من عبودية السيجارة .

لماذا ؟ ما الذى يعطى السجائر هذه السطوة القوية على المدخنين ؟ ان البحوث الأخيرة تؤكد أن التبغ يحمل خصائص فريدة تجعل منه عاملا من العوامل الأساسية التى تساعد المدخن على مواجهة تقلبات الحياة ، وأن التشبث بالاعتماد على النيكوتين مرده تلك الآثار المتنوعة الكثيرة التى تترك بصماتها على المخ والجهاز العصبى .

والنتيجة ان يبقى المدخن مرتبطا بالسيجارة التى يلجأ اليها فى كثير من الظروف التى تواجهه وهو يمضى فى رحلة الحياة .

ثم هو يريد أن يجنب نفسه الشعور بالاضطراب الذى يحتويه عندما يبدأ النيكوتين فى الاختفاء من دمه عندما يمتنع عن التدخين .

وبالرغم من ان الأبحاث تقول ان عشر سجائر فى اليوم كافية لمنع أعراض الشعور باختفاء النيكوتين ، الا أنه من النادر ان تجد مدخنا يكتفى بهذا القدر من السجائر ، فهو يمضى فى التدخين ، مادام قد عاد اليه ، لمجرد انه يجد متعة فى التدخين ، لانه يغير من الكيمياويات الهامة التى تؤثر على مشاعرنا بالرفاهية والاحساس بالتعويض ، كما ان هناك أدلة على أن التدخين يسهم فى تسهيل المهام الصعبة ويساعد على شحذ الذاكرة ويقلل من الشعور بالتوتر والقلق ويضاعف من قوة الاحتمال للألم والجوع !!

هل هى دعوة الى الاستمرار فى التدخين ؟ يقول الدكتور ريشارد بولين مدير المعهد الوطنى لبحث آثار المواد المخدرة وسوء استخدامها : « ان التدخين اصبح اليوم أخطر أنواع الادمان فى العالم وأكثرها شيوعا ! »

انه أكثر خطورة من الادمان على الهيروين . »

وبالرغم من هذه المعلومات العلمية الدقيقة عن أثر تدخين السجائر وما تصنعه بالانسان ، الا أن العلماء يقولون انهم لم يتوصلوا حتى الآن الى تفسير واضح محدد للاستمرار فى التدخين بشراهة ، كما أنهم لم يتوصلوا الى وسيلة لاقلاع المدخن عن التدخين ، ولن يفلحوا فى التوصل الى علاج للمدخنين بالرغم من المحاولات التى بذلت وما زالت تبذل وان ابتكار أنواع جديدة من السجائر الخالية من النيكوتين خرافة علمية . (اقرأ عن التدخين فى مكان آخر من هذا العدد) .

هل تتحقق الاحلام ؟

روى البروفسور اناتولى جروميكو بن اندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ، تفاصيل المغامرة التى رآها فى حلمه ، وكان بطلها رجلا يشبه الى حد كبير رونالد ريجان رئيس الولايات المتحدة الامريكية !

قال البروفسور اناتولى ، وهو دبلوماسى سابق محدثا أعضاء معهد البحوث الدولى للسلام فى استوكهلم ، انه رأى فى الحلم انه كان بين ركاب سفينة فضاء يقودها قبطان يحمل مسدسين فى جيبى سترته ، وهى الصورة الكاريكاتير التى تنشرها الصحف السوفيتية للرئيس الأمريكى ريجان .

ومضى اناتولى يكمل ما شاهده فى حلمه قال : « ان السفينة كانت (كوكب الارض) وكانت متجهة بسرعة الى أحد النيازك الذى يحمل اسم (سباق التسلح) ، واسرعنا ـ مجموعة من ركاب السفينة ، وأنا ـ الى مقدمة الطائرة حيث يجلس القبطان لنحذره من احتمال اصطدام سفينتنا بالنيزك .

ولكن القبطان كان رجلا غريب الأطوار ، انه لم يصدقنا ، كما هى عادة جميع القباطنة الذين يعتدون برأيهم ، ويعرفون كل شىء ! فما كان منه الا أن ابتسم فى أدب ولم يتحرك من مقعده حيث كان يجلس وقد تدلى المسدسان اللذان يحملهما من جيبه ! »

ثم قال اناتولى : «ولكن يبدو أنه ادرك اخيرا حقيقة الموقف ، واستطاع بمساعدة بعض القباطنة الذين كانوا معه أن يغيروا مسار سفينتنا قبل فوات الأوان» .

وينهى ابن وزير الخارجية السوفيتى حديثه عن حلمه بقوله : « لقد آمنت بعد هذا بأن الأحلام لا بد أن تتحول الى حقيقة . . لا بد من انقاذ السفينة ! »

الرحلة الاخيرة !

قال له الاطباء فى مستشفى (هوستون) بولاية تكساس : « لقد زال الخطر تماما وتحسنت صحتك وتستطيع أن تغادر المستشفى فى أى وقت تشاء » . وبدأ ادوارد هيل ـ وهذا اسمه ـ يجمع ملابسه ويستعد لترك فراشه الذى أمضى ثلاثة اسابيع راقدا عليه تحت العلاج من نوبة قلبية اصابته وهو يقترب فى رحلة الحياة من عامه الستين . .

وحمل هيل حقيبته الصغيرة وراح يهبط الدرج مسرعا وقد أحس أنه ولد من جديد . . وكانت وجهته الغرفة الصغيرة التى يسدد فيها النزلاء نفقات علاجهم واقامتهم وقدم له الموظف المسئول فاتورة الحساب . . وما كاد الرجل يلقى نظرة سريعة عليها حتى سقط على الارض مغشيا عليه . . وجاء الطبيب مسرعا لاسعافه بالعلاج ، ولكنه ما كاد يقترب من صدره ليفحص دقات قلبه ، حتى ارتد مذعورا . . لقد مات ادوارد هيل . . مات من الصدمة ، والقى نظرة سريعة على الفاتورة التى كانت لا تزال بين اصابعه ، فاذا به يقرأ : (٣٨ ألف دولار مجموع نفقات العلاج والاقامة بالمستشفى) .

الزوج المثالى

الرجل الأصلع زوج مثالى ! هذه هى نتيجة الاستفتاء الذى قام به عالم النفس المجرى الدكتور استفان بوكر لأكثر من ثمانمائة زوجة على مدى خمس سنوات كاملة . فقد أجمع ثلاثون فى المائة من الزوجات على إنهن يعتبرن أنفسهن أسعد زوجات فى العالم ، وعندما التقى بوكر بازواجهن الذين نجحوا فى اسعادهن ، وجد أنهم جميعا قد فقدوا شعر رؤوسهم . . !



قصة : جار النبي الحلو

عندما انفتح الباب نفثت الشقة رائحة زمن قديم ، وأنفاسا محبوسة ، فاح عبقها المخزون مع هواء عطن ، وضعت السيدة ذات الشال يدها على أنفها الدقيق ، وقالت الأخرى العجوز بينما تدير وجهها نحو الشارع الضيق :

ـ زمن طويل يا أختي .

وتهدج صوتها ، ثم قالت :

ـ الله يرحمك يا بابا .

قالت السيدة ذات الشال بصوت مسموع يصطنع الحزن:

ـ الله يرحمك يا بابا .

بينما تقدم الشاب بتؤدة ، عدل رباط عنقه ذا الدبوس المذهب ، واندهش لأنه لم يتذكر المكان أبدا .

في سيارة الأجرة قالت أمه ـ السيدة ذات الشال ـ والتي يشبهها تماما ما عدا شعره المجعد :

ـ كم لعبت بذلك المنزل وأنت صغير ، وكنت تقعد على حجر جدك حتى تنام ، ويشيلك الله يرحمه حتى السرير ، ويلفك بالروب الحرير ، وتنزل ستائر (الدانتلا) عليك فتبدو كملاك نزل حالا من السماء .

صرخت العجوز وهي تمسح شعرها :

ـ يا ساتر . . العناكب تفرش السقف والاركان ، انظري النجفة

كان المكان مظلما تماما ، رطبا ، تقدم الشاب ، فتح الشباك بصعوبة ، فأحس باندفاع هواء جديد .

قالت خالته العجوز :

ـ الآن نفتح كل النوافذ ، ثم نبدأ في التفتيش .

فتح الشاب النافذتين الوحيدتين في الصالة والحجرة المطلة على الشارع ، وسعل ، وحين هم بالجلوس ، نظرت له الأم مشيرة للخالة ، وأحس في عيني أمه قسوة ، كان المقصود هو متابعة الخالة حتى تتم قسمة الاشياء مناصفة ، ان لم تكن هي الفائزة .

الصالة واسعة عالية الجدران ، لها مائدة طويلة وكراس من النوع القديم ، وكنبة مبطنة ومنجدة بالقطن ذات تلبيسة من القطيفة الحمراء . لم يتذكر المكان أبدا .

لم يحك له أبوه عن بيت جده ، كان يقول انه تزوج بأمه من بيت خاله الكبير ، الذي توفي بعد زواجهما بشهر ونصف ، لم يحك ، وهو على الأرجح لم يأت لهذا المكان أبدا .

ـ في العيد كنت تلبس البدلة الضباطي والكاب وتذهب لجدك فيعطيك العيدية ورقة بخمسة جنيهات ، وتظل عنده يوم العيد الأول لتأكل الديوك الرومية والبط ، واللوز والجوز .

لم يتذكر أبدا ، عندما مات جده كان صغيرا لا يتذكر سوى البكاء ، والسرادق الفخم الذي سد الشارع ، وأن أباه كان يأخذه الى المطبخ ليأكلا ـ بين الحين والآخر ـ دون ان يراهما أحد .

أقسمت أمه أن البيت ذا الطابق الواحد لن يباع مدى الحياة ، لأنه الذكرى الباقية لأبيها الذي رباهما أحسن تربية .

كانت خالته تقول :

ـ بابا الله يرحمه اشترى لي من باريس حذاء أبيض وشمسية بيضاء . . ولكن الزمن الأغبر . .

وضعت أمه الشال على كرسي متسخ ، فبان القرط والخواتم والعقود الفالصو ، وكانت تبرق ، وضعت ساقا فوق ساق ، قالت الأخت الكبرى .

ـ كما قلت قبل ان نأتي : النجف . . النجف من نصيبي .

حين سأل الشاب امه الليلة الماضية :

ـ لماذا قررتما بيع البيت ؟

قالت وكانت تقلب مجلة بعصبية :

ـ ان العقارات ارتفع ثمنها ، ومن سيشتريه سيحوله لعمارة . . هذا مكسبنا . . ثم . . ان الحي أبقى من الميت .

ورمت المجلة .

كانتا تتفاخران في الماضي بأنهما لن تبيعا البيت ، ويتردد دائما في الأحاديث والجلسات :

ـ بيت بابا .

وظل بالفعل شاهدا على أنهما ليستا في حاجة له ، وأنهما لا تطمحان في ارث . . . كانت هي تحكي :

ـ لما مات بابا وجدوا في جيب بيجامته ورقة بمائة جنيه ، وأعددنا له (عتاقة) لم يشهدها الشارع ، وأحيا تلك الليلة الشيخ محمد رفعت .

خلع الشاب الجاكته ، ووقف فرأى في منتصف الصالة صورة جده في اطار من الخشب لونه بني غامق ، اقترب فرآه برأسه الاصلع واسنانه المكسرة ، وكانت ابتسامة حقيقية تشع من وجهه العجوز .

أخرج الشاب منديله الابيض ومسح الصورة من تراب السنين ، فاتسعت ابتسامة جده .

صرخت ذات الشال :

ـ يا بابا .

قالت العجوز وهي تغلق عينيها بجفنين مترهلين :

ـ كفى يا أختي . . زمن بعيد . . هيا .

ونهضت وفتحت باب الحجرة الكبيرة . . زيق الباب ، وكانت الظلمة ، تقدم الشاب مسرعا وأضاء الحجرة مصباح متترب ، فرأى السرير وعرف أنها حجرة النوم ، ورأى أنها حجرة بسيطة ، وليس فيها ما يبهر ، همس :

ـ حجرة عادية .

سمعته أمه ، التفتت في حدة ، قالت خالته بلا اكتراث ، وهي تنظر لأمه معاتبة :

ـ ألم أقل لك .

قالت أمه بهمس كالفحيح :

ـ أنت لا تعرف شيئا . . كانت أفخم حجرة نوم . . بابا الله يرحمه اشتراها من اسطنبول .

تصوره دائما ـ كان ـ لبيت جده أنه ذو بوابة ضخمة ودرجات سلم عالية . ولكن الباب الخشبي والهواء العطن والظلمة جعلوه لا يفهم ، وتوتر .

صاحت خالته :

ـ لا تفضحنا ياباش مهندس ، انتظرنا كل هذه السنوات ، قافلين على باب أبينا سره وسرنا .

استندت الأم بيدين معروقتين على شبك السرير الخشبي وقالت :



ـ مات أبوك وكانت أمنيته أن يرى بيت جدك . . فاهم . . اياك ان تتلفظ .

لما عرف بحكاية بيع البيت وأن أمه وخالته اختارتاه من بين جميع الأهل ليذهب معهما لأخذ الاشياء الثمينة قبل البيع ، كان في حلم وشوق لرؤية المرايا التي تزين الجدران ، والسجاجيد العجمية ، والزجاج الملون ، والنجف الكريستال ، والكنبة ذات الكنوز .

انحنى ولمس بيده السجادة المفروشة على الارض . . من النوع العادي . . ولا تبدو نقوشها واضحة .

كانت أمه تقول عندما تزعل مع أبيه :

ـ أنا من عائلة ، لو دخلت بيت بابا الله يرحمه كنت تتكسف من نفسك .

اندفعتا تفتشان في الدولاب وتجذبان المراتب ، رمت الأم الوسادة ذات الزهرة على الجانب الآخر ، والبطانية المؤطرة ـ (الستان) رمتها الخالة من الباب الى الصالة ، وتحدثت بهمس ومرارة :

ـ شفتي يا أختي البطانية التي اشتراها زوجي من بورسعيد الأسبوع الفائت . . أو البطانية التي أهداها لنا (سلفي) وهو عائد من السعودية . . حاجة تهوس !!

غمزتها الأم قائلة :

ـ الدنيا تغيرت ، هل تريدين زمن أبيك كزمن بورسعيد ؟ الدنيا تغيرت ياأختي . في أعياد الميلاد والافراح ، وفي استقبال الراجعين من السعودية ، وفي كل المناسبات كانتا تتكلمان عن بيت الأب المغلق بالمفتاح ، عن طوابقه وأشجاره وأثاثه ومن كنوزه ينبهر السامعون ، هو نفسه كان مبهورا ، وبعد أن أصبح مهندسا مدنيا أفضى لأمه بشوقه لرؤية بيت جده ، قالت :

ـ لا تكن فضوليا مثل أبيك . . هذا كنزنا الذي نعيش به .

اتجه الى الحائط حيث شماعة خشبية عليها بيجامة مقلمة ، متسخة قليلا (عندما مات وجدوا في جيبه . . .) .

ارتفع صوتاهما مختلفا على بعض الجلابيب والبيجامات وملاءتين للسرير . قالت الخالة :

ـ خذي ما تريدين . . سآخذ النجف .

خرج مسرعا للصالة ، لم تكن سوى نجفة واحدة من الزجاج الهادىء اللون .

كانت هي تحكي :

ـ عند بابا نجف كريستال .

ـ عند بابا ثلاث فازات من الصين أيام كان يطوف العالم .

بالنجفة الزجاجية ثلاثة مصابيح .

خرجتا من الحجرة ، قالت الخالة :

ـ سآخذ النجفة وأبيعها في أول محل ، وخذي ما تريدين على شرط بيعه قبل وصولك للبيت .

اتجه الشاب الى الكنبة ذات القطيفة الحمراء الأنيقة ، وكانت ببابين صغيرين ، جاهد في فتحها وهو يركز على ركبتيه . قالت له أمه :

ـ ماذا تفعل ؟ ربما تفزعك الفيران .

اندهش كثيرا . . هي ليست كنبة الكنوز اذن ! حاول مرة اخرى فتح الباب ، حتى انفتح عنوة . مد يده يتحسس ، قال لخالته :

ـ أضيء النجفة من فضلك ياخالتي .

قالت : النجفة لا تضيء يا روحي .

مد يده بتوجس وقلق ، تحسس كتبا ، عبث بيده ليتأكد ، ثم أخذ يخرجها كتابا كتابا .

لا يتذكر أن أمه قالت على جده أنه كان يقرأ الجريدة ، رغم انها في كل صباح تنادي على بائع الصحف وتقول ـ وهي ما تزال بقميص النوم ـ الجورنال بسرعة .

جلس على الأرض تماما . كتب في الأدب والموسيقا . كتب ضخمة وصغيرة ومجلدة ومنزوعة الجلد .

قالت الأم وهي تتنهد :

ـ قم . . بلاهم .

امتلأت الصالة بالكتب التي تخرج منها رائحة قديمة نفاذة ، تصور للحظة أن يشتري مكتبة ويضعها في صالة بيتهم ، ويجلس بجوارها كلما زارهم أحد ، وتصور نفسه أيضا وفي يده (بايب) وكلما تحدث يشير به للمكتبة .

قام متلهفا الى أمه التي كانت تتناقش مع خالته عن : من سيدفع أجرة العربة التي ستحمل هذا الكوم من العفش والهدوم القديمة .

ـ أمي سآخذ الكتب .

زعقت فيه :

ـ ولد . . لا تفضحنا . . قلنا لك هذا سرنا الذي به عشنا . . لن نعرض زبالتنا على الناس .

نهضت الخالة ، مسحت وجهها العجوز بمنديل صغير ، وقالت لأمه :

ـ كوني عاقلة ، سأذهب وأعود برجل يشتري ما في الشقة ، ونخرج بالمفتاح ، وبعد ذلك تتم عملية البيع بسهولة ، ولا تنسي أن تحطمي الاطار وتحتفظي بصورة أبيك .

وخرجت . .

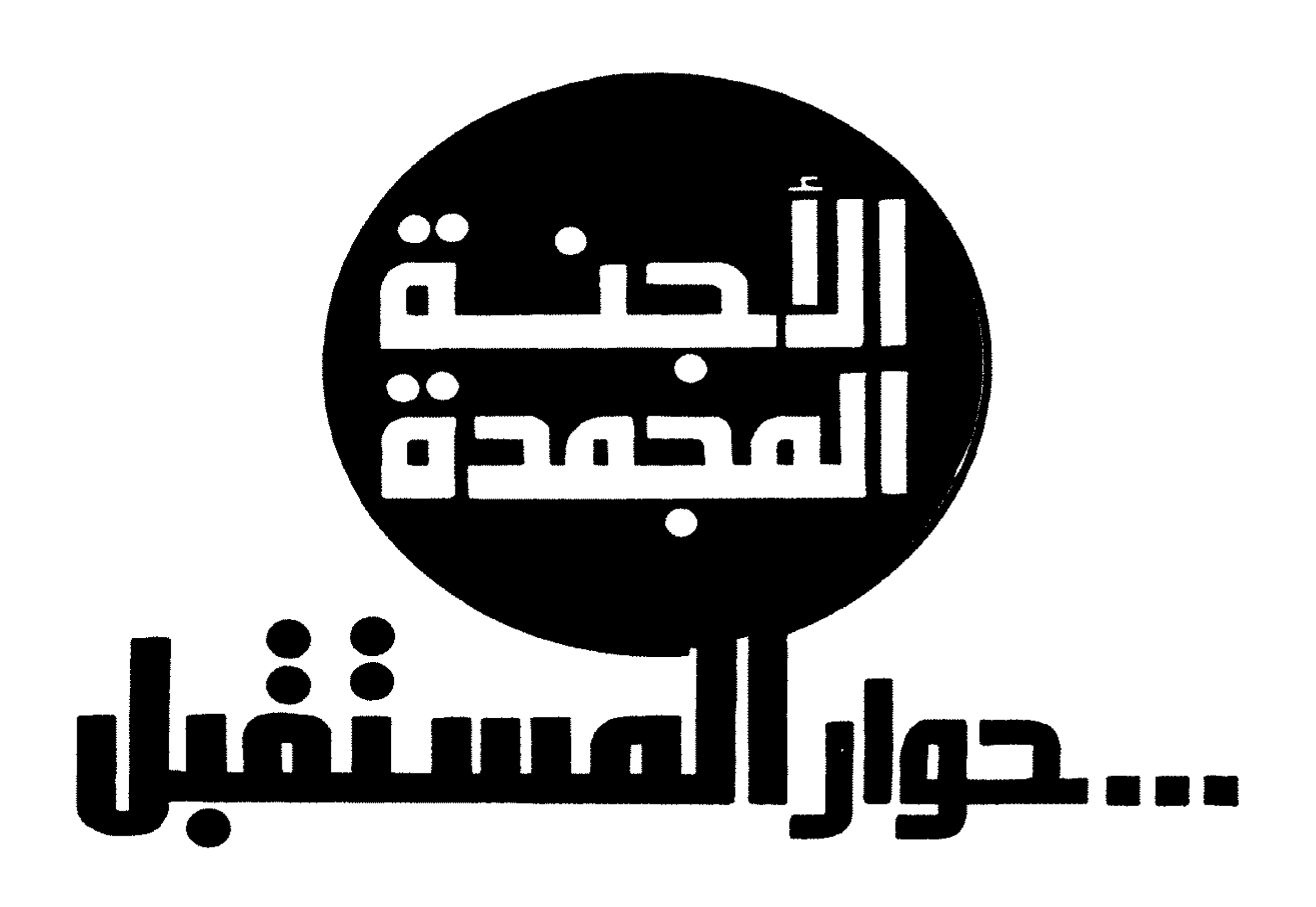
اتسخ قميص الشاب وبنطلونه من زحفه وراء الكتب التي لم يرها في حياته ، هو يشتري مجلة السينما ومجلة الشبكة ، وبنات عمه وبنات خالته وبنات العمارة ، كلهن يعولن عليه في شراء أشرطة أفلام الفيديو ، لكن ولع ما أصابه هذه اللحظة من هول الكتب. جعله ينهض على مهل، وقال مشيرا لحجرة مغلقة :

ـ وهذه الحجرة !

قالت بلا اكتراث وهي تدعك جبهتها بإصبعين مرتعشتين :

ـ افتحها . . لن تجد فيها شيئا . . كانت حجرة جدك وأصحابه . .

فتحها بشغف فوجدها مفروشة بالحصر ، وفي الركن مكتب صغير بثلاثة أدراج ، وفوق المكتب ما جعله يفزع حقا ، اذ رأى (عودا) اقترب منه . . حمله . . أزاح عنه التراب بمنديله ، مسحه جيدا . . داخله احساس غريب بالمكان والجد والعود ، فتح النافذة الصغيرة فأطلت شمس باهتة صفراء ، جلس على الحصيرة ، واحتضن العود لمست أصابعه الأوتار فاهتزت ، وحاول . . حاول عبثا أن يخرج نغمة صحيحة . □



بقلم : الدكتور عامر هشام جعفر

منذ ولدت طفلة الأنابيب الأولى قبل أكثر من ست سنوات تفتحت آفاق جديدة أمام علوم الطب والوراثة والأجنة .
عن امكانية الاخصاب خارج الجسم ، وعن الأجنة المجمدة ، وعن آفاق المستقبل . . اقرأ هذا المقال .

مما لاشك فيه ، أن تطورات عظيمة قد حصلت في مجالات الطب المختلفة في سنواتنا هذه (بدايات العقد الثامن من القرن العشرين) ، وخاصة علوم التشخيص والعلاج لأمراض الانسان . ويظل التطور سنة الحياة . . وسنة الطب في حاضر الانسان .

وضمن التطور ماهو متميز ، ونقصد بذلك تطورات الطب في علوم الولادة والتوليد ، وقبل ذلك في علم اخصاب البويضة ومعالجات العقم عند أي من الزوجين .

وإذا كان القارىء الكريم قد سمع عن أطفال الانابيب (الأنابيب : تعبير يقصد به أنبوب الاختبار ، وهو أداة يكثر استعمالها في المختبرات العلمية) ، ويعرف أن الطفلة البريطانية لويز براون هي أول طفلة أنبوب ، ولدت في يوم ٢٥ تموز ١٩٧٨ حيث احتفلت بعيد ميلادها السادس في تموز من العام الماضي ، فإنه دون شك يعرف أن هناك اليوم مئات من الأطفال الذين ولدوا بعد تخصيب بويضات أمهاتهم في الأنابيب ، حيث كان هناك ١٣٨ طفلا من هؤلاء الأطفال في بريطانيا وحدها حتى بداية عام ١٩٨٤ .

إخصاب البويضة

وللطب تفسير لتخصيب بويضة الأنثى في أنبوب الاختبار . فكما هو معروف ، هناك حالات مرضية عديدة تمنع اخصاب الانثى داخليا ، فقد تكون أنابيب مبيض الأنثى مسدودة ، مثلا نتيجة الاصابة بحالة مرضية معينة أدت الى حدوث ضيق في قطر قناة المبيض ، مما يمنع مسار (حيامن) الذكر خلال هذه القناة فيستحيل الاخصاب ، ويستحيل بالتالي تكون جنين .

وإذا كانت الانثى تحمل في تجويف جهازها التناسلي أجساما مضادة (لحيامن) الذكر ، استحال الاخصاب كذلك . وهو يصعب إذا كانت نسبة معينة من (حيامن) الذكر غير فعالة أو خاملة .

وقد تغلب الطب على كل هذه الحالات بواسطة اخصاب البويضة خارج الجسم (أي في أنبوبة الاختبار) ، وفي ذلك معنى . . وفي ذلك فائدة .

لقد استطاع اطباء التوليد في العديد من المراكز العلمية العالمية استعمال المنظار الداخلي الخاص ، وهو عبارة عن ألياف ضوئية مزودة بعدسات للرؤية ، لغرض إدخاله عبر التجويف السطحي للانثى ، وفحص مبيضها ، واستخلاص بويضة واحدة أو أكثر من المبيض ، وفي وقت محدد ، لغرض اخصاب هذه البويضة بعد وضعها في أنبوبة اختبار وفي وسط حياتي متوازن ، يحافظ على حيوية البويضة الأنثوية ، حتى إذا خصبت البويضة في الأنبوب ، أرجعت بجهد الاطباء مرة أخرى الى تجويف رحم الأنثى التي تستلقي براحة لعدة أيام حتى تساعد على ثبات البويضة المخصبة في تجويف الرحم لتبدأ عملية الانقسام الخلوي فيتكون الجنين . . وتستمر الحياة .

وقد وصل الى الاسماع في نهاية عام ١٩٨٣ أن أول طفلين من أطفال الانابيب قد ولدا في الصين ، وذلك في مقاطعة هونان الوسطى ، حيث كان أول الطفلين بنتا تزن ٣٫١ كغم في حين كان الطفل الثاني يزن ٣٫٤ كغم . وفي الصين وفرة بشر لاتعدلها وفرة في أي بلد آخر ، ولكنه تقدم العلم ، أراد أن يستدل عليه الصينيون ففعلوا . !



في البداية لاتزيد نطفة الانسان عن ١٣ مليمترا ويبدو الحوض حيث ستخرج منه القدمان .

التجميد

ومادام التطور سنة ، فان أمر الاخصاب خارج الجسم لم يتوقف عند هذا الحد ، فقد رأى خبراء الطب أن القليل ممن خصبت بويضاتهن في الأنبوبة قد ثبت عندهن الجنين بعد ارجاعه الى ارحامهن . فكان ذلك مبرراً لأن تنطلق فكرة تجميد الجنين بعد اخصاب البويضة في أنبوبة الاختبار .

إذن ، فهي عملية حفظ وخزن للاجنة تحت درجة حرارة تقرب من ٢٠٠ درجة مئوية تحت الصفر ، وفي غاز نيتروجين مسيّل يضمن هذه الدرجة الباردة جداً ، فيحفظ الحياة لبويضة مخصبة لأشهر ، بل لسنوات ، تكون خلالها محفوظة بأمان لتزرع في زمن يعينه الطب في رحم الوالدة،فينمو طفلا بعد أن كان خلية مجمدة . .

وهكذا سمعنا في العام الماضي ، ١٩٨٤ ، ومن ملبورن في استراليا عن مولد أول طفل أنابيب في العالم بعد أن كان جنينا مجمدا لمدة شهرين . حيث ولدت

● حيامن اختصار لكلمتي الحيوان المنوي .



هنا تم تكوين الجنين وأصبح
مخلوقا او انسانا متكاملا في الشهر
السادس وهو داخل المحيط،
يتنفس ويبتلع سائل الامينيوتك
الذى يسبح فيه !

الطفلة (زوني) في المركز الطبي في ملبورن بعملية قيصرية ، وبوزن ٥ر٢ كغم ، وبحالة صحية جيدة ، بعد أن ظل والدا الطفلة يحاولان دون جدوى ولعدة أعوام انجاب طفل ، حتى لقيا العون في احد مستشفيات استراليا ، فخصبت بويضة من الأم ، بحيامن الأب ، في أنبوبة اختبار ليحفظ الجنين بعد ذلك ، ولمدة شهرين ، في النيتروجين السائل وتحت درجة حرارة ١٩٦م تحت الصفر قبل أن يررع في رحم الأم . .

وفي آب الماضي وضعت امرأة استرالية أيضا ثاني طفل أنابيب في العالم من جنين مجمد ، وعرف حينها ، أن هذا المركز قد قام حتى ذلك التاريخ بتجميد ٢٣٠ جنينا في برنامج خاص بموضوع الاخصاب الخارجي للبويضات ، وضعت في جدوله قرابة ٢٠٠٠ امرأة استرالية لايستطعن الحمل بصورة طبيعية ، أو أن أزواجهن مصابون بالعقم .

وقد حاول الطب الحصول على أكثر من بويضة أنثوية واحدة من مبيض المرأة من خلال استخدام عقاقير تحتوي على هرمونات معينة ، تزيد من انتاج البويضات مما يتيح خزن بويضات مخصبة أكثر ، عن طريق التجميد ، اضافة الى ان تجميد الأجنة أتاح الفرصة الكبرى لدراسة أمراض الأجنة ، وهي خلايا في طور الحياة الأول لدرء المرض قبل حصوله واستفحاله . .

ومن متابعة مجريات هذا الموضوع علم أن هناك خمس سيدات أخريات يحملن حاليا أجنة مجمدة وينتظرن الوضع بعد عدة أشهر . .

إلا أن مشاكل برزت من جراء الزراعة والتجميد . . فقد يتوفى والدا الجنين المحفوظ بالتجميد ، وقد ينفصلان ، فمن سيكون المسئول عن الأطفال في هذه الحالة ؟

وإن كان الطب قد حفظ بالتجميد حياة جنين فهو لايمكن أن يحفظ الحياة بتجميد ولا بغيره . .

ومن هنا كان لابد لرجال القانون والطب والفكر من إعمال الذهن وإيجاد الطرق الأصولية لحل ما قد يترتب على ذلك من مشكلات ، فيحافظ العلم على ماحققه من تطور لخدمة البشرية ، كما يكون ذلك طريقا لتجاوز مشكلات وتعقيدات يظل الانسان في غنى عنها .

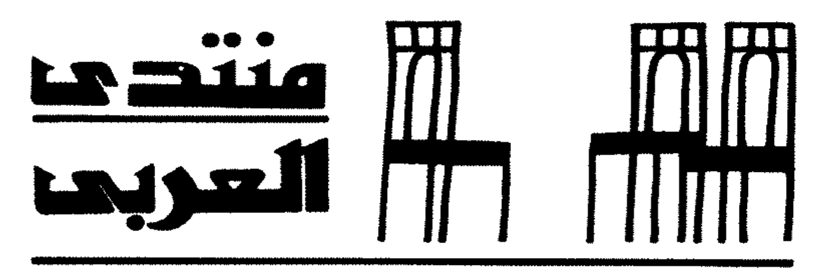
ومنذ بدايات العام الماضي بدأ فكر الغرب بالإستعداد لمشاكل الأجنة المجمدة . ومازال الحوار محتدما في المراكز الطبية العالمية . وهم على حق . . فهل يكون لنا نصيب في حوار الحاضر ؟ وهل يكون لنا نصيب في حوار المستقبل ؟

لقد ظهرت بدايات في بعض أقطار العروبة . . ولكل طريق بداية . . □

العودة !

كلنا يحمل في عروقه نسبة معينة من الملح في الدم . . في دموعنا عندما نبكي ، وفي عرقنا عندما نبذل جهدا . . اننا جميعا مرتبطون بالبحر . . وعندما نذهب الى مياهه لنسبح فيها أو نبحر فوق صفحتها أو حتى نقترب منها لنتأمل الأمواج الصاخبة ، ينتابنا هذا الشعور الغريب بأننا قد عدنا الى نفس المكان الذي جئنا منه !

(جون كنيدي)



قد يستغرب البعض كيف أن متخصصا في ميدان التاريخ يكتب عن المستقبل ، بينما المعروف أن التاريخ يتعامل مع الماضي ، وقد يغالي بعض المهتمين بالتاريخ في نقد كاتب هذا المقال ، من منطلق فهم التاريخ على أنه يتعامل مع الزمن الماضي وأحداثه وفكره ، ومن ثم تكون دراسته عن طريق مصادره ووثائقه بينما المستقبل ليس له وقائع أو وثائق . .

قضيّة

تاريخ المستقبل

بقلم : الدكتور عبد المالك خلف التميمي

الاهتمام بالمستقبل اهتمام حديث ، وهو لا يعني المتخصصين أو العاملين في حقل التاريخ فحسب ، ولكنه يعني كل من لديه حس وطني ويؤمن بتطور المجتمع وتنميته ، وضمان استقراره وأمنه وبنائه في الحاضر والمستقبل ، أي يعني المختصين والمثقفين ، وكذلك الانسان العادي صانع التاريخ الحقيقي . ونعود الى سؤالنا : هل يمكن للمؤرخ أن ينظر الى المستقبل ؟ واذا لم يكن من حقه ذلك فلماذا تخصص في التاريخ ؟ هل ليعمل حفارا للقبور ويقدم لنا قصصا ومواعظ ، أم ليحلل التجارب التاريخية ويستنتج منها ما يفيد المجتمع في الحاضر والمستقبل ؟

هذه الاسئلة وغيرها نحاول في هذه المقالة الاجابة عنها كمدخل لحوار في هذا الموضوع ، خدمة لوطننا ومجتمعنا العربي الذي يتلمس طريقه نحو المستقبل ، وسط ركام هائل من التخلف والارث التاريخي المجيد والمريض معا .

التفكير الجاد بالمستقبل

لقد بدأت الدول المتقدمة الاهتمام بالمستقبل والتفكير الجدي به بعد الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن تتفاوت نظرة المفكرين والمجتمعات والحكومات الى المستقبل حسب طبيعة النظام الاجتماعي السائد ، أو الفكر الايديولوجي . وبدون شك فان المجتمعات ـ أيا كان النظام السائد فيها رأسماليا أو اشتراكيا أو ناميا ـ لديها تطلعات مستقبلية وتساؤلات منهجية ومشروعة عن مصيرها ، ومحاولات التفكير والاعداد للغد تتراوح ما بين جادة وواضحة للبعض ، وقلقة وغامضة للبعض الآخر ، وربما معدومة أو شبه معدومة لطرف ثالث ، لكنها في مجملها تحمل دلالة على أن الاهتمام بالمستقبل أخذ يحتل مكانه في نفوس وفكر الافراد والجماعات البشرية المعاصرة . ولربما يعود ذلك الى ضغط ظروف

الـواقـع الاجتمـاعي والاقتصـادي والسيـاسي والعلمي . وهذا الاهتمام لا يمكن أن يحدث بدون تطور في الوعي لدى عامة الناس ، سواء كان ذلك بسبب انتشار التعليم أو ضغط ظروف الـواقع عـلى الانسـان المعاصـر أو نتيجة لـدراسة عميقـة لبعض تجارب الماضي أو لأي سبب آخر .

قد يرى البعض ونحن بصدد الحديث عن تاريخ المستقبل أن هذا التفكير يتناقض مع فهمنا للتـاريخ على أنه علم المتغيرات التي حدثت في الماضي ، وهذا يتطلب منا أن نوضح بأن أي تصور أو كتابة للمستقبل لا يمكن أن تكون كاملة ودقيقة بكل معالمها ودقائقها ، ولكنها تضع ملامح صورة المستقبل وتحـدد أبعادهـا واطـارهـا التقـريبي ، وتتـرك مجـالا للمستجـدات والمتغيرات التي هي حتمية في المستقبل . كما أن تصور المستقبـل والأعداد لـه لا يتناقض مـع التعامـل مع المـاضي لأن أصـول المستقبـل تكمن في المـاضي والحاضر ، وأن المستقبل في يوم من الايـام سيصبح حاضرا وماضيا .

ان تاريخ المستقبل يعبر عنـه اليوم بـالتخطيط . فنحن عندما نخطط لمستقبلنا نـرسم خطوط تـاريخنا المقبل ونكتبه مقدما . فعندما نضع خطة خمسيـة أو عشرية مثلا في مجال من المجالات فنحن بذلك نكتب تاريخ المستقبل في هذا المجال أو ذاك ، أو بمعنى آخر نرسم المسار الذي ينبغي لنا أن نتبعـه . وعلى هـذا يمكن أن يقال ان الصحافة بجهودهـا اليوم تسجـل تاريخنا . وان دراسات مراكز التخطيط وجهود الافراد في هـذا المجال انمـا هي سجلات تـاريخ المستقبـل ووثـائقـه ، بغض النـظر عن الأخـذ بهـا أو عـدم تطبيقها .

ان أحـداث الماضي والحـاضر وتجـاربـه تضـطر الانسـان وتدفعه للتفكير بالمستقبل . فالثورة الصناعية في أوروبـا أدت مع غيـرهـا من أسبـاب الى نشـوء الاستعمـار الـذي بـادر الى نهب المـواد الخـام في مستعمـراتـه وجعلهـا سـوقـا لتصـريف المنتجـات المصنعـة ، وأخـذ في استغـلال الأيـدي العـاملة واحتكارها ، كما أن تقلص نفوذ الاستعمار التقليدي أدى الى التفكير في المستقبل ، فقاد الى نشوء ظاهرة الاستعمار الجديـد بجوانبـه الاقتصاديـة والسياسيـة والثقـافية . وإن أهـوال الحربـين العـالميتـين الاولى والثـانية جعلت الشعـوب تفكـر بقلق في مستقبلهـا وكيفية تأمين الـسلام لها ولاجيالها القادمة ، وان تطور الاسلحة النووية جعل أطرافا أخرى تتسابق في هذا المجال لتحدي التـوازن في صناعـة هذا النـوع من الاسلحة في المستقبل . وهـو توازن خـطر ، كما أن للنفط دورا هاما في حياة الشعوب المنتجة والمستهلكة في وقتنا الحاضر ، ولكن مهما طال عمره فان الدول المتقدمة تفكر جديا في توفير بدائل عنه في المستقبل .

ان هذا التفكير جاء نتيجة تجارب الماضي وظـروف الحاضر ، ولم يعد مجرد تفكير بما هو آت ولكنه أيضا تخطيط وبرمجة وإعداد .

الضريبة المكلفة

ان المجتمعات المتقدمة اليوم سعيـدة بتقدمهـا ، ولكنها مع غيرها من المجتمعات الاخرى تدفع ضريبة هامة ومكلفة نتيجة هذا التقدم العلمي ، تتمثل في البطالة بسبب تطور الآلة ، واهدار الموارد الطبيعية ، وغـلاء المعيشة وفي تلويث البيئـة ، وتضخم المـدن وتقلص الريف ، وزيادة هـائلة في عدد السكـان ، ونقص خطير في المياه العذبة ، وظهور أمراض تسمى أمـراض المدنيـة المعاصـرة ، اضافـة الى خطر قيـام الحروب الاقليمية والعالمية المـدمرة ، التي أصبحت تهدد الانسان أكثر من أي وقت مضى .

ان المعرفة المتدفقة والسريعة تزداد وتتطور ، وتكاد تكون ثورة علمية في حاضرنا ، وسنشهد المزيد منها في المستقبل ، فهل تفكيرنا بالمستقبل هو في اتجاه اللحاق بذلك التقدم والاستفادة منه أم بالمشـاركة في هـذا التقدم ؟ و بمعنى آخر هل سنتحرر من التبعية للدول المتقدمة بتقدمـا الحضـاري على كل المستويات أم أن الفجوة بيننا وبينهم كبيرة وشاسعة لا يمكن ردمها أو القفـز عليها ، ولـذلـك كتب علينـا أن نلهث وراء الآخرين ، وقد نلحق بهم ، وقد لا يتسنى لنا ذلك ؟ ان هناك فجوة تفصل بين شعـوبنا النـامية والـدول المتقـدمـة ، وان عمليـة اللحـاق بتلك الـدول مـع الاحتفاظ بشخصيتنا الحضارية واستقلالنا الحقيقي لا يمكن أن تتم بـدون تطور شـامل أسـاسـه الحـريـة والديمقراطية ، والتفكير العلمي على هذا النهـج لن يتحقق بـدون الاستقـلال الحقيقي لشعـوبنـا ، لأن

التبعية للدول المتقدمة لا تسمح بتطور نوعي حقيقي للبلدان النامية ، ولأن جزءا هاما من تطور البلدان المتقدمة يقوم على تخلف وتبعية أقطارنا النامية .

ان القلق والاغتراب الذي نعيشه اليوم يمكن أن يكون بداية الوعي بالواقع والتفكير العلمي به وبالمستقبل ، ويبدو لنا أن نقطة البداية هي في التوجه الصحيح لاصلاح التربية والتعليم اذا أردنا أن نبني مستقبلا حضاريا متقدما لهذه الامة ، وعملية الاصلاح هذه يجب أن تنطلق من نظرة جديدة للتربية والتعليم تقوم على التحرر من عملية حشر المعلومات في عقول الناشئة وحفظها ، فهذه المهمة أصبحت تقوم بها الآلة والكمبيوتر ، بل يجب أن يتجه التعليم الى التحليل والاستنتاج ، الى الخلق والابداع . ان وقف تدهور التربية والتعليم في أقطارنا من أولويات التفكير بالمستقبل ، ولا يقتصر دورنا عند هذا الحد بل يتعداه الى عملية الاصلاح الحقيقي لهذا المجال الحيوي في حياة شعوبنا .

بناء الانسان

ان بناء المستقبل يتوقف على بناء الانسان اليوم ، وهذه مهمة التربية والتعليم في الدرجة الاولى ، وان اصلاح هذا المجال في الحاضر هو اصلاح لهذه الامة في المستقبل ، وهي صناعة حقيقية لتاريخ أمتنا في المستقبل . ان التعليم في أقطارنا لا يتجه الى بناء الانسان ، بل الى توظيف الانسان كي تتوفر له مستلزمات المعيشة فقط ، وليس هذا هو الدور الحقيقي والاساسي للتعليم والتعلم .

كما أنه لا يمكن اقامة المؤسسات ولا بناء مستقبل أمة بدون اقامة مجتمع المؤسسات الديمقراطية .

كما أن آفة الفردية هي احدى آفات المجتمع العربي وأن تطور المجتمعات وضغط تحديات العصر أثبتا ضرورة قيام مجتمع المؤسسات الديمقراطية لأن تلك المؤسسات ضمانة لقوة وتماسك وتطور المجتمع ، وهي أقدر من الافراد على التفكير والابداع والانتاج ، وخلق التطور . ويتساءل البعض لماذا لا يستطيع العرب التغلب على اسرائيل على الرغم من أن عدد العرب يبلغ مائة وستين مليونا في الوقت الذي يبلغ فيه عدد سكان فلسطين المحتلة ثلاثة ملايين فقط ؟ ! ان المشكلة تكمن في أسباب عديدة منها التبعية للغرب ، والتخلف الذي تعيشه أمتنا الى جانب سبب هام هو أننا مجتمع أو مجتمعات تقوم على الفردية . ولا يمكن أن نتقدم ونتخلص من التخلف والتبعية والتجزئة الا باقامة المؤسسات الديمقراطية على كل المستويات ، وهذا لا يتأتى الا بخلق رأي عام مستنير وضاغط .

تبقى قضية لا بد من الاشارة اليها ، وهي أن هناك خطرا يواجه التفكير المستقبلي ، يتمثل في ضغط الظروف والاحداث القائمة بحيث يتجه تفكيرنا أساسا لمواجهة هذه الظروف والاحداث المتسارعة والمتلاحقة مما يستنزف طاقتنا ، ويصدنا عن التفكير الاستراتيجي المستقبلي ، ونورد هنا مثلا قضية فلسطين . . . وبمواجهة هذه القضية علينا أن نقرر بوضوح ، هل يجب أن تعود فلسطين عربية كاملة الى الوطن العربي ، ويعود أهلها لها ؟ اذا أصبح هذا قرارنا فان علينا أن نضع استراتيجية عربية ثابتة لا تؤثر فيها الظروف الآنية القائمة مهما كانت وأيا كانت ، هكذا فكرت الحركة الصهيونية بالمستقبل وهكذا فهمته في نهاية القرن التاسع عشر عندما وضعت استراتيجيتها باقامة الوطن القومي في مؤتمرها الاول ، وهي اليوم تفكر بالمستقبل وللمستقبل بنفس العقلية .

ان اهتمامنا بالماضي يجب ألا يغرقنا في تفاصيله الى درجة الادمان والابتعاد عن الحاضر والمستقبل . يجب أن نختار من الماضي ما يفيد الحاضر والمستقبل ، ونؤمن بعدم تجزئة التاريخ ، ونؤكد التواصل الزمني بين الماضي والحاضر والمستقبل ، فاذا كنا نحلم بنهضة حقيقية في الوطن العربي في بداية القرن الواحد والعشرين ، فان من متطلبات تحقيقها ونجاحها التفكير بها الآن ، بل كان يجب التفكير بها قبل الآن والاعداد لها ، وذلك بتركز الاهتمام على الانسان وبنائه باعتباره وسيلة وغاية للنهضة والتطور الحقيقي لمستقبل هذه الامة ، وليس من سبيل للحكم على المستقبل الا في ضوء الماضي والحاضر . □

معسكر السلام في الكيان الصهيوني

بقلم : توفيق أبو بكر

كلما ازداد سقوط الضحايا فى صفوف الاسرائيليين ، فان معسكر السلام يكبر ويتوسع في الكيان الصهيوني .
فأي حجم يحتله الان هذا المعسكر ؟ وما هى القوى التى وراءه ، وماهي احتمالات المستقبل ؟؟

يكثر الجدل عادة فى الأوساط السياسية : العربية والفلسطينية والدولية ، حول حجم معسكر السلام فى اسرائيل ، ومدى فاعليته : فى اللحظة الراهنة والأمد المنظور ، ومدى استجابته للحد الأدنى من الحقوق الوطنية الفلسطينية . وهذا الجدل ليس ترفا نظريا ، بل هو جدل هام ، لأن نتائجه تدخل فى حساب التكتيكات الكفاحية الوطنية للفلسطينيين والعرب ، وتدخل فى حساب الاستراتيجية المرحلية لهذا الكفاح على الصعيدين الوطنى والقومى . لذلك فان الخطأ فى قراءة تضاريس خارطة ما يعرف بمعسكر السلام فى اسرائيل ، سواء باتجاه الاغراق فى التفاؤل ، أو الانسياق وراء التشاؤم ، يؤدى بالقطع الى خلل فى الحسابات .

أحزاب وقوى عديدة

يضم معسكر السلام فى اسرائيل العديد من القوى والاحزاب واللجان المتناثرة ، التى تتفق على خط عام عنوانه ضرورة التوصل لسلام مع العرب والفلسطينيين ، وعبث الاستمرار فى استخدام السلاح والعنف ، لحل هذا الصراع . وفيما عدا هذا العنوان العام ، فان غالبية هذه القوى والاحزاب واللجان تختلف كثيرا فى برامجها تجاه هذا السلام بخطوطه العامة ، وتختلف في مدى استجابتها للحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى ، كما تتفاوت فى مدى اعتناقها للصهيونية كايديولوجية وحركة تحرر وطنى ، كما يزعمون . فبعض هذه القوى معادية للصهيونية فكرا وممارسة ، مثل حزب (راكاح) ، وبعضها قوى صهيونية مثل حركة السلام الآن ومجلس السلام الاسرائيلى الفلسطينى ، الذى يتزعمه يورى أفنيرى ، والجنرال المتقاعد متياهو بيليد وغيرهم والذى لم يعد له وجود فى انتخابات الكنيست الأخيرة فى صيف ١٩٨٤ .

ان حجم تأثير هذا المعسكر السلامى ، مازال محدودا فى المجتمع الصهيونى ، فالقوة الاولى فى هذا المعسكر ، والتى تتبنى برنامجا يدعو للاعتراف بمنظمة التحرير ، ولاقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، لها أربعة نواب فى الكنيست من أصل مائة وعشرين عضوا يتكون منهم البرلمان الصهيونى ، أقصد الجبهة الديمقراطية للسلام

والمساواة .. وقد راوحت في عشر دورات برلمانية منذ انشاء الكيان الصهيوني بين ٤ ـ ٦ نواب فقط .

والنقطة الثانية المهمة أن غالبية أعضاء وأنصار هذه الجبهة هم من العرب ، مما يعطي مؤشرا على ضعف تأثير هذه الجبهة على الجماهير اليهودية . والقوتان الثانية والثالثة في هذا المعسكر ، لم يكن لهما أي عضو في الكنيست (العاشر) وحركة « شلي » المعروفة باسم المجلس الاسرائيلي الفلسطيني للسلام ، كانت القوة المتماسكة رقم ٢ في هذا المعسكر وكل أعضائها من اليهود ، لكنها تضم الشريحة العليا من بعض أبناء الطبقة الوسطى والانتلجنسيا اليهودية . هذه الحركة ترفع شعار : شعبان ودولتان أي : دولتان في فلسطين للشعبين : الفلسطيني والاسرائيلي ، ولذلك يرتسم العلمان : الفلسطيني والاسرائيلي على شعارها . وهذه الحركة صهيونية على رؤوس الاشهاد ، وتقول في النقطة الاولى من برنامجها أن الصهيونية هي حركة التحرر الوطني للشعب اليهودي .

كانت هذه الحركة قد فازت بعضو أو اثنين في دورات الكنيست السابقة ، لكنها في الكنيست العاشر فشلت في الفوز بأي عضو . وهي تتعرض الآن لانقسامات عديدة . وقد ظهرت في ثوب جديد في انتخابات الكنيست الحادي عشر (٢٣ يوليو ١٩٨٤م) ، متحالفة مع بعض الشخصيات العربية من داخل الكيان الصهيوني ، في اطار الحركة التقدمية للسلام التي فازت بمقعدين في الانتخابات .

السلام الآن

أما القوة الثالثة فهي حركة السلام الآن . وهي حركة ذات طابع جماهيري عام ، تستطيع تحريك المظاهرات كما فعلت اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان ، حيث شاركت بفعالية في مظاهرة المائة ألف احتجاجا على الغزو ، وفي مظاهرة الاربعمائة ألف احتجاجا على مذابح صبرا وشاتيلا . لكنها حركة غير متماسكة ، ولا تملك برنامجا واضحا للسلام ، وليس لها موقف واضح من حقوق الفلسطينيين ، سوى بعض الاشارات العامة ، حديثا ، حول حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني .

ثمة ملاحظة جوهرية ومحورية تتعلق بمسار تطور معسكر السلام في اسرائيل . هذه الملاحظة الهامة تقول إن حجم هذا المعسكر يتناسب طرديا مع سقوط الخسائر في صفوف الاسرائيليين . فكلما تعرض هذا المجتمع الاستيطاني للضربات ، أفاق ببطء شديد وبالتدريج من أحلامه العدوانية المعاكسة لحركة التاريخ .

الحقائق تقول انه بعد حرب أكتوبر مباشرة ، حيث سقط آلاف الاسرائيليين قتلى وجرحى ، نمت بعض لجان البحث عن السلام في اسرائيل ، وبعد غزو لبنان ، حيث تكبد الكيان الصهيوني خسائر فادحة . ولايزال العديد من اللجان التي تبحث عن السلام مثل « لجان الاهل ضد الصمت والجنود ضد الصمت ، والأمهات ضد الصمت ، ولجان الشجاعة من أجل السلام ، وحركة « ياش غفول » أي الحد الاقصى لحدود اسرئيل تعارض الغزو وتدين البحث عن السلام من فوهات البنادق .

حتى غلاة الصهاينة والمتطرفين من حركة « غوش ايمونيم » الذين يدعون صراحة لطرد الفلسطينيين من أرض اسرائيل التاريخية والكاملة ، حسب زعمهم ، هؤلاء المتطرفون غيّر بعضهم رأيه في الحل العسكري ، فقط حين دخل الدبابة واكتوى بنيران الصواريخ الفدائية أثناء غزو لبنان .

قال جنود من غوش ايمونيم لصحيفة معاريف (١٩٨٣/٨/٢٧) :

« ان الآراء لدينا تغيرت حين رأينا الدماء والالام والاهوال ، وأصبحنا أكثر اعتدالا ، فالاحاديث حول الاحتفاظ بالمناطق بأي ثمن (وهو موقف الحركة) لم نتذكرها ولم نذكرها أثناء القتال ، فمن خلال الدبابة أنت ترى الامور بمنظار يختلف عن منظار البيت » .

وبالمقابل ، فقد نمت وترعرعت وازدهرت كل الحركات الارهابية اليهودية الرافضة للسلام ، والعاملة بالفعل على ارهاب العرب الفلسطينيين وانتزاعهم من وطنهم ، في فترة اللاحرب واللاسلم ، وقد عكست نتائج انتخابات الكنيست الأخيرة ، درجة نمو وازدهار هذه الحركات ، حيث نجح الارهابي ماثير كاهانا ، ونال ١,١٪ من اصوات اليهود ، وتتوقع له استطلاعات الرأي أن يفوز في



السلاح والسلام هل يتفقان ؟ !

الانتخابات القادمة بنسبة ٢,٢٪ من الاصوات ، وحصلت حركة هاتحيا - النهضة - اليمينية المتطرفة التى انضم اليها الجنرال روفائيل ايتان على خمسة مقاعد فى الكنيست ، وهو حجم كبير لم تحصل عليه قوائم راسخة تخوض الانتخابات منذ عقود من الزمن ، وتقدمت الحركات الدينية اليهودية ، والحركات العرقية المقاومة لاماني الفلسطينيين فى تلك الانتخابات ، بينما فشل زعيم معتدل هو أرييه الياف ، فى دخول الكنيست رغم أنه سكرتير عام سابق لحزب العمل ، وله حضور سياسى قوى .

مرحلتان من اللاحرب واللاسلم

وفترة اللاحرب واللاسلم تنقسم الى مرحلتين ! المرحلة الاولى مابين حرب حزيران ١٩٦٧ وحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، والمرحلة الثانية تمتد من زيارة الرئيس السادات للقدس المحتلة فى نوفمبر ١٩٧٧م ، حتى الغزو الصهيونى للبنان فى حزيران ، يونيو ١٩٨٢م . وهى ، بشكل ما ، مرحلة مستمرة حتى الآن اذا استثنينا القتال الفدائى فى الجنوب اللبنانى .

علام يدل ذلك ؟ وما الدرس السياسى الهام الذى نستنتجه منه ؟

انه يدل على ان المجتمعات الفاشية ، المشبعة بالافكار الرجعية والعدوانية ، لا يمكن لها ان تراجع أطروحاتها ، فقط بالحوار المجرد وبالحجة المقنعة ، وباظهار الاعتدال والحمائمية من الطرف الآخر .

بل يحدث هذا التراجع حين يتوافق ويتزايد طرح أفكار السلام العادل مع حوار الرصاص والضربات الصبورة المتتالية . هكذا تقول التجربة الملموسة المباشرة ، وليس التحليل النظرى المجرد . وهكذا تقول التجارب التاريخية المعاصرة فى دحر الفاشية والنازية . فقد حاول الاوروبيون فى المراحل الاولى لتوسع النازية العدوانية ، حوارها بالعقل والمنطق ، ولكن ذلك أدى الى تسعير نار عدوانيتها أكثر ، وفتح من شهيتها التوسعية . بعد أن أخطأ الاوروبيون وقدموا تشيكوسلوفاكيا قربانا للطوفان النازى لعلهم يوقفونه ، فاندفع كالسيل العارم يجتاح كل بلدان اوروبا .

ان الصراع مع العدو - أى عدو - يستهدف فى النهاية دفعه للتخلى عن أفكاره وخططه العدوانية ، ويستهدف دفعه للعقلانية والاعتدال ، وتغذية روح السلام فى صفوف قواعده ، التي تضللها قياداتها لتحقيق أهداف معينة . ولذلك ، لاغبار اطلاقا على محاولات تعزيز وتنمية معسكر السلام فى اسرائيل ، شريطة ان يتم ذلك بأساليب تؤدى لتعزيزه فعلا ، ضمن السياق الذى طرحناه ، والا كانت النتيجة معاكسة للرغبات تماما .

وعلينا أن نعترف بأن حجم معسكر الفاشية والعدوان فى المجتمع الصهيونى ، مازال قويا الى درجة كاسحة ، معسكر السلام ينمو فى الجهة المقابلة ببطء شديد ، ويتعرض للتقدم والتراجع والانتكاسات المتعددة ، ويتعرض للتنكيل من القوى الفاشية الصهيونية ، كما حدث عند القاء القنابل من المتطرفين الصهاينة على مظاهرة « حركة السلام الآن » مطالبة باستقالة شارون فى القدس المحتلة ، والذى سقط فيها عضو الحركة أميل حرس فابع . ويبقى الحاسم فى النهاية : الفعل العربى والفلسطينى قبل أى شىء وبعده ، فهو الذى يدفع بهذا المعسكر نحو التقدم للأمام ، بمقدار ما يستطيع أن يثبت للاسرائيليين استحالة الاعتماد على السيف الى أمد غير منظور . □

منتدى العربي

تعقيبات

الحوار الحر . . وطرح مختلف وجهات النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . . وعندما تلتقى الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية . . وحول الجامعة العالمية الاسلامية نعرض هذا الرأى . .

الجامعة الإسلامية فى ماليزيا

لا أغالى اذا قلت أننى قرأت مقال (كوالالمبور نقطة اللقاء بين المتناقضات) فى عدد العربى ٣١٣ (ديسمبر ١٩٨٤) بغاية الاستمتاع خاصة وانى قمت بزيارة خاصة للجامعة الاسلامية العالمية فى ماليزيا لأسباب عديدة ، منها أننى كنت ولا أزال أدعو لاقامة جامعة إسلامية عالمية فى بريطانيا منذ أوائل السبعينيات ، ولكننا لم نستطع حتى الآن ـ لأسباب مادية بحتة ـ إلا اقامة دورات للدبلوما فى الدراسات الاسلامية ، ومع ذلك لانزال دائبين جاهدين لتحقيق حلمنا الأسمى وهو إنشاء جامعة عالمية فى بريطانيا .

ان أنظمة التربية والتعليم السائدة فى بعض الأقطار الاسلامية اليوم مستقاة من الأنظمة الغربية . وهى أنظمة علمانية تضع حدا فاصلا بين مظاهر الروحانية والمادية ، ، جاعلة موضوعات العلوم والانسانيات خالية من قيمها الأخلاقية المتصلة بالدين ، وقد يدرس موضوع الدين مستقلا عن الموضوعات الأخرى من دون إقامة وشائج بينه وبين الموضوعات العلمانية ، وحيثما يدرس علم الأخلاق يهمل فيه ذكر البارى عز وجل . وهذا سر الصراع القائم بين المجلس الاسلامى الأعلى للتربية والتعليم والثقافة فى المملكة المتحدة وايرلندا ، وبين مختلف الجامعات والمؤسسات التعليمية فى بريطانيا ، فالبحوث تدرس بمعزل عن بعضها البعض خلافا لما كانت عليه فى الجامعات الاسلامية كبيت الحكمة (فى القرن التاسع) والنظامية (فى القرن الحادى عشر) والمستنصرية (فى القرن الثالث عشر) بل ذهب الأمر فى تدريس موضوع الدين فى المدارس البريطانية اليوم الى أنه أصبح موضوعا عاما فى تدريس علم الأخلاق ، مشوبا بعلم الأديان المقارن مع حشر مذاهب سياسية وفلسفية لاتعترف بالله ضمن موضوع الأديان .

ومن مساوىء النظام العلمانى الجامعى المخالف للنظام الجامعى الاسلامى فى القرون الوسيطة أنه يرمي الى تجزئة العلم الذى يجب أن يكون وحدة كاملة موسوعية متصلة بالحقيقة الكونية العظمى التى تشير الى أن المظاهر العلمانية مترابطة تحت تأثير قوة هائلة خلاقة ، لذلك فقد أساءت التجزئة الاكاديمية الى وحدة تفكيرنا الأسلامى ، بحيث غدت بعض قضايانا مشوهة فى موضعها بالنسبة الى قضايانا الأخرى ، وهى خلاف التفكير الاسلامى الذى يعتمد النسبة والتناسب والانسجام والتوافق موازين عادلة فى التفكير ، وقد جاءت الطريقة العلمانية

نتيجة لتضخم (الأنا) وانعكاسها الجنون فى الكون ، مما جعل الكثيرين يعتقدون أن كل مانراه هو نتاج ظواهر طبيعية ليس غير ، وعندما ينتقل مثل هذا التفكير من العلوم الطبيعية الى الاجتماعية تحل المشاكل بدعوى الحرية الفردية التى لاتحدها سلطة كونية عليا ، اذ يصبح الانسان سيد مصيره لايعبأ الابالقيم المادية المتمركزة حول متطلباته الفردية ومكاسبه الشخصية ، وازاء هذه المخاطر لابد من العودة الى الفلسفة الاسلامية فى التربية القائمة على التوحيد فى كل شىء ، والتخلي عن الثنائية فى التفكير والقيم ، وجعل العلم والتقنية الحديثة اللذين يسيطران على الحضارة المعاصرة أداتين محكومتين لاحاكمتين فى تطوير الحضارة الاسلامية .

لذلك ينبغى لنا فى هذه الصحوة الاسلامية الأخيرة أن نغير فلسفتنا الجامعية الاكاديمية بتأثير من فكرة التوحيد وسلطانها المبدع ، فالعلم هبة آلهية وأمانة يجب ألا يساء التصرف فيها ، بل يعد ضربا من العبادة ، والجامعة الاسلامية العالمية التى أقيمت بماليزيا ، تعد محاولة رائعة فى هذا الاتجاه التربوى المتطور ، وقد قامت فلسفة هذه الجامعة على أسس من توصيات المؤتمر الاسلامى التربوى الأول الذى عقد فى مكة المكرمة سنة ١٩٧٦ .

ولقد كان الخوف عند بعضهم أن مثل هذه الجامعة قد تعانى تصادما بين ماهو طبيعى وبين ماهو روحانى ، والواقع خلاف ذلك ، لأن الاسلام دين طبيعى يجمع بين الماديات والمعنويات ، وكذلك بين الماديات والروحانيات ، فبوسع الجامعة الاسلامية العالمية اذن أن تقدم لطلابها جميع صنوف المعرفة من علوم وانسانيات وتقنيات ، غير أن الأسلوب سيكون اسلاميا ، ليس معنى ذلك مسخ مفاهيم الذرة والالكترون والحجيرات والكروموسومات لخلق رأى اسلامى جديد فكل هذه قد أشير اليها بشكل ظاهر أو ضمنت فى القرآن الكريم .

الدكتور صفاء خلوصى

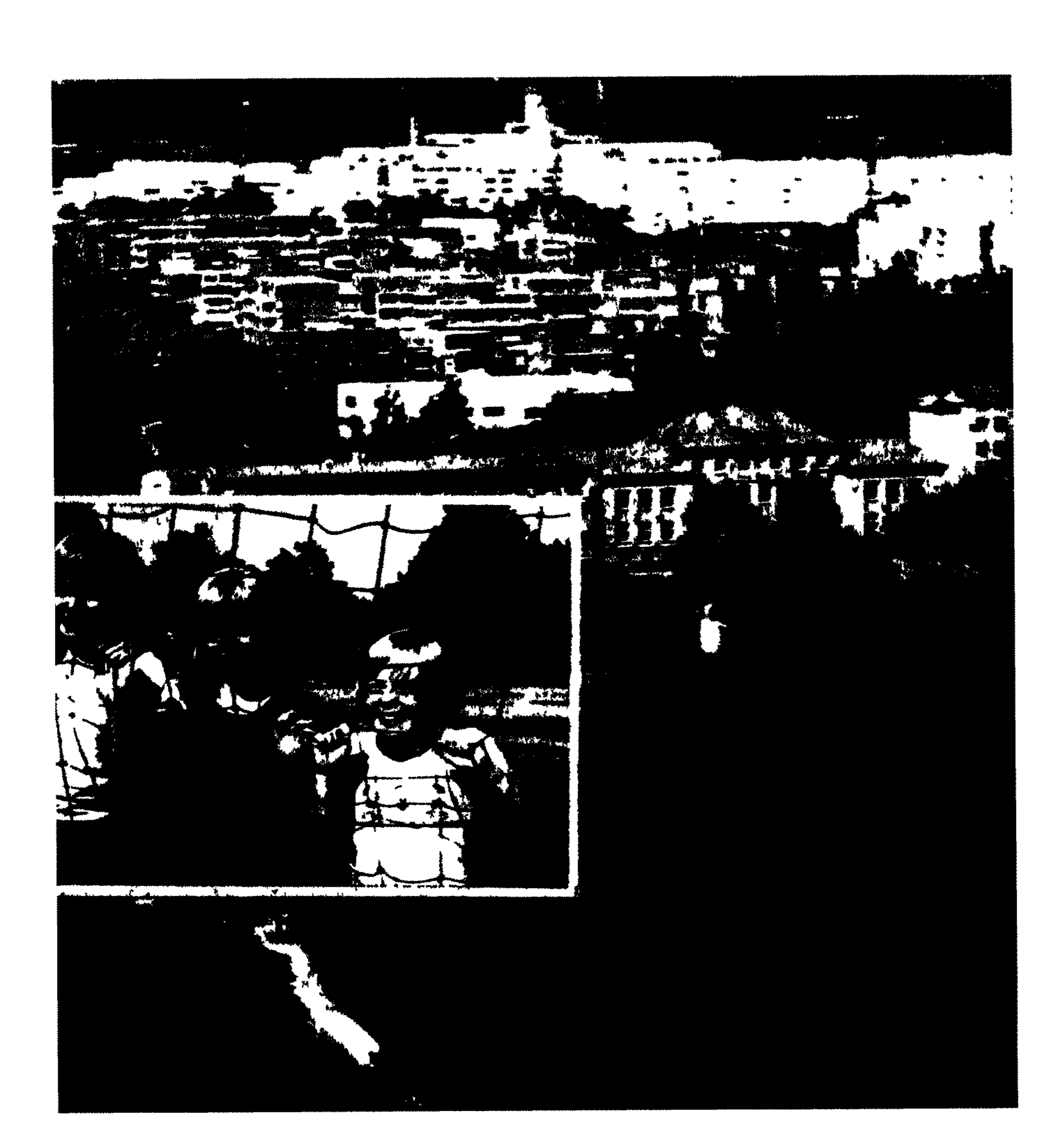
أعظم مخترع فى العالم

كان توماس اديسون المخترع الأمريكى يجلس فى احدى حدائق فينا ، عندما رآه صحفى شاب واقترب منه محاولا أن يحصل على حديث صحفى من الرجل الذى قدم للبشرية أكثر من ألف اختراع !

ولكن أديسون رفض أن يتكلم ، وقام من جلسته ليكمل رحلته فى الحديقة ويعود الى بيته . وعاد الصحفى الشاب بدوره الى مكتبه ، وجلس يكتب حديثا طويلا زعم أنه قام باجرائه مع المخترع الكبير ! ونشرت الصحيفة الحديث تحت عنوان « أعظم مخترع فى العالم ! »

وعندما قرأ اديسون الحديث سارع بارسال برقية الى الصحفى قال فيها : « لقد أصبح واضحا الآن أن أعظم مخترع فى العالم ليس أنا ، وانما أنت ! » .


الألـوان والأنغام



عائد من اخر ركن في العالم ..

قادم من ارض البحيرات والغابات . بلاد الضياء والجليد . من فنلندا بلد الذهب الاخضر وملكات الجمال . التي تمد اغلب الصحف بالورق ..

والتي تردد اسمها عندما ساهمت في قوات حفظ السلام . وقدمت الجنرال سيلاسفو قائدا لهذه القوات ..

ماهي حكايتها ؟ وكيف قدمت الكاميرا صمت الطبيعة وجمالها ؟ ..

هلسنكي عاصمة فنلندا ، مدينة صغيرة ولكنها جميلة ، برزت بين أشجار الغابة العذراء مثل مدينة الاحلام ، كل مساكنها اقيمت بعيدا عن الطرق العامة ..

في شوارع هلسنكي تلاحظ انها تشبه احدى عواصم اوروبا الشرقية ، المباني القديمة ، والشوارع والميادين الواسعة ، الغنى يغلب الضخامة ، والمباني جزء من البيئة الحية المحيطة بها ، وتلمس حرصا واضحا على اقتراب الشعب الفنلندي من الطبيعة ، عندما تتداخل الغابة مع الكثير من انحاء العاصمة ، وترى لمسات الفن في كل مكان ، في العمارة وواجهات المحال ، حتى في الاثاث وآنية الطعام .

وتوقفت طويلا عند الكاتدرائية القديمة ، وفي المزج بين القديم والحديث الذي يظهر واضحا في كنيسة تايفا لاهتى المنحوتة وسط الصخر ،

ورغم علامات القدم التي تظهر في المباني الرئيسية مثل جامعة هلسنكي ، وفي مبنى البرلمان ، الا انه لم يمض سوى أربعة قرون على انشاء هلسنكي ..

تنتشر التماثيل في ميادين ، وفي قلب المدينة نصب تذكاري ضخم تخليدا لمن لحن مقطوعة فنلندا ، الملحن سيباليوس ، والتمثال يمثل صورة انابيب من الفولاذ صهرت ثم لحمت ، وعلى جانب منها وجه الموسيقي الكبير ..

ومازالت بعض احياء العاصمة تعود بيوتها الى القرن التاسع عشر ، عندما لم يكن يستخدم في بنائها سوى الخشب ، والذي عدل عنه نتيجة الحرائق .

وتقع هلسنكي على بحر البلطيق ، وبجوار قلعة سيومي التي كانت خط دفاع قوى عن العاصمة ، كما ان مياه بحر البلطيق لاتتجمد ولاتشل الحياة ، وميناء هلسنكي آخر ميناء يصل اليه تيار المكسيك الدافىء ، والذي يبقي الملاحة قائمة على مدار العام ..

وأمسيات هلسنكى تمتلىء بلمسات الفن والجمال ، فالفن مقدس في حياة شعبها ، والرحلة الى فنلندا رحلة الى عالم جميل ومثير ، يطلق عليها بلاد الف لون ولون ، وعرفت فنلندا بملكات الجمال التي قدمتهن للعالم ، وهي ارض بكر مازالت فيها الطبيعة كما هي ، والهواء نقياً والماء لم يتلوث ..

والفنلندي طيب ، رغم الجهامة التي تظهر على وجهه نتيجة قتامة المناخ ، وان كنا محظوظين عندما زرناها في أفضل ايام العام ، والفنلندي ينكفىء على داخله ، ويميل الى الانطواء ولايفتح قلبه بسهولة للغرباء ، ولكن اذا نشأت صداقة بينه وبين احد ، فهي تتسم بالصدق والعطاء ، وهو منضبط كأنه ترس في آلة ، ولعل هذه الصفات هي نتاج العزلة الطويلة الناتجة عن المناخ ، ففنلندا لم تكن يوما منطقة عبور وتقع في آخر ركن في العالم .. وشعبها شعب يتسم بالخجل ، ويصدق على الفور كل ما يقال له ..

دعوة على العشاء

وتلقينا في اليوم الاول لوصولنا دعوة على العشاء في قلعة سيومي ، وجه الدعوة جمعية الصداقة

الفلسطينية الفنلندية . ووصلنا الى القلعة عن طريق زورق بحرى لنصل الى جزيرة تقوم فوقها القلعة ، ورأينا القلعة التي كانت تغلق خليج فنلندا وتحول دون اقتحامها من الأعداء ، أما اليوم فقد تحولت الى قلعة يقصدها السياح ، تضم قاعة للطعام ، الذي يقدم على ضوء الشموع ، بعد أن تحول كل ركن منها الى عمل فني راق ، وأدهشني الاهتمام الواضح بالقضايا العربية ، والمعرفة الدقيقة بالسياسات القائمة في المنطقة العربية .

وفي اليوم التالي ، قال مرافقي : اكرام الضيف عندنا . . حمام ساخن جدا . .

ولم افهم ، ثم تبينت أنه يعني حمام السونا ، تلك العادة الفنلندية التي انتشرت من فنلندا الى جميع أنحاء العالم فلايوجد بيت في فنلندا ليس به حمام الساونا الشهير ، وأضاف مرافقي : للساونا تقاليد وطقوس ومواصفات خاصة ، ويتكون الساونا من الصخر الفنلندي وليس الفحم ، فجمرات الصخر الفنلندي تمتص الرطوبة ، وتعكس الحرارة ، وقد بدأت هذه العادة على حواف البحيرات ، ويخرج الفنلندي من غرفة الساونا الساخنة ، ليلقي بنفسه في البحيرة الباردة ، وبذلك يتجنبون الانفلونزا

وعاد مرافقي يقول : لابد أن تجرب الساونا ولو مرة واحدة . ودخلت في حجرة خشبية درجة حرارتها تصل الى ٩٠ مئوية . وبدأ العرق يتصبب من كل مسام جسمي واستمر الأمر بين خمس وعشر دقائق . . أما الخروج بعد ذلك فليس الى البحيرة كما كان في الماضي ولكن الى حمام السباحة البارد في الفندق . .

وبعد الانتهاء من حمام السونا شعرت بحالة من النعاس والخمول سرعان ماتحولت الى شعور قوي بالنشاط والحيوية . ويرددون هنا مئات المزايا لحمام الساونا أقلها أنه ينشط الدورة الدموية ، لذلك يقيم الفنلنديون حمام السونا قبل اقامة البيت . ولحمام الساونا تقاليد ، فلا يجوز ان يتبادل افراد الاسرة الحديث خلال الاستحمام فهي فترة خصصت للتأمل واعادة الحسابات .

ويضيف مرافقي بأسى : لقد تحول حمام الساونا في الكثير من الفنادق الى فرصة لعقد الصفقات . واصبح حمام الساونا جهازا يعمل بالكهرباء وليس من صخر فنلندا المشهور .

مؤتمر الغجر

وحول البيوت الخشبية القديمة ، وفي الاسواق ، وفي المهرجانات ، شاهدنا الغجر بلباسهم المميز وروحهم العالية ، ترتدي النساء ملابس تشبه الملابس العربية ، وأحجامهن تميل الى البدانة وترتدي الفستان الطويل الغني بالدانتيلا ، والحلق الواسع في الاذنين ، والحلي ذات الطابع الشرقي ، والعيون السود والشعر الاسود . . انهم ينتشرون في كل مكان ، لايعرف أحد عددهم ، لاحظت انهم لايقبلون التصوير بسهولة ، ولقد رأيتهم في المجر وفي بلغاريا وفي العديد من الدول الاوروبية ويطلقون عليهم في الهند (البنجارا) ، ولهم اسلوب حياتهم المميز والغني بالفلكلور ، يحترفون مهنا خاصة تجدهم في الموالد في الشرق وفي المهرجانات والاسواق في الغرب .

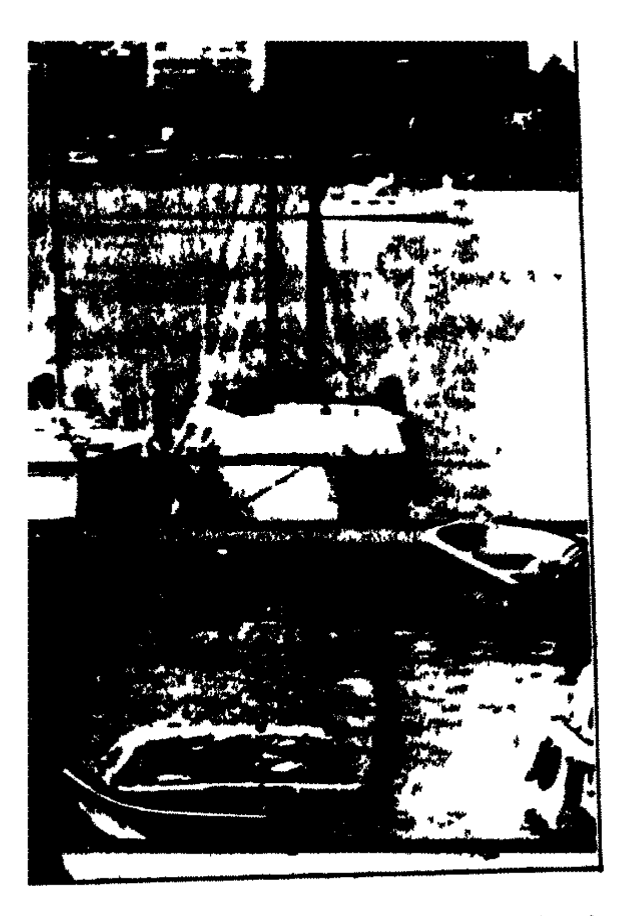
وعلمت انهم عقدوا مؤخرا مؤتمرا في فرانكفورت للبحث حول أصلهم وحكايتهم ولماذا يتوزعون على العديد من بلدان العالم ، وأعلنوا أن الدراسات قد بينت أنهم يعودون الى بلاد الرافدين مسقط رأسهم . . !

الصراط المستقيم

وحان وقت التأمل . . وتلاحقت اللقاءات مع اساتذة جامعيين وصحفيين ورجال اعمال ، كما التقينا وزير خارجية فنلندا .

وكان موضوع هذه اللقاءات سؤالا يلح عليّ ، وهو كيف استطاعت فنلندا البلد الصغير والتي تجاور الاتحاد السوفيتي أن تحافظ على توازنها ؟ ثم . . كيف استطاعت أن تحقق علاقات وطيدة وفي نفس الوقت تحافظ على نظامها الديمقراطي واقتصادها الحر . . ؟ حتى أصبح في علم السياسة مايمكن أن يطلق عليه (الفنلدة) اي النمط الفنلندي . . ؟

تقع فنلندا في الركن الشمالي الغربي للاتحاد السوفيتي ، ولايتجاوز عدد سكانها خمسة ملايين مما كان له اكبر الاثر على اختيارات فنلندا السياسية ، فهي مع الاتحاد السوفيتي في الارض والبحر ، وتطل على لينينجراد التي لاتفصلها عنها سوى بضعة اميال ،



- غجرية تدفع عربة حفيدها في أحد شوارع مدينة كوبيو هربت من العدسة عدة مرات ولكن مصور العربي استطاع أن يختلس هذه الصورة للجدة والحفيد علابسهما الفولكلورية !





- بائعة الزهور في كوبيو . . كم هو مفيد عمرها . عمر الزهور طبعا ! انها هناك مع ساعات الفجر الاولى كل صباح تبيع زهورها قبل أن يقتلها الصقيع !

ـ بحر البلطيق الذي تشرف عليه هلسنكي   القوارب تسبح بأصحابها مع أشهر الدفء



ـ تشتهر فنلندا بقلاعها القديمة ، ويرجع تاريخ هذه القلعة وتسمى « فيابوري » ، الى القرن الثامن عشر

والى الغرب تلتحم مع ارض السويد ، ثم النرويج ، وتقوم عند الممر العريض عند القطب الشمالي ، وهي اقصى دولة في الشمال بعد ايسلندا ، وجنوبها مباشرة مركز حلف وارسو ، وفوق رأسها واحدة من دول الناتو هي النرويج . . فكيف اختارت طريقها ؟

استطاعت فنلندا ان تخرج من هذا المأزق الجغرافي ، وقدمت درسا مفيدا لكل الدول الصغيرة التي تجدف في بحر السياسة الدولية الهائج . .

وتمكنت من الحفاظ على نظام اقتصادي حر كجزء من العالم الغربي ـ يقوم اقتصادها على المشروعات الخاصة ، حتى أن ثماني عائلات يملكون اهم المنشآت الاقتصادية،وفي نفس الوقت للدولة نصيب كبير في بعض فروع الصناعة ، واصبح لذلك ترجمته السياسية المتمثلة في تعدد الاحزاب والحياة الديمقراطية على الطريقة الغربية ، ومن جانب آخر لاتتجاوز فنلندا في سياستها الخارجية والأمنية الموقف السوفيتي .

وقد وصلت الى هذه الصيغة بعد معاناة طويلة . .

فعقب ثورة ١٩١٧ في روسيا ، عندما كانت فنلندا جزءاً من الامبراطورية القيصرية شهدت هلسنكي معارك بين الحمر الذين يؤيدون الثورة وبين البيض الذين يعارضونها،وانتهت العلاقات مع روسيا الى حرب قصيرة سميت حرب الشتاء ، دامت ثلاثة أشهر ونصف تمكن الاتحاد السوفيتي من الاستيلاء على جزء من آراضي فنلندا ، وعندما جاءت الحرب العالمية الثانية لم تتمكن فنلندا من تجنبها . .

وعلى ضوء التجارب القاسية التي عاشتها ، وصلت الى صيغة للعلاقات مع الجار القوى ، ولم تتوقف عند المشاكل القديمة ، ولا عند الاراضي التي استولى عليها السوفييت ووقعت معاهدة مع الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٨ ، مقابل ضمان حياد فنلندا والتزامها بمنع استخدام أراضيها في العدوان على الاتحاد السوفيتي من أطراف ثالثة . .

وتبنى هذه السياسة وقدم لها الدعم الرئيس السابق كيكنين ، والذي بقي في منصب الرئاسة خمسة وعشرين عاما ، والذي مازال يحظي بمكانة كبيرة بعد أن اصبح كهلا وبعد أن نجح في السير على الصراط المستقيم بين الشرق والغرب . . وتقدم فنلندا درسا آخر في علاقاتها بالدول الاسكندنافية ، فرغم تباين المواقف السياسية فهي جزء من هذه الدول ، وهي احدى دول (النورديك) أي اتحاد دول الشمال ، والذي يضم فنلندا والسويد والدنمرك والنرويج ، وهو اتحاد يتعاون اعضاؤه في المصالح المشتركة ، ورغم ارتباط كل دولة على حدة ، فنجد بينها من اختار الحياد ومن اختار الانضمام الى الحلف الاطلنطي ، الا أن التعاون مستمر في المجالات الاقتصادية والثقافية والفنية،وهو درس على الدول العربية أن تستوعبه فرغم أن اللغة في فنلندا أحد العوامل التي تفرقها عن جيرانها ـ بعكس الدول العربية فاللغة الفنلندية تكون مع بعض لغات شمال الاتحاد السوفيتي فرعا للغات قائمة بذاتها بما فيها اللغة المجرية . .

ولفنلندا علاقات خاصة بالسويد . فحوالي ٦٪ من تعدادها سويديو الأصل واللغة،وجانب من الشعب الفنلندي مازال يتكلم اللغة السويدية ، وهي تعتبر لغة رسمية ثانية ، ولاينسون أنهم كانوا جزءا لايتجزأ من مملكة السويد ، حتى وقعت الحرب بين السويد وروسيا عام ١٨٠٩ ، وكانت فنلندا من بين الغنائم التي كسبتها روسيا فأصبحت تابعة للقيصر حتى قيام الثورة الروسية .

وأدي هذا الوضع السياسي الى زيادة التعاون الاقتصادي مع دول الشمال ومع الاتحاد السوفيتي ، وأصبحت فنلندا بالنسبة للاتحاد السوفيتي تشبه ماكانت عليه هونج كونج بالنسبة للصين ، فكما أن هونج كونج كانت احد مصادر الصين في القطع النادر ، اصبحت فنلندا مصدرا للتقنية الحديثة بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، وأصبح الاتحاد السوفيتي اكبر شريك تجاري لفنلندا ، وتستورد فنلندا من السوفييت الغاز الطبيعي عبر الانابيب التي أقيمت في بداية السبعينيات ، كما تستورد من السوفييت ثلثي احتياجاتها من النفط الخام .

كانت فنلندا تعاني من الهجرة الى الخارج ، فمستوى الاجور في السويد كان إعلى من فنلندا ، وفي الماضي حدثت هجرة فنلندية الى امريكا في مطلع هذا القرن ، وهاجر حوالي ٦٠ ألف نسمة سكنوا الشمال الامريكي في مينسوتا وميتشجان التي تتمتع بظروف مناخية مشابهة لفنلندا . .

الصقيع والظلام

وخرجنا من هلسنكي الى اراضي فنلندا الواسعة ، فزرنا اهم مدينة في الشمال هي كوبيو ، وزرنا ضيعة وعددا من المصانع،فمن رأى ليس كمن سمع ، وأبحرنا في عالم الغابة والبحيرات والجزر ، وتتميز فنلندا بقلة مدنها والتي لاتتجاوز ٤٧ مدينة يقع نصفها على الساحل . .

ان الجغرافيا هي الحقيقة الاولى التي تهيمن على حياة أهالي فنلندا ، وهي التي تلقي بظلها على النشاطات الاقتصادية وتؤثر على العادات والتقاليد؛ فهي أرض الصقيع والظلام،فتقضي أجزاء كبيرة من البلاد حوالي ستة اشهر في ظلام دامس ولاترى الضياء ، ينامون ويستيقظون في الظلام ، ويذهب العاملون الى اعمالهم في الظلام،ويستمر الليل مدة تصل الى ٧٠ يوما في بعض المناطق .

وتعيش اجزاء اخرى ستة أشهر في نهار ساطع ، وفي أقصى الشمال لايوجدظلام في الليل على الاطلاق لهذا أطلق على الشمال أرض الحقائق الساطعة ، عندما يكون لحفيف الشجر مغزى خاص . . انه فعل الأيام الطويلة الدافئة التي تتنوع فيها الالوان والضياء . .

وفي بلاد اللاب (اللابلاند) لايذوب الجليد على مدار العام ، وتغطي الثلوج هذه المنطقة سبعة أشهر في العام ، وعندما يأتي الصيف ويذوب الجليد في الجنوب تكون صحوة الحياة .

ورغم تلك الظروف القاسية ، ترى في فنلندا اجمل الغابات ، فأكثر من ٧١٪ من أرضها تغطيها الغابات الجميلة الباسقة ، اشجار الصنوبر والسنديان والبلوط والبتولا التي تمد اخشابها الفلاح بالدفء .

فالغابة هبة الله ورأس مال فنلندا الاساسي ، وهي التي تعوض القتامة التي تسري مع الصقيع والظلام . .

ويعتبر مشهد الجذوع القائمة فوق المياه منظرا مألوفا ، واصبح منظر الانسان الآلي الذي يقوم بدور الحطاب فيقطع الاشجار وينحني لالتقاط جذوعها ويقطعها ويعدها للاسواق منظرا متكررا .

ويأتي بعد الغابة اجمل وأمتع ماتشاهده ، وهو البحيرات التي تحيطك في كل مكان ، والتي من كثرتها ليس لها أسماء ، وليست محددة العدد ، وتكتفي الاطالس بذكر انها الاف البحيرات ، يصل البعض بعددها الى ٦٠ ألف بحيرة ، وهي بحيرات عذبة تستمد مياهها من ذوبان الجليد ، وتغطي المياه مايزيد عن خمس اليابسة في مساحات لامتناهية من البحيرات والانهار التي تصب في البحر ، ولهذه البحيرات ألوان متعددة تختلف مع تغير المكان واختلاف البيئة ، وهي توصف بأنها العيون الزرقاء في البشرة البيضاء . .

وتتولد من البحيرات الجزر التي تصل الى ٣٥٠ ألف جزيرة ، ووسط البحيرات التي تحيطها الغابات ترى جزيرة لاتزيد مساحتها عن كيلومتر واحد ، وفوقها بيت تسكنه الاسرة ، والجزيرة والبيت فوقها هو حلم كل مواطن في فنلندا ، والجزيرة تتمتع بنوع من الاكتفاء الذاتي ، مولد الكهرباء وزورق بحري هو أداة الانتقال وتليفون هو أداة الاتصال وحياة هادئة يحيطها الجمال من كل جانب .

ومع البحيرات والجزر تزدهر رياضة البحر والتزلج والسباحة وسباق اليخوت،وفي الشتاء تبدأ الجزر الواقعة جنوب شرقي هلسنكي في استقبال آلاف الطيور البحرية المهاجرة،وتعيش فيها حتى نهاية شهر مايو ، وتبدأ رحلتها العكسية متجهة نحو أقصى الشمال . .

ومع هذا الجمال وتلك العزلة،ومع الطبيعة القاسية تشكلت رموز هذا المجتمع ومفاهيمه الخاصة،فمثلا اذا شوهدت البومة تبني عشها فمعناه صيف جميل ، واذا امتنعت عن حضانة بيضها فينذر ذلك بموسم قاسي ، واذا تشبث حمام الثلج بجذع شجرة ، فلا بد لمن يسير في الطريق من أن يتقي العاصفة ويبحث عن مخبأ لتفاديها . .

كوبيو

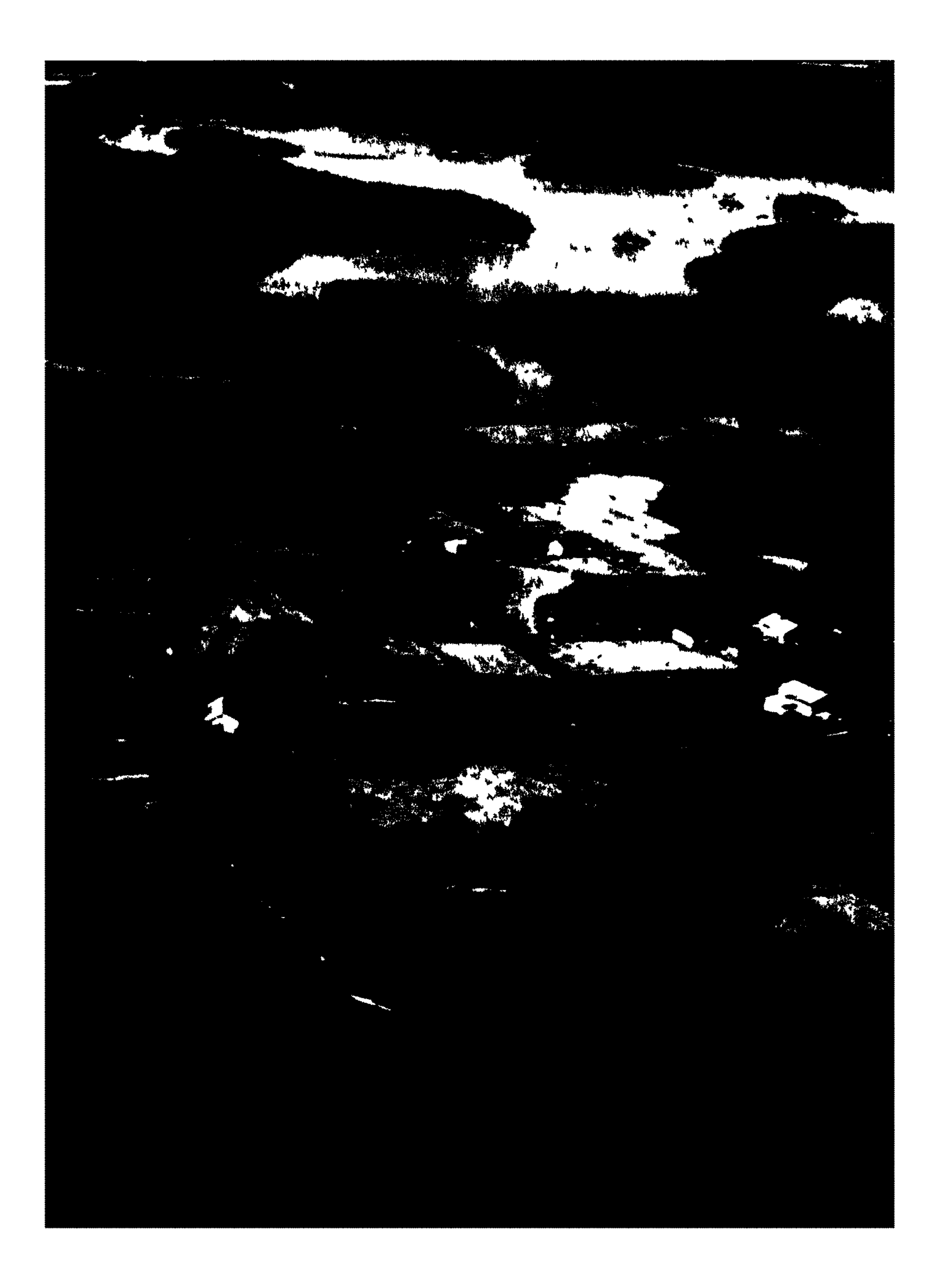
وعندما وصلنا الى كوبيو في الشمال قضينا اجمل الايام ، مدينة هادئة جميلة وسط الغابات والبحيرات ، وهي في حالة مهرجان دائم،مهرجان للزهور وآخر للحصاد وثالث للرقص ، يشربون ويغنون ويرقصون ويعزفون الموسيقا في الميادين العامة ، تظهر على وجوههم النضرة سعادة غامرة

ـ سوق الزهور في احدى أجمل مدن فنلندا   مدينة كوبيو





ـ كاسحات الجليد في بلد تكسوه الثلوج في الشتاء .. وباعة الصحف بملابسهم التقليدية في شوارع هلسنكي .. انها مدينة البحيرات والغابات الكثيفة التي احترقت مرتين وأحرقت معها العاصمة ثم أعيد بناؤها ...



وحب حقيقي للحياة . .

وما أشد غرابة مانسمع ، فأهم وأجمل مكان في كوبيو مصحة للامراض النفسية والتي تنتشر في البلاد ، من القتامة التي تسري من الصقيع والظلام ، او حتى من الضياء المستمر،فاكتشف الاطباء ان النهار بلا ليل والليل بلا نهار ، يؤدي الى الاختلال النفسي وأمراض الاكتئاب وكثيرا مايؤدي الى الانتحار . .

ووصل الاطباء الى ضرورة اضاءة المصانع في الايام المظلمة لتصبح كالنهار ، وتسدل الستائر في أيام النهار المتصل حتى تبدو كالليل ، ومازالت هذه الظاهرة تقلق المجتمع الفنلندي . .

حفارات بحر الشمال

ورغم كل هذه الظروف القاسية استطاعت فنلندا ان تشق طريقها في الصخر ، وأقامت في ظروف مناخية صعبة وفي ارض صخرية ، اقتصاداً قويا واصبحت جمهورية الغابة دولة متقدمة صناعيا ، قادرة على صنع سفن حديثة وكاسحات ثلوج معقدة وآلات صناعية متقدمة ، وسيارات نقل وجرارات ومصاعد ومنازل جاهزة ، علاوة على الورق والاثاث . وخلال عشرين عاما تحول العجز الى فائض وأصبحت اكثر الدول الاسكندنافية انتاجا . .

وفي المصانع التي زرناها ، رأينا كيف قطعت الصناعة خطوات متقدمة،وأصبحت تستخدم الطاقة الرخيصة ، وأدخلت مصانعها التحكم الآلي عن طريق الكمبيوتر مما يسد نقص العمالة . . ويعتز أهالي فنلندا بأنهم تخصصوا في عدد من الصناعات الدقيقة ، وأنهم صنعوا حفارات بحر الشمال لبريطانيا . .

وأثبت هذا الشعب رغم قلة عدده أنه قادر على أن يصل الى مقدمة الشعوب ، بدون قوة عسكرية وبدون العمل في تجارة أسلحة الدماء .

في الضيعة

اليوم موعدنا لزيارة ضيعة فنلندية قريبة من كوبيو ، الطريق الى الضيعة خلاب يمر بين البحيرات والغابات والالوان ، وصلنا الى بيت ريفي يطل على البحيرة ، وتمتد امامه ارض الضيعة ومنشآتها ، البيوت الريفية تتشابه في كل مكان ، وان اختلفت لمسات الذوق والنظافة ، وهو عالم يحن اليه ويحلم به أبناء المدن الصاخبة استقبلنا صاحب الضيعة واسرته على فنجان قهوة في بهو يشبه بهو الكنيسة ، وتعلق على جدرانه صورة السيدة العذراء والسيد المسيح ، التقينا بالجد والاب والابنين والزوجة والام والبنات ، الكل يعمل في الضيعة بعد أن تنازل الجد لابنه عن الضيعة . .

العلاقات العائلية حميمة مثل الريف في كل مكان ، الضيعة وحدة انتاجية متكاملة ولكنها جزء من المجتمع ، اذا قطعت اشجار الغابة فلابد أن تزرع غابة بديلة على ذات المساحة ، الواحد والكل في تناغم ظاهر ، هنا تتنوع المحاصيل وتربى الماشية والطيور ، وتعمل الفتيات على التراكتور في وقت الحصاد ولكل دوره . .

حام الساونا على البحيرة كما كان في الماضي ، فالريف بحق هو مستودع العادات والتقاليد القديمة ، ولكنه أخذ بكل حديث في البذور والتطعيم وتربية العجول وقطع الاشجار ونقلها .

الشرق والغرب

ألحت على ذهني خلال جولتي تلك العلاقة القديمة بين الشرق والغرب ، التي تبرز عند المقارنة بين حالنا وحالهم ، بين أوضاع الشرق وأوضاع الغرب . . فحيثما ذهبت تجد كل شيء منظما وترى وجه الدولة ، ليس في صورة التعليمات بل في العناية التي تقدمها ، وفي القواعد التي تجعل حياة الناس اسهل وأجمل ، ترى الدولة في اقصى الغابة او في جزيرة معزولة في صورة الخدمات التي تقدم للسكان ، وفي تنظيم المباني وفي اعداد مواقف السيارات ، وفي وضع نظام للصيد وفي الحفاظ على الغابة . . وحتى في علامات الطريق .

وتتداعى الافكار وتتلاحق الصور . قديما كان الشرق ينظر إلى الغرب على أنه مصدر الهمجية والمادية ، واليوم يتغير الحال ، وعلى مر الايام تراوحت العلاقات بين الشرق والغرب في صور التعاون احيانا

والمواجهة أحيانا ، وفي كل الاحوال كان الاخذ والعطاء . . . وعلى الرغم من أن فنلندا بلد غربي صغير . . ويقع في آخر ركن في العالم الا أن تدفق تيار المعرفة بينه وبين الشرق العربي متصل وثري ، فالعرب هم أول من كتب عن « الفايكنج » السكان الاصليين الاوائل لأراضي فنلندا،بل هم المصدر التاريخي الموثق الوحيد عن حياة أهل الشمال ، وعلى الجانب الاخر فان تراث وأعمال المستشرقين الفنلنديين تزخر بها جامعة هلسنكي وجمعية المستشرقين . ويحفل هذا التيار من التواصل المعرفي بحقائق واهتمامات تثير الذهن وتنشط الخيال .

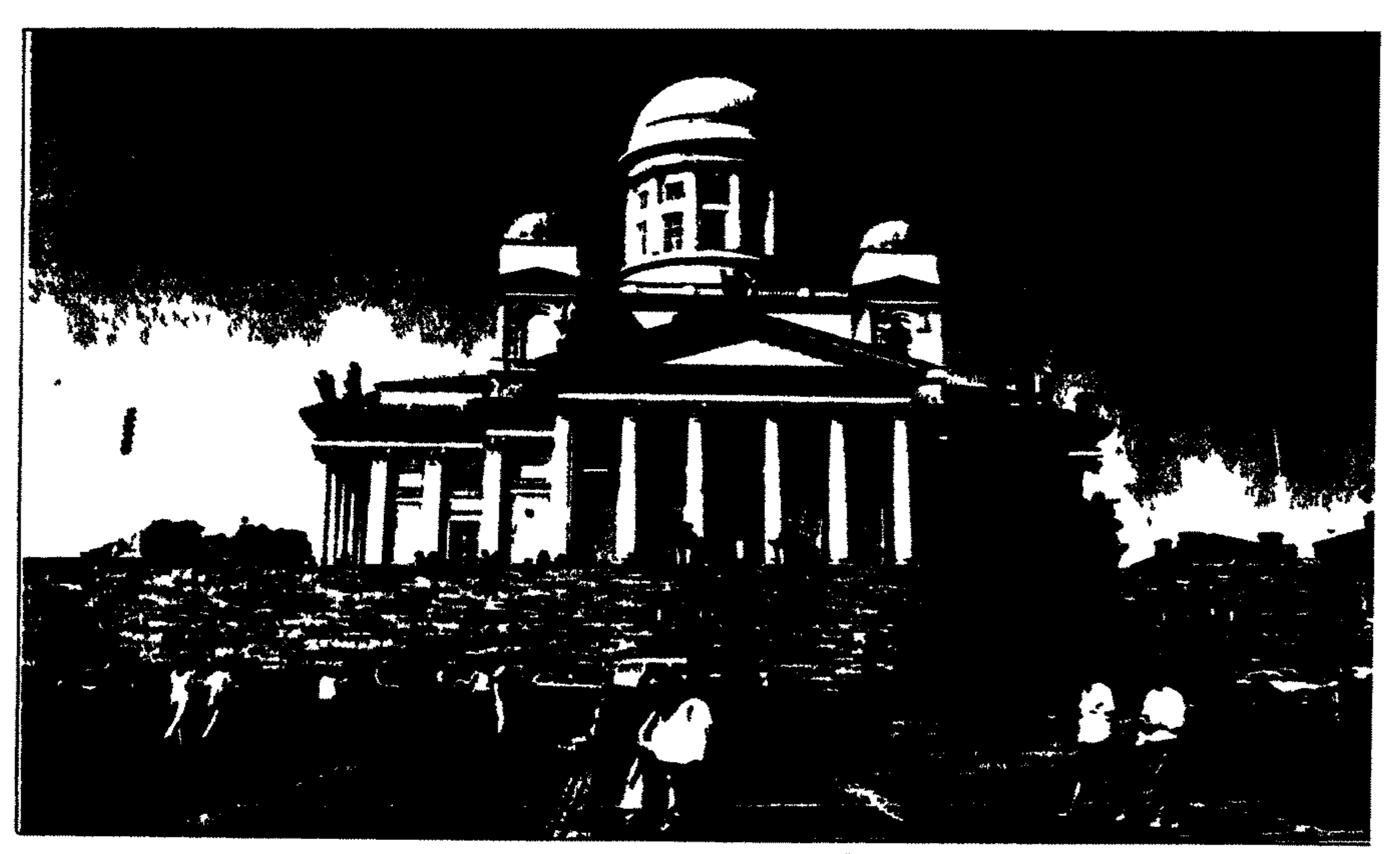
يعود اهتمام فنلندا بالشرق الى بداية القرن التاسع عشر ، عندما قرر المستشرق الفنلندي « جورج أوجست فاين » الرحيل الى الشرق بعد أن درس اللغة العربية في جامعة بطرسبرج على يد الشيخ المصري محمد عياد الطنطاوي . وبالفعل وصل الى مصر عام ١٨٤٤ ، في هذه الفترة كان اهتمام العالم كله بالشرق يتكثف ويزداد ، ويضغط على نخاع أعصاب مصالح العالم ، وبالطبع لم تسلم من هذا الالحاح فنلندا التي كانت ضمن الامبراطورية القيصرية الروسية،ففي هذه الاونة كانت أوروبا وروسيا القيصرية تضع أنظارها على الشرق في انتظار انهيار الامبراطورية العثمانية وتقسيم تركة الرجل المريض ، روسيا بمصالحها في ممرات المياه التركية وتأمين فنائها الخلفي ، وأوروبا بمصالحها في الشرق وثرواته وممالكه ، كان هذا المناخ السياسي كفيلا بأن يسمع العالم بالشرق ويزداد اهتمامه به خاصة عقب أن وصلت جيوش الشرق الى أراضي اليونان وجزر الموره، والحرب التي خاضتها أوروبا ضد محمد علي . في هذه الفترة وصل أول مستشرق فنلندي فمكث في مصر عامين أتقن خلالها اللغة العربية وارتدي الزي العربي وأطلق على نفسه اسم الشيخ عبد المولى . ومن مصر انطلق الى القصيم ثم الجوف ، وكتب عن مدينة حائل في الجزيرة العربية كما زار العراق ، وترك فاين مذكراته الشخصية وانطباعاته العامة ودراساته المتخصصة في مجموعة كتب تحتفظ بها جامعة هلسنكي ، في قسم دراسات اللغة العربية والاسلامية الذي يرأسه البروفسير « هايكي بالنا » الحاصل على درجة الدكتوراة في اللغة العربية وصاحب عدة أبحاث في لغة تراث البدو ويرأس بالاضافة الى ذلك جمعية المستشرقين الفنلندية .

ويقول د . بالفي« كان المستشرق فاين صاحب أول اتصال ثقافي بحضارة الشرق في العصر الحديث» وتعد كتاباته ـ سواء منها الانطباعات أو الدراسات ـ بمثابة رصد حي لحياة المنطقة وسكانها وعاداتهم . فمثلا يقول « فاين » وهو يصف الطريق بين القاهرة والسويس أن « البدو يتخوفون من الافرنج الذين يقومون بمد خطوط السكك الحديدية،ويصفونهم بالبخل والحسد لانهم ـ من وجهة نظر البدو طبعا ـ يحرمونهم من المكسب الزهيد ومصدر دخلهم الذي يعتمد على النقل بالجمال » وعلى غرار هذه الملاحظات والانطباعات التي تتميز بسعة رؤ ية كتب فاين عن البدو والقبائل وتحالفاتها وغير ذلك من موضوعات .

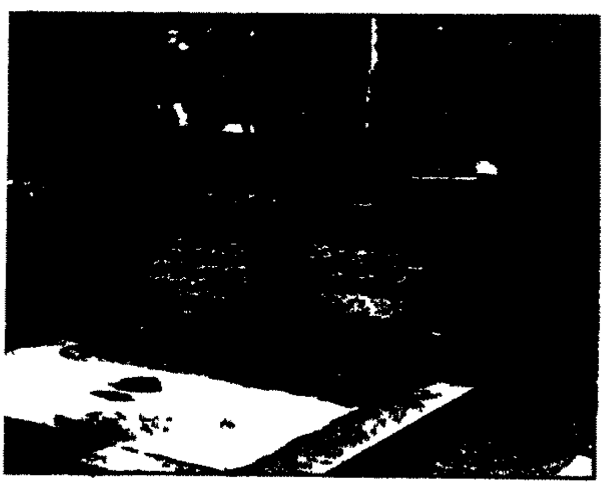
وفي الوقت الحالي فان قسم دراسات اللغة العربية وجمعية المستشرقين ترعي الاهتمام بثقافات الشرق وآدابه ، فتمت ترجمات أدبية كثيرة منها مثلا ما قام به البروفسير « يوسي آرو » أستاذ اللغات الشرقية الذي ترجم كتاب الايام لطه حسين،كما أن هناك ترجمة لكتاب « النبي » لجبران خليل جبران ، ورواية للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني،وترجمة من الفرنسية لرواية للكاتب الجزائري محمد ديب ، كما قدم الاديب الفنلندي « ميكافالتارك » الى الادب العالمي رواية استمد وقائعها وتاريخها من قصة « سنوحي » المصري والتي سجل فيها تاريخ مصر في عهد الفراعنة .

مازال الريف منطقة جذب للشعب الفنلندي ، ومازالت نسبة كبيرة من الفنلنديين تفضل الحياة في الريف»





ـ مبنى الكاتدرائية الكبرى في أكبر ميادين العاصمة   كل شيء في الميدان الذي تشرف عليه الكاتدرائية يحمل ذكرى الاسكندر الثاني قيصر روسيا ، حتى التمثال الذي شيد في قلب الميدان الفسيح !



ـ مسلم يقرأ الفاتحة في مقابر المسلمين التي تتوسط غابة في احدى غابات هلسنكي الجميلة (فوق)



ـ في شقة في الطابق الخامس من هذا المبنى الذي يقع في قلب مدينة هلسنكي ، أقيم المسجد الذي يصلي فيه المسلمون الستيون العرب والفنلنديون

ـ جانب من غابات العاصمة (الى اليسار)



- جانب من ميناء هلسنكي . هنا يجد أهل المدينة فرصة لصيد السمك والقراءة على رصيف الميناء تحت الشمس الدافئة في عطلة نهاية الأسبوع





- في قلب العاصمة هلسنكي ، تخرج ربات البيوت لشراء الخضراوات والفواكه بأنواعها من السوق اللي أقيم فوق عربات وأكشاك صغيرة . .
انها رحلة كل يوم .



فنلندا كلها غابة من الاشجار التي تلف المباني والمدن والحقول ومن لب هذه الاشجار ـ التي تعتبر كلها الثروة القومية الاولى ـ يصنعون الورق ، أما الأشجار نفسها فيستخرجون منها أجود أنواع الأخشاب .

الوثيقة :

قلنا ان تيار المعرفة بين فنلندا والشرق العربي متصل وثري ، وهذه حقيقة فالاصل الوحيد المتاح والتاريخ المكتوب الدقيق لسكان الشمال كتبه الرحالة العربي ابن فضلان منذ مايزيد عن ألف سنة .

ولاتقتصر أهمية رسالة ابن فضلان على أهميتها التاريخية والعلمية كمصدر أول لكل دول الشمال الاوربي في زمن لم تكن تعرف فيه هذه الدول القراءة والكتابة ، بل تجاوزت الرسالة كل ذلك وصارت واحدة من مصادر كثير من الاعمال الفنية والادبية ، لعل أكثرها شهرة ماقدمه الروائي الامريكي « مايكل كرتشون » في روايته « أكلة الموق » التي اعتمدت على تفاصيل ماكتبه ابن فضلان في رسالته عن أهل الشمال .

ولكن ماذا كتب ابن فضلان في وثيقته وكيف وصل الى آخر ركن في الدنيا؟كان ذلك في عام « ٩٢١م » في عهد الخليفة العباسي « المقتدر بالله » الذى وصل اليه رسول من ملك الصقالبة « بلاد الروس » يطلب باسم مليكه ايفاد بعثة « لكي تفقهه في الدين وتعرفه شرائع الاسلام وتبني له مسجدا وتقيم له حصنا ضد ملوك الخزر من اليهود والذين كانوا يعتدون على قومه ويفرضون عليهم الضرائب ، ويتزوج ملوك الخزر من يريدون من بنات ملوك الصقالبة غصباً » .

وبالفعل استجاب الخليفة العباسي وأرسل وفدا على رأسه ابن فضلان .

رحل الوفد من بغداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩هـ (٢١ يونيو ٩٢١م) فعبر نهر جيحون ووصل بخاري ثم أوغل حتى وصل نهر الفولجا يوم الاحد (١٢ محرم ٣١٠ هـ) استغرقت رحلة ابن فضلان احد عشر شهرا ، وكتب ابن فضلان رحلته هذه بكل تفاصيلها ووقائعها . . ووصف فيها كل مامر به وصفا شيقا بارعا . وأكثر مراحل الرحلة اثارة هو ما هدته الصدفة ، ففي الطريق اختطفه جماعة من الفايكنج سكان « اسكندنافيا » فأخذوه معهم وأجبروه على أن يحيا حياتهم ويشترك في معاركهم . هذه الصدفة ـ التي لايمكن لاحد أن يزعم ان ابن فضلان سعى اليها ـ منحته أعظم ما يتوق اليه رحالة أو مكتشف في كل العصور ، فقد كتب ابن فضلان اسمه في التاريخ كصاحب أقدم تسجيل كتبه شاهد عيان عن حياة

الفـاتينج ومجتمعهم وانـه صاحب الـوثيقة الـوحيدة الفريدة في التـاريخ المكتـوب عن حياة سكـان هذه المناطق .

ووصف ابن فضلان الفترة التي قضاها مع الفاتينج بدءا من الدهشـة والاستغراب من مـظاهر الـطبيعة وانتهاء بالحياة والاجتماعية ، فهو يسجل ويحكي عن حيرته الشديدة في تحديد موعد صلاة المغرب في أيام النهار الممتد ويروي عن عذابه في انتظار صلاة الفجر مع الليل الـذي لاينتهي ، ويحكي قصص الصراع الدموي بين الممالك،ويصف القتال ووحشيته وكيف يصل العداء الى أكل لحوم القتلى وكيف تمزق الجثث ويؤكل لحمها الطري ، وكيف تعلق الرؤوس شواهد على الطرق دليلا على البطش والقسوة . حياة كاملة لصراع دموي يـرصده ابن فضـلان ويشارك فيـه ، وبالطبع لم يدرك ابن فضلان وهو يكتب هذا انه يقدم تحليلا اقتصاديـا وتاريخيـا للمجتمعات ، يـطرح فيه منهجا جديدا لم يكن العالم بعد قد سمـع به ، ففي مجتمعـات فقيرة وطبيعـة قاسيـة مع مصـادر للطعام محدودة جدا يصبح الصراع هنا صراعا دمويا لان ثمن الاسترخاء والضعف هو فقدان الحياة جوعا وبردا ، فكما يقول ابن فضلان : « كان الناس يأكلون لحم الـدواب ويستعملون زيت السمـك ، ثم كـانـوا لايجدون مكانا يحفظون فيه الطعام فيحفرون الارض ويضعونه في باطنها » ، هذه السطور عـلى بساطتهـا تساهم في فهم وتخيل كيف كانت الحياة هنا من ألف عام فقط .

حتى على مستوى الحياة الاجتماعية لم يغفل ابن فضلان أن يرصد واحدة من العقـوبات التي تحـدد شكـل القـانـون الاجتمـاعي السـائـد فيقـول ابن فضلان :

ان عقوبة الزنا كانت شديدة فهم يقطعون المجرم بالفأس من رقبته حتى فخذيه ، في نفس الوقت فان حياتهم الزوجية عجيبة لاحياء فيها ولا عار » . هكذا يضع ابن فضلان يـده على مفـاتيح هـامة للتحليـل الاجتماعي من شكل هذه المجتمعات ، الامر الذي يحتاج الى دراسة انثروبولوجية كاملة عن حياة وطبائع وكنه السكان الاصليين لذلك المكان البعيد القابع في ركن الدنيا .

المسجد . . . في الطابق الخامس :

وبعد ابن فضلان جـاء الاسلام الى هـذه البلاد بحمله التجار ، الذين كانوا يجـوبون روسيـا ووصل نشاطهم الى فنلندا ، وفي المتحف الوطني نقود عربية عثر عليها في فنلندا ، وقد اكتشفت في أماكن مختلفة وخاصة في الاولاند ويقال أنه حملها الفيكانج أثنـاء سفراتهم في القرن الثامن . .

وفي فنلندا أقلية اسلامية ، تعرفت عليهم عندما زرت الجمعية الاسلامية فى الطابق الخامس من احدى العمارات الكبيرة في أحد شوارع هلسنكي ، والتي تضم مسجدا ومدرسة تدرس الاسلام ، ويبلغ عدد المسلمين ألف وخمسمائة مسلم ، ورغم قلة عددهم الا أنهم أقلية نشيطة ومنظمة . .

وأغلب هؤلاء المسلمين من الترك والتتار ، ٤٠٪ منهم يسكنـون هلسنكي ، ومـازال الكثيـرون منهم يتجـرون في الفـراء والمـاس ، ولـديهم مقبـرتهم الخاصة ، حيث يدفن موتاهم في صناديق خشبية ، والتقيت في الجمعية بالسيـد عبدالله رئيس الجمعيـة الاسلامية ، وصاحب أحد محـلات الفراء ، وكـان عائدا من جولة لكل من العراق وتركيا وليبيا وتونس والجزائر ، ولاحظت أنه الى جانب الدين الاسلامي يدرس التاريخ القومي فهنـا أقلية اسـلامية امتـزج داخلها التاريخ القومي مع العقيدة الاسلامية حتى أنه يتعذر على الجمعية قبول أعضاء جددا من المسلمين الذين يعيشون في فنلندا سواء للدراسة أو العمل . .

وتقيم الجمعية شعائر صلاة الجمعة التي يحضرها حوالي مائة مسلم . . كما تحتفل بالاعياد والمناسبات الاسلامية المختلفة . .

وطوال الطريق الى المطار . . وعيناي تلهثان من شجـرة الى شجرة . . وأسـأل نفسي بقدريـة : أي الاشجار هذه سأكتب عليها يوما ، ولَمْ لم يفكر أحد أن يكتب عن الورق الذي يخرج من هنا . . فيـطوف العالم . . بعد أن يملؤه الكتاب والصحفيون بسواد الحبر وألوان الصور ، وقطع سيل التساؤلات رجاء زميل الرحلة وهو يرجو السائق أن يقف لحظة لتلتقط الكاميرا آخر منظر في بلاد الغابات والاشجار والجليد والضياء . . . آخر ركن في العالم . . □

وسأقتصر في هذه الدراسة على عالمه القصصي كما تجسد في مجموعاته القصصية

بدأ محمد عبدالملك الكتابة في اعقاب احداث الحركة الوطنية في البحرين سنة ١٩٦٥ ، لذا فانه انطلق من اتونها وصورت اولى قصص مجموعته الأولى « موت صاحب العربة »(١٩٧٢) ، المعنونة بـ « رمس » احدى مظاهرات الحركة الوطنية من خلال انسياب تيار الوعي لدى شخصية بطلها « الحاج مطلوم » ، البحار القديم الصلب الذي انتهى به الحال الى بيع الحصراوات بعد كساد تجارة اللؤلؤ ، والذي يحاول منع ابنه من المشاركة في المظاهرات الهاتفة بسقوط الاستعمار وسقوط الشركة ، الا انه لم يستطع كبح جماح نفسه ، فاندفع مشاركا في المظاهرة هاتفا ضد الظلم والجوع ، فـ « الظلم هو الجوع » ، وينضم ابنه بدوره الى صفوف المتظاهرين ، ويستشهد مصابا بالرصاص ويجلس الأب « الحاج مطلوم »ـ والأسماء ها دلالة في قصص عبدالملك ـ صامتا يدخن النارجيلة ، ويردد كلمة وحيدة بتعجب وألم « رمس » ؟؟

عالم البحــر

ويجمع أسلوب محمد عبدالملك الفني في هذه القصة بين تقطيع الزمن وتداخل الأزمنة والأمكنة ، والتداعي ، وتيار الوعي ، والصور البحرية ، والتراث الشعبي دون افتعال فعندما يسمع الأب بطل القصة هتاف « يسقط الظلم » فان « الحاج مطلوم تذكر عاشوراء والحسين » ، فتحركه الذكرى للمشاركة في المظاهرة بالهتاف « الظلم هو الجوع قالها الحاج مطلوم يسقط الظلم » ومن تراث البحر ومفردات عالمه يصف عبدالملك حركة بطله البحار القديم « اندفع كالفيل ورفع شراع يده « يسقط الظلم ! » غير أن القصة ، بسبب موضوعها السياسي ، ولأنها من اعمال البدايات حملت بعض العبارات الخطابية والحماسية المباشرة ، كتكرار عبارة « الشعب عاصف » وغيرها من العبارات التقديرية ، اضافة الى الحوار السياسي الذي لا يتحمله قالب القصة القصيرة المحدود والمكثف

كما تعيب بعض قصص مجموعة عبدالملك الأولى بالسرد التقريري والوصف الخارجي والشخصيات المسطحة ، غير انها تجمع بين واقعية الحدث والتعبير عن الشخصيات المعدمة والمطحونة والمهانة والمسحوقة ، والتي تتطلع الى تغيير واقع حياتها البائس والمظلم الى حياة افضل ، وتستعين على ذلك بقواها الايجابية وتراثها الشعبي

ويمزج محمد عبدالملك في قصته « اخر سفينة » بين معاناة بطله البحّار التي دامت ثلاثين عاما في الغوص على اللؤلؤ ، وبين معاناته في عمله الجديد بمعمل تكرير النفط بعد كساد اللؤلؤ وهجرة عالم البحر ، عندما يشبه رئيسه في العمل « بالنوخذا » (ربان السفينة) حين أبلغه بأمر فصله من العمل وإذا كانت القصة تستعيد عبر مونولوج بطلها العاطل المعذب صور حياة العمل في البحر وأغنيات « النهام » (مغني السفينة) وحياة العرق الشاقة بحثا عن اللؤلؤ ، الا انها تصف غربة بطلها في حياته الجديدة بين آلات معمل التكرير بأكثر الالفاظ تقريرية ومباشرة « هنا عرفت الغربة ، عرفت الضياع بين آلات رابضة كالموت من حولي »

وتختتم القصة بعبارة تقريرية ايضا قائلة « فرمس الغوص انتهى ، وتوقفت آخر سفينة » ولكن معاناة الانسان استمرت بالرغم من ظهور النفط

موت صاحب العربة

أما قصة « موت صاحب العربة » التي منحت مجموعته الأولى عنوانها ، فهي قصة مأساوية تصور عذاب حمال عجوز وحيد ومعاناته الأليمة في عمله الشاق ، ومخاطبته لسقف حجرته ، عن وحدته وفقره وضعفه واضطراره لمواصلة العمل طوال يومه دون راحة ، على نحو يذكرنا بحوذي « تشيكوف » الوحيد الذي كان يحادث حصانه عن مأساة فقده لابنه الوحيد وتمزج القصة بين المونولوج الداخلي والحلم في تصوير معاناة البطل الأليمة وتطلعاته وأشواقه لحياة افضل ، غير أنها تختتم بوفاته وحيدا في كوخه ، حتى تأكله الديدان ، وتفوح منه رائحة العفن

هكذا يموت صاحب العربة بعد أن أيقن بأنه « لاراحة هنا الراحة في القبر الراحة في



غلاف المجموعة القصصية الأولى

غلاف المجموعة القصصية الثانية

القبر . . » تلك الراحة هي حلمه السعيد الذي ظل يحلم به . أما الاطفال الذين تمكنوا اخيرا من الاستيلاء على عربته واللعب بها فانهم « لم يشعروا بسعادة » . فلا سعادة لدى شخصيات محمد عبدالملك المعذبة التعسة .

وقد حدثني محمد عبدالملك عن هذه القصة حديثا ممتعا اجابة عن سؤال لي عن تجربته الأدبية . وانقل هنا فقرة من هذا الحديث لانها تلقى أضواء كاشفة على الينابيع الواقعية التي تتدفق منها ابداعات هذا الفنان الواقعي الدؤوب .

فبعد ان تحدث عن اكتشافه لرغبة عارمة في الكتابة والتعبير والبوح قال لي : « لقد وجدت هذه الرغبة في نفسي مثل الآخرين ، واعتقدت في البداية ـ وانا اكتب قصتين في وقت واحد ، ذات مساء حار وحزين ـ بأنني امارس نوعا من الألم والتألق على الطريقة البوذية ، والاغتسال والتطهر . هناك اشياء أعرفها ولا يعرفها الآخرون ، هناك تجارب وخيالات اريد ان يشاركني الآخرون في الاستماع اليها او التحدث عنها ، مثلا : « حكاية عبدالله صاحب العربة ، وكنا نسميه عبدالله (حبيان) لضيق عينيه ، كان رجلا عظيما ، وهو يقود عربة كبيرة من الحارة التي أقطنها الى قلب السوق في برد الشتاء وحر الصيف ، وكان طيبا ، ذا كبرياء ، وقد مات موتتين ، مرة حين هده العمر فمد للناس يده فتألمت ، ومرة حين وجدناه جثة نتنة في بيته المصنوع من سعف النخيل في « حي لبنان » ، هكذا كنا نسميه تهكما في الطفولة ، لم نكن نعلم ان لبنان سيصيبه الدمار اكثر من هذا الحي في عام ١٩٨٢ . . كنت اريد ان احكي حكاية عبدالله للناس ، وقد حاولت وانا عديم الثقة في نفسي ، ولكن ردود الفعل جاءت مشجعة ، ومع ردود الفعل المستمرة من الناس وجدت الثقة في نفسي . « هذه هي روافد الواقعية في عالم محمد عبدالملك القصصي » .

الناطــور

تلح القضايا الوطنية والاجتماعية على قلم محمد عبدالملك ، وتنعكس بقوة في عالمه القصصي منذ بداياته الأولى . واذا كان قد صور اضرابات الحركة

العمالية في قصصه فانه يصور اضرابات الطلبة ايضا ، الذين نتابعهم من خلال رؤية « احمد الناطور » حارس بوابة المدرسة الثانوية الذي اعطى القصة عنوانها ، والذي اثرت فيه هتافات الطلبة ضد امريكا والمطالبة بالمساواة الاجتماعية ، فاندفع خلفهم يهتف معهم بدلا من ان يغلق البوابة في وجوههم ويمنعهم من الاضراب ، فيفصل من عمله لقاء ذلك ، في حين يمزج عبدالملك بين الطلبة وبين مفردات عالم البحر ايماء الى قوتهم قائلا « انهم يبدون كأسماك كبيرة في عرض البحر ، يحومون هنا وهناك ضاربين بأيديهم في الهواء كما يفعل سمك القرش تماما ! انهم لا يقلون عنه شراسة هؤلاء الصغار الطيبون ، وفي اللحظات الحاسمة لن يوقفهم هذا الجدار ، ولا بوابة العم احمد التي استبدلت بأحشائها الحديد ،وتموج الساحة امام عينيه بالهول انظر آه صاح بارتياح كيف تتجمع الحلقات البشرية ، وهاهم كتلة امواج عاتية صاخبة ، عارمة ، عنيفة الوجه في اصواتهم التي تشق طريقها بلا توقف » انها شخصيات ايجابيه تؤثر في سواها من الأجيال السابقة ، لأنها شخصيات من الشباب ، تمثل الغد والمستقبل ، وتلوح بقدرتها على صياغته وصنعه وابداعه ، واذا كان العمال ، في قصص عبدالملك ، يهتفون ضد الجوع والظلم ، والطلبة يندون بأمريكا ويطالبون بالمساواة الاجتماعية ، فان عمال البناء في قصة « حمارة الخرداب » يهتفون أيضا « يسقط المقاولون » ويتحدثون عن بنائهم للعمارات وخروجهم صفر الايدي

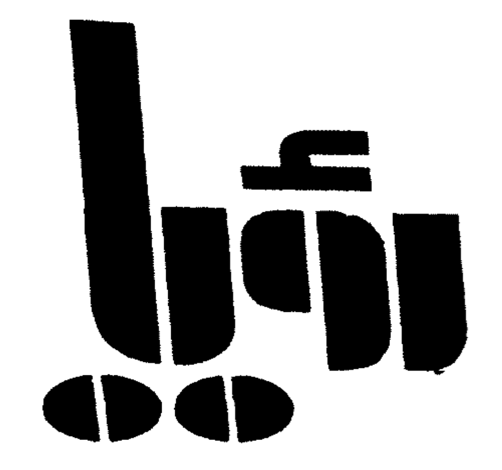
وتنبع قصص محمد عبدالملك الواقعية الأولى بدفء الواقع في أحياء « المنامة » الشعبية التي نشأ وتكوّن فيها ، ومن هذه الأحياء ينتقي الأديب الواقعي شخصياته الشعبية ، من عمال وحمالين وباعة وبحارة وعاطلين وشحاذ ومغنين وأطفال وطلبة ، فيصور حياتهم التي يخيم عليها الجوع والبؤس والحرمان وتتصاعد منها نغمات الاحساس بالظلم والتوق للعدل والحلم بمستقبل افضل فهو يحرص على الا يدع اليأس يسد منافذ الأمل بالرغم من قسوة الصور الواقعية المنتقاة بمهارة ، لتعبر عن موقف الأديب المبان من هذا الواقع

نحن نحب الشمس

وفي مجموعته القصصية الثانية « نحن نحب الشمس » تقدم محمد عبدالملك بشخصياته النابعة من حارات وأزقة احياء المنامة الشعبية صوب الهموم النفسية والروحية ، ومن ثم تقلصت مساحة الوصف الخارجي والسرد التقريري في بعض القصص ، التي لجأ فيها الكاتب الى استبطان شخصياته والدخول في اعماقها وهي شخصيات معذبة ايضا ولكن عذابها روحي ونفسي ومعنوي ، كعذاب بطل قصته « الانتظار » الذي يعاني الوحدة بعد وفاة زوجته واعتقال ابنه الوحيد ، غير ان الكاتب لم يتخل تماما عن تدخله بالتعليقات المباشرة كقوله « عجنت اي حزن مدمر يعيشه منذ حادث الاعتقال »

غير ان المباشرة وافتقاد الرمز المحدود ظلا يلازمان معظم قصص مجموعته الثانية « نحن نحب الشمس » وخاصة في القصص السياسية المضمون مثل قصة « مطر بعيد الحياة » التي تستعرض هموم الوطن العربي كله ، من انقلابات وثورات وانكسارات في عبارات سياسية مباشرة ، تتدفق على قلم بطلها وهو يدون مذكراته او كالاسلوب التقريري المباشر الذي يقدم به الكاتب تجربة التعذيب في السجن في قصة « الزنزانة ٥ » ، وتجربة المنفى في قصة « سد » وهي قصص سياسية مباشرة تقترب من اسلوب المقالات السياسية وتحاول ان تصور الصراع السياسي والاجتماعي او كقصة « النافذة » التي تتناول حياة الفتاة العانس « سارة » وهمومها ، دون مراعاة لمحدودية الرمز الاساسية في فن القصة القصيرة

وفي هذه المجموعة القصصية الثانية تتقدم موضوعات قصص محمد عبدالملك نحو الثقافة والسياسة ، واذا كانت موضوعات السجن والاعتقال والنفي هي الغالبة في قصص هذه المجموعة ، فاننا نطالع اسماء « جيفارا » و « جوركي » جنبا الى جنب مع الأحاديث المباشرة عن القومية العربية ، وحكم العسكر والبورجوازية ، والاستغلال الطبقي من تجار اللؤلؤ والبواخرة الى المقاولين وشركات النفط والى جوار الشخصيات الشعبية ظهرت شخصيات المثقفين في قصص هذه المجموعة الثانية □



شعر : عبد الفتاح الصبحي



أيا مهرة الليل هيا خذيني
ولا تتركيني لهذا الصقيع
● ● ●
مُعنًى هو القلب وسط الفيافي
فما عاد يسكن عش الضلوع
● ● ●
ويخنقه القمع والدمع حينا
فإن لاح وجهك طاب الخشوع

* * *

تبارك حلم بجفنيك يغفو
كمشتل ورد وفل يضوع
● ● ●
تبارك فجر بعينيك يصحو
فيرقص صيف ويشدو ربيع
● ● ●
تبارك نهر بكفيك يسخو
فيطعمنا بعد خوف وجوع

* * *

أحدق في الأفق والنجم يزهو
ولم يبق في الليل الا هزيع
● ● ●
فألمح طيفك في الريح يعدو
على شجر حملته الجموع
● ● ●
أناديك : يا عروس روحي .. خذيني
طريق الهوى ما به من رجوع !



الجوع وأثره على جسم الإنسان

بقلم : الدكتورة فاطمة الغرباوي

رأينا وقرأنا أخبارا كثيرة عن الجفاف في المناطق الافريقية ، ومايتتج عنه من المجاعات ، وأفزعتنا الضحايا التي سقطت نتيجة لها ، والأخرى التي تنتظر . فما أثر الجوع على جسم الانسان ؟ وكيف يؤدي الى الوفاة ؟

يمكن إجمال أنسجة الجسم في ثلاثة أنواع : الأنسجة الدهنية،والبروتينية ونسيج الكبد النشوي . وعندما يقل مايحصل عليه الجسم من الغذاء الكافي والسعرات الحرارية اللازمة ، بدرجة كبيرة عن المعدل الطبيعي لاحتياجاته اليومية ، تتحرك ميكانيكية التمثيل الغذائي للتوفيق بين أمرين ، إما بالاقلال من النشاط الجسماني ، أوبالسحب من الاحتياطي المختزن في أنسجة الجسم المختلفة .

والجلوكوز ، أوالسكر الاحادي ، هو العنصر الأساسي والمطلوب أبدا للاحتراق واستنباط الطاقة اللازمة ، خاصة للمخ - الذي يتطلب لحيويته ٨٥٪ من الجلوكوز من الدم ، وللأنسجة الأخرى بدرجة أقل من ذلك .

وفي الجسم العـادي مخـزون قليـل من المـواد النشوية ، يحتـاج صيام ليلة واحـدة ليحترق كله . وحتى بين الوجبات ، عندما ينخفض معدل الجلوكوز في الدم يحاول الجسم انتـاج الجديـد منه بطريقة أو بأخرى ، ليكون معدله في حدود كافية - بين ٥٠ الى ١٥٠ مللجم - وهي المعدلات التي يتعطل فيها المخ عن عمله اذا قلت عنها ، وتزدحم الكلى في التخلص منها اذا زادت عن ذلك .

أما إذا صام المرء مدة طويلة فعلى الكبد أن يبدأ انتاج الجلوكوز ، وانتاج هذه المادة في الجسم أسهل وأكثر مباشرة في البروتينات منها في الـدهون . لـذا يستخدم الجسم عضلاته في انتاج الطاقة ، لتـذوب رويدا رويدا بالرغم من وفرة الدهون فيه . تتكسـر بروتينات العضلات الى أحماض أمينية ، وهذه تصل الى الكبد عن طريق الدم ، ليتكون منها النشا ، وهذا بدوره يتكسر الى جلوكوز .

أما اذا طالت مدة الحرمان كالحال في المجاعات أو في معسكـرات الاعتقال ، فـإن الجسم يعـزف عن استخـدام البروتينـات في انتاج الـطاقة ، ويبـدأ في استخـدام الدهـون المختزنـة ، وذلك بـاستخلاص الأحماض الدهنية ، وكل ذلك لصالح نشاط الجهاز العصبي في الدرجة الأولى . وبـانتهاء المخـزون في الدهون يحس الانسان بالوهن ، ويفقد القـدرة على التفكير ويعزف عن الطموح ، ويهبط ضغط دمـه ، ويغمى عليه ، وينتهي به الأمر الى الوفاة اذا استمر الحرمان من الغذاء .

وبذوبان الدهن والعضل يبدأ الجسم في التورم . فالجلد في القدمين والساقين يصبح مثـل كيس ملىء بالماء ، لأن الأنسجة الذائبة تكون قد تركت فـراغا خلويا مكانها ، وكذلك يكبر بطن المصـاب لامتلاء تجويفه بالماء ، وتنتفخ جفونه ويغور خداه .

ولعل هناك أسبابا أخرى لهذا التورم غير ذوبـان الأنسجة ، مثل انخفاض معدل الزلال في الدم ممـا يقلل الضغط الأسمـوزي في الأوعيـة الـدمـويـة ، ويساعد على الارتشاح الى الأنسجـة الخلوية . كـما يؤدي الى انخفاض ضغط الدم ، اذ يقل اندفاع الدم الى القلب ، ويقل بالتالي معدل ضخه في الكلى، ليقل بـذلـك معـدل افـراز البـول ، فيحتفظ الجسم



عندما يذوب الدهن والعضل في الجسم بعد طول حرمان من الغذاء ، يكبر بطن المصاب لامتلاء تجويفه بالماء .

بالأملاح ، وأهمها عنصر الصوديوم في الأنسجـة مما يتطلب امتصاص الماء من الدورة الدمويـة الى تلك الأنسجة .

الحرمان الغذائي

إن النتائج الوخيمة - وآخـرها الـوفاة-للحـرمان الغذائي متوقعة تماما اذا ما فقد الجسم ثلث أو نصف مخزون البروتينات منه .

ومن النتائج الأخرى المترتبة على المجاعة ضعف المقاومة للأمراض المزمنة ، وذلك عند من يقل وزنهم

عن المعدل الطبيعي وتتوزع احتياطيات جسم الانسان الذي يزن ٧٠ كجم ، وهو المتوسط الطبيعي كما يلي :

١٥ ـ ٢٥٪ دهون
١٢ ـ ١٧٪ بروتين في شكل عضلات
٣٪ نشويات في هيئة نشا الكبد ونشا العضلات وسكر الدم .

والدهون هي الخطوط الأمامية للدفاع عن استنزاف طاقة الجسم حيث يولد كل جرام منها مايوازي ٩ كيلو/كالورى ، أما جرام البروتين فيولد ٤ كيلو/كالورى .

واختزان الدهون في الجسم غني عن التعريف ، فالسمنة أو زيادة الوزن كلمتان مترادفتان لمعنى واحد ، فهي تعني زيادة الدهون في الجسم وهي لاتعني أي زيادة فعلية في البروتينات أو النشويات في الجسم . .

فزيادة الوزن بمقدار ٢٥٪ تعني مضاعفة وزن الدهن فيه. وعلى العكس من ذلك فان نقصان الوزن كما يحدث في المجاعات والأمراض المزمنة تعني هدما ملحوظا في كمية البروتين على السواء .

وأعود لأؤكد أن المخ يستهلك حوالي ١٠٠ ـ ١٥٠ جراما من الجلوكوز يوميا ، ويحرقها الى ثاني أوكسيد الكربون . والماء والأنسجة الأخرى مثل محتويات الدم وخلايا الكلى وخلايا العضلات تستخدم كميات أقل من تلك المادة ، بين ٥٠ ـ ٧٥ جراما يوميا . ونسيج العضلات هو المستهلك الأكبر للطاقة في الجسم ، أما القلب والأمعاء فلاتعتمد على الجلوكوز سواء في حالات الشبع أوالحرمان ، بل هي تعتمد على أكسدة الأحماض الدهنية من النسيج الدهني المختزن ، وكذلك من الكيتونات التي تتكون في الكبد أثناء أكسدة الدهون .

عندما ينشط الكبد في استخدام الأحماض الأمينية التي وصلته من العضلات لتحويلها الى جلوكوز ، يفقد الجسم بهذه الطريقة حوالي ٦٠ ـ ٧٠ جم يوميا من البروتين ، وهذه تنتج حوالى ١٠ ـ ١٢ جم من النيتروجين في البول . وبما أن الماء يكون ٧٥ ـ ٨٠٪ من وزن العضلات فان الجسم بهذه الطريقة ، يفقد يوميا حوالي ٢٠٠ ـ ٣٠٠ جم من وزنه الاجمالي في كل يوم من أيام الحرمان .

واذا كان معدل نقص الوزن أكثر من هذا ، يكون السبب إما ازدياد ادرار البول ، اوزيادة تحطيم الأنسجة بزيادة معدل التمثيل الغذائي عن المعدل الطبيعي .

هناك هرمونان اثنان يتحكمان في عملية التمثيل الغذائي للجلوكوز ، الأنسولين والجلوكاجون ، وهما متضادان تماما ، فعندما يصوم المرء ، ينخفض الأنسولين ، الذي يحرق الجلوكوز ، ويزداد الجلوكاجون ، الذي يساعد على استنباط الجلوكوز ، وهنا تنشط في الصائم عملية تكسير الدهون وينشط انتاج الجلوكوز في الكبد .

الصيام الطويل

ويختلف الحال عند الصيام لمدة طويلة لأكثر من عدة أيام ، فللجسم حينئذ طرق متعددة للتكيف حتى لايهدم كثيرا من البروتينات . اذ يقل استعمال المخ للجلوكوز ، ويبدأ باستعمال بعض مشتقات الدهنيات والكيتونات كبديل له . ويتبع ذلك انخفاض معدل تكسير العضلات الى أحماض أمينية ، ويقل مايحتويه البول من مواد نيتروجينية الى حوالي ٣ جم يوميا ، مما يعكس تكسير حوالي ٢٠ جراما من البروتين ونقص مايقل عن ١٠٠ جرام في وزن الجسم الحقيقي يوميا . وبذلك يتحول انتاج حوالي ٩٥٪ من الطاقة المطلوبة من المخزونات الدهنية في الجسم . ويمكن وصف الانسان وقتها بأنه يتعيش على غذاء داخلي ذاتي عالي الدسم .

تعتمد كل العمليات السابقة على أن جسم الصائم كان سليما معافى عند بداية صيامه . أما اذا كان مريضا أصلا بمرض حاد أو مزمن مثل الالتهابات أو الحروق أوالاصابات وما يتبعها من عمليات جراحية ، فاستجابة الجسم عندها تكون بزيادة في تكسير البروتينات ، وهي تتناسب وكمية الطاقة اللازمة للجسم . فمثلا ، الحمى ، تتطلب استخدام كمية أكبر من الاوكسجين ـ بمقدار ١٥٪ زيادة لكل درجة حرارة واحدة ارتفاعا .



نقصان الوزن يعني هدما ملحوظا في كمية البروتين وزيادة في تحطيم انسجة الجسم



عدم التوازن في الغذاء يعطل النمو ونضج التفكير ويظهر اعراض الانيميا وفقر الدم .

ولاتتطلب العمليات الجراحية غير الفجائية ، زيادة في الحاجة للأوكسجين . وعلى العكس من ذلك فان الكسور المضاعفة ، والالتهابات الشديدة مثل التهاب الغشاء البروتوني في البطن ، تتطلب زيادة قد تصل الى ٥٠٪ من الحاجة للاوكسجين .

وتحتاج الحروق الكبيرة الى زيادة بنسبة ١٠٠٪ من الأوكسجين . ومع هذه المتطلبات العالية للطاقة يتحتم تكسير البروتينات المختزنة وبسرعة ، لذا يحتوي البول وقتها على مشتقات النيتروجين التي قد تصل الى ٢٥ جراما يوميا ، وهومعدل أكثر من ضعف الكمية التي يحتويها البول عند الصائمين المحرومين . وهي أيضا كمية تعكس تكسير حوالي ١٥٠ جراما في البروتين يوميا ، أي مايعادل فقدان رطل من وزن الجسم الاجمالي يوميا ، ولذا يبدو هزال المصابين واضحا خلال فترة قصيرة .

انخفاض المناعة

ان سوء التغذية عموما هو صورة من صور الحرمان الغذائي ، فاذا كانت التغذية غير متوازية انتشرت الالتهابات والأمراض المزمنة ، خاصة حالات الاسهال والتهابات الجهاز التنفسي . فنجد ارتفاعا ملحوظا في نسبة وفيات الاطفال دون سن السادسة في البلاد النامية أعلى منها في العالم المتقدم ، والسبب سوء التغذية . فمقاومتهم ضعيفة والأسباب معروفة . فنقص البروتين وفيتامين أ ، ج وجميع مشتقات الفيتامين ب تحول دون انتاج الجسم للمواد التي تقيه من عدوى الأمراض .

ولقد أعطى بعض المتطوعين مواد مضادة لبعض الفيتامينات ، فانخفضت نسبة المواد المناعية في دمائهم .

ولوحظ أن الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية وانخفضت في دمائهم نسبة المواد المناعية ولكن بدرجة قليلة ، كان عدم التوازن في الغذاء كافيا لتعطيل نموهم ونضج تفكيرهم .

والأسرى في المعتقلات ، الذين ينعدم التوازن في غذائهم تكثر اصابتهم بمرض « البري بري » لأن مادة الثيامين تنقصهم وتكثر بينهم الاصابة بنزلات الأمراض الميكروبية المختلفة . واذا ماأصيب أحد قرود التجارب بنوبة برد فقط ، ظهرت أعراض الأنيميا وفقر الدم اذا كان غذاؤه لايحتوي على مادة حامض الفوليك .

وعند الاصابة بالأمراض الميكروبية يزيد افراز فيتامين ج في البول ويقل معدله في الجسم ، وتلك ظاهرة ملحوظة عند الأطفال المصابين بسوء التغذية ، ويعانون من التهابات الأذن الوسطى ، والتيفود أو الالتهاب الرئوي وبعد التطعيم ضد الجدري ، فهم أرض خصبة لمرض الاسقربوط ونقص فيتامين ج .

ولنقص المواد الغذائية من الغذاء دور هام وعلاقة وثيقة ببعض الأمراض . فالأمراض الميكروبية تقلل نسبة الحديد والزنك . والاصابة الشديدة بالديدان الشريطية كافية لأن يصاب المرء بأنيميا خطيرة حتى لو كان غذاؤه غنيا بالحديد ، وهذا يذكرنا باصابة الفلاحين في مصر بدودة البلهارسيا ، حيث يفقد المصاب عنصر الحديد أثناء النزف الطويل في الجهاز البولي والأمعاء .

ومرضى الدرن ، يفقدون عنصري الكالسيوم والفوسفور . والمرضى المصابون باسهال ميكروبي ،

يفقدون الكثير من الصوديوم والكلورايد والبوتاسيوم والفوسفور بدرجات متفاوتة قد تكون شديدة لدرجة مميتة .

المدمنون

ولاستكمال بحث موضوع الحرمان الغذائي أجدني مضطرة لذكر موضوع حيوي وهام . وهو عن المدمنين على المشروبات المسكرة . فبعد أن يثقلوا في الشراب وتتخم المعدة ، يتقيئون ماشربوا وما أكلوا ويعتبرون في عداد المحرومين غذائيا . وهنا يتفاعل الجسم بأن يزيد مس هدم البروتينات وترتفع نسبة الكيتونات في الدم ، بعكس من يصوم وجسمه سليم ، الذي تتفاعل أنسجته وتزيد من انتاج الجلوكوز ولاتزيد عندهم نسبة الكيتونات . وحتى لو صاموا عدة أيام أو عدة أسابيع يستمر معدل الجلوكوز عندهم لأكثر من ٥٠ مللجم . .

وعندما ترتفع نسبة الكيتونات عند المدمنين ، تقل نسبة الجلوكوز عن ٥٠ مللجم فيصاب المرء بالاغماء ، أو يبقى في حالة اعياء شديد ويصبح تنفسه سريعا وعميقا . والسر في ذلك هو زيادةمعدل هدم الدهون ، وربما اختلال طرق الاكسدة في خلايا الجسم نفسها عندما يتم الاجهاز على مخزون النشا في الكبد تماما بفعل القيء المستمر أو عدم الغذاء لعدة أيام . والكحول بذاتها حائل دون انتاج الجلوكوز في الكبد بالاضافة إلى تليفها ، مما يحرم خلايا المخ من مصدر الطاقة والعمل والحياة والحيوية .

ويتسبب الادمان أيضا في حرمان الجسم من عنصر المغنسيوم وذلك بعكس الحرمان عند الشخص العادي ، حيث الكلى حريصة تماما على تنظيم افراز تلك المادة ، أما الكلى عند المدمن فخلاياها غير قادرة على الاحتفاظ بها أو منع افرازها .

ان للمغنسيوم وظيفة هامة في الجسم ، وهي المساعدة على الحفاظ على مستوى الكالسيوم في الدم . كما أن له علاقة وثيقة بالغدة فوق الدرقية . لذا نجد المدمن وقد اعترته رجفة وتشنجات عضلية ، وهو سهل الاثارة من أقل شيء ، وغير قادر عموما على التحكم في تصرفاته باتزان .



المرضى المصابون باسهال ميكروبي يفقدون الكثير من الصوديوم والبوتاسيوم وقد يؤدي الامر الى الموت .

العلاج

ويتطلب علاج حالات الجوع والحرمان الغذائي حرصا شديدا . فيجب أن يكون استرجاع الاستطعام والتغذية تدريجيا وببطء شديد جدا . فلقد أصيب الأسرى في الحرب العالمية الثانية ، ممن عادوا الى بلادهم ، باغماء وصدمات عصبية (Shock) عندما أكلوا بشراهة . وتوفي عدد كبير منهم عندما تناولوا أغذية غنية على عجل .

والحال نفسه ينسحب على المرضى بأمراض أخرى غير ضحايا المجاعات والاعتقالات ، مثل مرضى سرطان المريء الذين لايتمكنون من التغذية الطبيعية ، فهؤلاء عندما تعمل لهم فتحات جانبية في المعدة لتناول غذائهم عن طريقها ، قد يصابون بصدمة مفاجئة تنتهي بهم الى الوفاة اذا ماشحنت المعدة بغذاء غني في وقت قصير . □

أرقام

بقلم : محمود المراغى

مائة عام مرت على أول سيارة فى العالم تعمل بالمحركات التى تخضع للنظريات الحديثة . قبلها كانت هناك سيارة فرنسية تجتاح شوارع باريس ، لكنها تعمل بالبخار وتسير بسرعة خمسة كيلومترات فى الساعة . و . . قبلها تطورت وسائل الانتقال بشكل بطىء رغم أن مصادر المعرفة القديمة تقول إن صناعة وسيلة للنقل كانت سابقة لصناعة المساكن ، فحاجة الانسان الى الانتقال وحمل الاثقال كانت تنافس حاجته لمسكن صناعى يؤويه .

بدلاً من النقل بالدّواب

فى البدء : كانت جذوع الأشجار الطافية فوق ماء النهر أو البحر وسيلة للانتقال . وفى البدء : كانت الطاقة المحركة لوسائل النقل البدائية تعتمد جميعها على قوى الطبيعة وعضلات الانسان ، تدفق الأنهار ، حركة الرياح . . و . . كان ذلك كفيلا بتوليد الحركة .

وعندما اخترع المصرى القديم السفينة الشراعية كان ذلك فى وقت قريب لا يتعدى عام (٢٥٠٠) ق . م أيضا ، وعندما استخدم هنود أمريكا الشمالية العربات البدائية كان ذلك فى تاريخ أقرب . لكن القفزة الكبرى فى وسائل النقل كانت باختراع المحركات والقوة الميكانيكية والتى بدأت فى القرن التاسع عشر . ولان الحاجة أم الاختراع فقد سارت الامور بعد ذلك بأسرع مما نتصور ، وتعددت أشكال وسائل النقل والاتصال من باخرة الى سيارة وطائرة وصاروخ ومركب فضائى وقمر صناعى .

فى عام ١٩٦١ وصل الانسان ـ ومن خلال رحلة جاجارين ـ الى الفضاء الخارجى لأول مرة . . ولكن بين رحلة جاجارين والنقل بالاخشاب والدواب وعضلات الانسان رحلة طويلة ، تأكدت خلالها باستمرار أهمية ما ندعوه الآن « صناعة النقل » . . فالطريق والسيارة والقطار والباخرة والطائرة ليست من زخارف الحضارة ، لكنها فى الأساس عملية اقتصادية يتحقق من خلالها التبادل ، وينمو الانتاج .

وبمعنى آخر يمكننا القول أن حجم ماتملكه الدولة من طرق ووسائل نقل واتصال يحدد بصورة ما درجة التقدم والنمو الاقتصادى والاجتماعى . والأكيد أن المسافة بين من ينقلون سلعهم بالدواب ومن ينقلون المعلومات بالأقمار الصناعية مسافة بعيدة . . والسؤال : أين نحن العرب من هذه الرحلة الطويلة ؟ . . ماذا نملك من وسائل نقل واتصال ؟ . . وماهو موقع ما نملكه من رحلة التطور والاقتراب من العالم المتقدم ؟

تقول الأرقام ، التى أوردها آخر تقرير اقتصادى عربى موحد : أن قفزة قد حدثت في السنوات الأخيرة ، فيما يسمى الاهتمام بالمرافق أو البنية الأساسية . وان قطاعات النقل والتخزين والمواصلات والكهرباء والماء والغاز قد احتلت ربع الاستثمارات المستهدفة فى النصف الاول من

الثمانينيات ، وبما يزيد عن كل ما انجز فى مجال البنية الأساسية خلال حقبة السبعينيات . . ولكن . . ووفقا لنفس الأرقام فان معظم التطور كان فى دول النفط والتى احتلت وحدها ٥٩٪ من الاستثمارات فى هذه المجالات ، فاذا أخذنا النقل بمفرده وجدنا نفس المعدل المرتفع من التطور ، ومع ذلك نجد أن الهوة مازالت واسعة بين الدول العربية والدول المتقدمة .

واذا كان الطريق البري هو المعبر الذى تسير عليه السيارة ـ كأداة نقل رئيسية ـ فان الوطن العربى فقير فى طرقه ، ولا يملك منها ـ غير (٤٤٩) ألف كيلو متر ، بينها (١٧٦) ألفا فقط تم تغطيتها بالاسفلت وبطريقة أخرى فى الحساب فإن كل ألف من السكان عام ١٩٨١ كان يقابلهم (٢,٦) من الكيلومتر ، وهى نسبة صغيرة بالقياس لمساحة هذا الوطن الذى يمتد من الخليج الى المحيط ، ويهبط الى أعماق افريقيا ويصعد الى حدود تقترب من أوروبا ويحتل جزءا من آسيا .

وبتحليل أكثر نجد أن ثلثى الطرق العربية فى افريقيا . . لكن الطرق الاكثر تعبيدا وتمهيدا يقع معظمها فى آسيا حيث دول النفط الاكثر قدرة ، أما الطرق العربية المشتركة التى تصل بين أكثر من بلد عربى فتقتصر نسبتها على ١٨٪ فقط من جملة الطرق .

و . . فوق هذه الطرق ـ ووفقا لاحصاءات وتقديرات عام ١٩٨٣ ـ يجرى أكثر من (٧) ملايين سيارة معظمها سيارات خاصة ، وأقلها سيارات شحن ونقل للافراد (باصات) ، وبترتيب النسب تحتل السيارات الخاصة (٧٠٪) من عدد السيارات ، والشاحنات ٢٦٪ ، والباصات ٤٪ فقط ، وفى المتوسط العام نجد لكل ثلاثين عربيا سيارة . . ولكن فى التفاصيل يرتفع الرقم الى خمسمائة سيارة لكل ألف من السكان فى قطر ، ينخفض الى ثلاث سيارات فى الصومال ، وسبع سيارات فى السودان ، وتسع سيارات فى موريتانيا . . لكل الف من السكان . .

وتعكس الأرقام على هذا النحو الحقيقة الأساسية الاولى وهى أن الجزء الأعظم من سياراتنا لا يرتبط بالنشاط الاقتصادى بشكل مباشر ، لكنه يكاد يدخل مجال السلعة الاستهلاكية ، وهو ما تترجمه حقيقة أن لكل شخصين أو لكل ثلاثة فى بعض الدول سيارة ، ولكل سيارة مساحة فى الطريق واحتياجات من الطاقة والفنيين اللازمين للصيانة .

و . . ربما يكون القطار أكثر تعبيرا عن الارتباط بين مرفق النقل والمرافق الانتاجية ، فهو القادر على أن يحمل أكثر وبتكلفة أقل ، ومع ذلك فان استخدام القطار يقتصر على نصف الوطن العربى (١١ دولة) وشبكاته لاتزيد أطوالها عن ٢٢ الف كيلومتر ، فى مطلع الثمانينيات . . منها تسعة آلاف فى مصر والسودان ، وثمانية آلاف فى الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا ، وخمسة آلاف فى بقية أنحاء الوطن العربى .

وفى أكثر من بلد يقتصر استخدام القطار على نقل بعض الخامات مثل خام الحديد .

القطار هو الوسيلة الأرخص للنقل ومع ذلك فان مصر ـ التى تملك أكبر شبكة للسكك الحديدية ـ ظلت نحو ربع قرن لاتضيف لشبكتها شيئا ، ولكن عندما اكتشف خام الحديد ، واقيمت مصانع الصلب واعتمدت على فحم مستورد ، أنشئت خطوط تنقل سنويا بمقدار كل ماكانت تنقله خطوط السكك الحديدية حينذاك . . واخترقت الخطوط الصحراء من الواحات البحرية الى حلوان والاسكندرية ، فى أطول رحلة احتاجها مشروع صناعى مصرى .

التطور الاقتصادى اذن لصيق بتطور وسيلة النقل ، وهو ماعكس نفسه على النقل البحرى فى دول النفط ، وان كان الاعتماد على الناقلات غير العربية كبيرا .

و . . مع ذلك فان توقعات الخبراء تقول إن نسبة النمو فى السيارات سوف تكون فى الثمانينيات والتسعينيات أقل من ذي قبل ، بعد أن بلغ البعض حد التشبع ، وضاقت طرق البعض الآخر فى وجه المركبات ، واصبحت مشكلة الطريق تفوق مشكلة وسيلة النقل ، وفى هذا المجال يضيف خبراء النقل قائلين : لكن أرخص وسائل النقل لاتستخدم على الوجه الأمثل ، ومن قال ان القاهرة ـ أكبر المدن العربية ـ لاتستطيع نقل الملايين على سطح طريق مناسب اسمه : نهر النيل ؟ . . و . . النموذج متكرر ، فنحن فى صناعة النقل نطلب الأحدث لا الأرخص ، وفى الأحدث كثيرا ما تطفو رغبات الافراد وليست حاجات الاقتصاد ! □



صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

مازال ولازال

يخلط كثير بين (مازال) و (لازال) في الكلام فيستعملونها بمعنى واحد ويضعون كلا منها مكان الآخر ، مع أن لكل منها استعماله تبعا لمعناه ، وإن كان النحاة يعدون (زال) فعلا ناقصا ، من أخوات كان ، وكلها نواسخ تدخل على الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر ، فيبقى المبتدأ بعدها مرفوعا كما هو في الأصل ، ولكن الخبر اذا كان اسما او نحوه معربا يصير منصوبا ، ولا يتم معنى الجملة على كل حال إلا بذكر الخبر أيًا كان .

وندع الكلام هنا فيما إذا كانت هذه النواسخ أفعالا أو أدوات ، لفقدها الفعلية مع التطور وبقاء دلالتها على الزمن فحسب ، وأى كلمة ـ كما حدد النحاة ـ لا تسمى فعلا إلا إذا دلت على حدث وزمن معا .

و (زال) فعل ماض ، له ثلاثة أفعال مضارعة لكل منها معناه على حسب صيغته ، وكذلك مصدره .

١ ـ يقال (زال يزيل زيلا) مثل باع يبيع بيعا ، أى ميَّز وفَصَل ، فنقول : (زال الراعى غنمه يزيلها زيلا) أى ميَّزها وفَصَلَها عن غيرها ، ومنه زيَّل كما في الآية : (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزيلنا بينهم ، وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) أى فصلنا بعضهم عن بعض . ومنه (تَزَيَّل) كما في الآية : (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرَّة بغير علم ، ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيَّلوا لعذَّبْنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى لو انفردوا بعيدا عن المؤمنين والمؤمنات لحلت بهم النقمة .

٢ ـ ويقال (زال يزول زوالا) بمعنى ذهب أو انتقل أو هلك ، كقوله تعالى : (إن الله يمسك السماء والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، إنه كان حليما غفورا) ، ومنه وقت الزوال حين تزول الشمس عن وسط السماء نحو الغروب ظهرا .

وهذان الفعلان تامَّان أى يكتفيان بالفاعل لتمام المعنى .

٣ ـ ويقال (زال يزال) وليس هناك مصدر مستعمل له ، والكلمة تدل على النفى فإذا سبقتها أداة نفى أو نحوه دلت الجملة على الاثبات ، لأن نفى النفى إثبات ، أو سلب السلب إيجاب كما يقول أهل

المنطق والنحو والبلاغة ، ولهذا يرى ابن الأنبارى في كتابه (الانصاف) في كلامه على (مازال) ، إن (ما) هنا حرف نفى (بدليل أنا لو قدرنا زوال النفى عنها لما كان الكلام إيجابا) . « وزال » هنا مع أداة النفى قبلها هي التى تعد من الأفعال الناقصة التى تدخل على المبتدأ أو الخبر ، ولايتم معنى الجملة معها إلا بذكر الخبر أيًا كان نوعه ، فلابد من ذكر معموليها معا لتفيد الاستمرار مع الديمومة كقولنا : (مازال الله سميعا بصيرا) ، و (مازال الشجر ذا جذور) ، وقد تفيد الاستمرار حتى وقت الكلام ثم بعده إلى زمن طويل أو قصير ، كقول عنترة العبسي يصف اقدام حصانه عند قتال أعدائه .

مازلت أرميهم بثغرة نحره
ولبانه حتى تسربل بالدم

وكقوله تعالى من وصف قوم ظالمين : (فمازالت تلك دعواهم ، حتى جعلناهم حصيدا خامدين) وكقول المتنبى يصف أسدا في قتاله مع أحد الفوارس :

مازال يجمع جسمه في زوره
حتى حسبت العرض منه الطولا

ويجيز بعض النحاة تقدم الخبر على «مازال» كقولنا : (ساهرا مازال الحارس) . «ومازال» في كل الجمل السابقة إخبارية ، لأن الجمل معها أخبار بدأ حدوثها في الماضى .

ولكن إذا قلنا : « لازال حظك ميمونا ، أو لازلتم في سعادة ، أو لازلتما متحابين في الله » فكل هذه الجمل تفيد الدعاء ، ولازال فيها دعائية ، فإذا أردنا الاخبار قلنا (مازال) .

وقد قدمنا أن مضارع «زال» هذه هو «يزال» وهذا المضارع تدخل عليه « لا » فتفيد الجملة الاثبات ، لأن (لا) تفيد النفى سواء كانت نافية أو ناهية ، و «تزال» تفيد النفى أيضا ، ونفى النفى إثبات كقوله تعالى في بعض المنافقين : (لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة في قلوبهم ، إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) ، وكقوله في بنى إسرائيل مخاطبا النبى (ولاتزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم ، فاعْفُ عنهم واصْفَح ، إن الله يحب المحسنين) ، وكقوله : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وكقول الشاعر :

وَرَجُّ الفَتَى للخيرِ ما إنْ رأيتَهُ
عَلَى السِّنِّ خَيْرا لايزال يزيد

ويجيز النحاة هنا أيضا تقدم الخبر ، كما في قولنا : « سابقا لايزال محمد بين المتسابقين » وكل هذه الجمل خبرية .

وقد يأتى المضارع مع لا الناهية مع قصد النهى حقيقة ، كقولنا : (لا تزلْ ساعيا إلى المعالى ، مترفعا عن الدنايا) ، وقد تفيد الدعاء عند قصده ، وإن كان ظاهرها النهى ، كقولنا : (لاتزل في نعمة من الله وفضل) ، وكثير من الأفعال المضارعة تدخل عليها (لا) الناهية فتكون للدعاء كما في قول مالك بن الريب التميمى من شعراء العصر الأموى :

يقولون لا تَبْعَدْ وهم يدفنوننى
وأين مكان البعد إلا مكانيا

وهكذا كان العرب يدعون لكل عزيز عليهم « لا تبعد » عند شدائد الاحتضار .

وقد تدخل لا النافية على أى فعل ماض وتكون للدعاء أيضا ، كما في قول النبى (ﷺ) وهو يدعو للنابغة الجعدى بعد أن سمع له قصيدة رائية جيدة في مدحه ومدح الاسلام ، « لا فُضَّ فوكَ » ، أو « لا فضّ الله فاك » ، وكقول شوقي في أبيات من قصيدته (نهج البردة » وتغنيها أم كلثوم رحمها الله :

يا ناعس الطرف لا ذُقْتَ الهوى أبدا
أَسْهَرْتَ مُضْنَاكَ في حِفْظِ الهَوَى فَنَمِ

وقد لا تتكرر (لا) مع الفعل الماضى كما في الأمثلة السابقة أو تتكرر كما في قولنا : (لازلت ساعيا في الخير فلا خابت مساعيك ، ولا جُعِلَتْ حَاجَتُكَ إلاَّ إلى كريم) ومن تحصيل الحاصل أن نقول : إن كل الجمل الدعائية إنشائية ، وإن الفعل الماضى في الجملة الدعائية إنما هو ماض صرفيا ، ولكنه للمستقبل نحويا ، أى ماض في صيغته ، ولكنه في معناه للمستقبل . □

راجع (الانصاف في مسائل الخلاف) لأبى البركات بن الأنبارى جـ ١ : المسألة ١٧ ، « ومغنى اللبيب » لا بن هشام المصرى : فصل (لا) ، وفصل (ما) .



صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

مازال ولا زال

يخلط كثير بين (مازال) و (لازال) في الكلام فيستعملونها بمعنى واحد ويضعون كلا منها مكان الآخر ، مع أن لكل منها استعماله تبعا لمعناه ، وإن كان النحاة يعدون (زال) فعلا ناقصا ، من أخوات كان ، وكلها نواسخ تدخل على الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر ، فيبقى المبتدأ بعدها مرفوعا كما هو في الأصل ، ولكن الخبر اذا كان اسما او نحوه معربا يصير منصوبا ، ولا يتم معنى الجملة على كل حال إلا بذكر الخبر أيّا كان .

وندع الكلام هنا فيما إذا كانت هذه النواسخ أفعالا أو أدوات ، لفقدها الفعلية مع التطور وبقاء دلالتها على الزمن فحسب ، وأى كلمة ـ كما حدد النحاة ـ لا تسمى فعلا إلا إذا دلت على حدث وزمن معا .

و (زال) فعل ماض ، له ثلاثة أفعال مضارعة لكل منها معناه على حسب صيغته ، وكذلك مصدره .

١ ـ يقال (زال يزيل زيلا) مثل باع يبيع بيعا ، أى ميّز وفَصَل ، فنقول : (زال الراعى غنمه يزيلها زيلا) أى ميّزها وفَصَلها عن غيرها ، ومنه زيّل كما في الآية : (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزيلنا بينهم ، وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) أى فصلنا بعضهم عن بعض . ومنه (تَزَيَّل) كما في الآية : (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرّة بغير علم ، ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيّلوا لعذّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى لو انفردوا بعيدا عن المؤمنين والمؤمنات لحلت بهم النقمة .

٢ ـ ويقال (زال يزول زوالا) بمعنى ذهب أو انتقل أو هلك ، كقوله تعالى : (إن الله يمسك السماء والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، إنه كان حليما غفورا) ، ومنه وقت الزوال حين تزول الشمس عن وسط السماء نحو الغروب ظهرا .

وهذان الفعلان تامّان أى يكتفيان بالفاعل لتمام المعنى .

٣ ـ ويقال (زال يزال) وليس هناك مصدر مستعمل له ، والكلمة تدل على النفى فإذا سبقتها أداة نفى أو نحوه دلت الجملة على الاثبات ، لأن نفى النفى إثبات ، أو سلب السلب إيجاب كما يقول أهل

المنطق والنحو والبلاغة ، ولهذا يرى ابن الأنبارى في كتابه (الانصاف) في كلامه على (مازال) ، إن (ما) هنا حرف نفى (بدليل أنا لو قدرنا زوال النفى عنها لما كان الكلام إيجابا) . « وزال » هنا مع أداة النفى قبلها هي التى تعد من الأفعال الناقصة التى تدخل على المبتدأ أو الخبر ، ولايتم معنى الجملة معها إلا بذكر الخبر أيًا كان نوعه ، فلابد من ذكر معموليها معا لتفيد الاستمرار مع الديمومة كقولنا : (مازال الله سميعا بصيرا) ، و (مازال الشجر ذا جذور) ، وقد تفيد الاستمرار حتى وقت الكلام ثم بعده إلى زمن طويل أو قصير ، كقول عنترة العبسي يصف اقدام حصانه عند قتال أعدائه .

مازلت أرميهم بثغرة نحره
وَلَبانِه حتى تَسَرْبَل بالدَّمِ

وكقوله تعالى من وصف قوم ظالمين : (فمازالت تلك دعواهم ، حتى جعلناهم حصيدا خامدين) وكقول المتنبى يصف أسدا في قتاله مع أحد الفوارس :

مازال يجمع جسمه في زَوْره
حتى حسبت العرض منه الطولا

ويجيز بعض النحاة تقدم الخبر على «مازال» كقولنا : (ساهرا مازال الحارس) . «ومازال» في كل الجمل السابقة إخبارية ، لأن الجمل معها أخبار بدأ حدوثها في الماضي .

ولكن إذا قلنا : « لازال حظك ميمونا ، أو لازلتم في سعادة ، أو لازلتما متحابين في الله » فكل هذه الجمل تفيد الدعاء ، ولازال فيها دعائية ، فإذا أردنا الاخبار قلنا (مازال) .

وقد قدمنا أن مضارع «زال» هذه هو «يزال» وهذا المضارع تدخل عليه « لا » فتفيد الجملة الاثبات ، لأن (لا) تفيد النفى سواء كانت نافية أو ناهية ، و «تزال» تفيد النفى أيضا ، ونفى النفى إثبات كقوله تعالى في بعض المنافقين : (لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة في قلوبهم ، إلا أن تَقَطّع قلوبهم والله عليم حكيم) ، وكقوله في بنى إسرائيل مخاطبا النبى (ولاتزال تَطّلِع على خائنة منهم إلا قليلا منهم ، فاعْفُ عنهم واصْفَح ، إن الله يحب المحسنين) ، وكقوله : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وكقول الشاعر :

وَرَجُّ الفَتَى للخير ما إنْ رأيتَهُ
عَلَى السِّنِّ خَيْرا لايزال يزيد

ويجيز النحاة هنا أيضا تقدم الخبر ، كما في قولنا : « سابقا لايزال محمد بين المتسابقين » وكل هذه الجمل خبرية .

وقد يأتى المضارع مع لا الناهية مع قصد النهى حقيقة ، كقولنا : (لا تزلْ ساعيا إلى المعالى ، مترفعا عن الدنايا) ، وقد تفيد الدعاء عند قصده ، وإن كان ظاهرها النهى ، كقولنا : (لاتزل في نعمة من الله وفضل) ، وكثير من الأفعال المضارعة تدخل عليها (لا) الناهية فتكون للدعاء كما في قول مالك بن الريب التميمى من شعراء العصر الأموى :

يقولون لا تَبْعَدْ وهم يدفنوننى
وأين مكان البعد إلا مكانيا

وهكذا كان العرب يدعون لكل عزيز عليهم « لا تبعد » عند شدائد الاحتضار .

وقد تدخل لا النافية على أى فعل ماض وتكون للدعاء أيضا ، كما في قول النبى (ﷺ) وهو يدعو للنابغة الجعدى بعد أن سمع له قصيدة رائية جيدة في مدحه ومدح الاسلام ، « لا فُضَّ فوكَ » ، أو « لا فضَّ الله فاكَ » ، وكقول شوقي في أبيات من قصيدته (نهج البردة » وتغنيها أم كلثوم رحمها الله :

يا ناعس الطرف لا ذُقْت الهوى أبدا
أسْهَرْتَ مُضْناكَ في حِفْظِ الهَوَى فَنَمِ

وقد لا تتكرر (لا) مع الفعل الماضى كما في الأمثلة السابقة أو تتكرر كما في قولنا : (لازلت ساعيا في الخير فلا خابت مساعيك ، ولا جُعِلَتْ حاجَتُكَ إلاَّ إلى كريم) ومن تحصيل الحاصل أن نقول : إن كل الجمل الدعائية إنشائية ، وإن الفعل الماضى في الجملة الدعائية إنما هو ماض صرفيا ، ولكنه للمستقبل نحويا ، أى ماض في صيغته ، ولكنه في معناه للمستقبل . □

راجع (الانصاف في مسائل الخلاف) لأبي البركات بن الأنبارى جـ ١ : المسألة ١٧ ، « ومغنى اللبيب » لا بن هشام المصرى : فصل (لا) ، وفصل (ما) .



صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

لامية العجم في شكوى الزمان للطغرائي

هو مؤيد الدين (٤٥٥ ـ ٥١٣ هـ) ولد ونشأ في اصبهان فنسب اليها ، وانتقل الى العراق ، وأتم تعليمه فيها وكان من ائمة عصره شعرا ونثرا ولقبه«الاستاذ»وتقدمت به الحال حتى ولي الوزارة في مدينة أربيل لاحد صغار السلاطين السلاجقة بالموصل ، ودفعته مآزق السياسة الى التدخل بين هذا السلطان وأخيه فانهزم السلطان ، ومات الطغرائي قتيلا في سوق بغداد ، متهما بالالحاد ، وله ديوان شعر من اجوده هذه القصيدة ، التي اشتهرت باسم « لامية العجم » ، لان صاحبها أعجمي ، مقابلة لقصيدة للشنفرى احد صعاليك العرب من اجل الشعر في وصف حياة أمثاله المستوحشة في بيئته البدوية ، تسمى « لامية العرب » ومطلعها :

أقيموا بني أمي صدورَ مطيِّكم
فاني الى قوم سواكم لأميلُ

نظم الطغرائي هذه القصيدة في بغداد سنة ٥٠٥ هـ وقد ساءت حاله ، ومن هنا شكواه ، وله ديوان ، وللاديب العراقي الاستاذ علي جواد الطاهر كتاب مستقل في ترجمة حياته ومجالات نبوغه .

الطغرائي نسبة الى الطغراء (الطرة) وهي العلامة التي كانت ترسم على المسكوكات والرسائل السلطانية .

أصالةُ الرأيِ صانتني عن الخَطَلِ — وحِليةُ الفضلِ زانتني لدى العَطَلِ[1]

فيمَ الاقامةُ بالزوراءِ ، لاسكَني — بها ، ولا ناقتي فيها ولا جَملي[2]

ناءٍ عن الأهلِ صِفرُ الكَفِّ منفردٌ — كالسيفِ عُرِّيَ متناهُ من الخِلَلِ[3]

فلا صديقَ اليه مُشتكَى حَزَني — ولا أنيسَ اليه مُنتهَى جَذَلي

أريد بَسطةَ عيشٍ أستعين بها — على قضاءِ حقوقٍ للعُلا قِبَلي[4]

حبُّ السلامةِ يَثني عَزمَ صاحبه — عن المعالي ، ويُغري المرءَ بالكسلِ[5]

فإن جَنحتَ اليه فاتخذ نَفَقًا — في الأرضِ ، أو سُلَّمًا في الجوِّ ، فاعتزلِ[6]

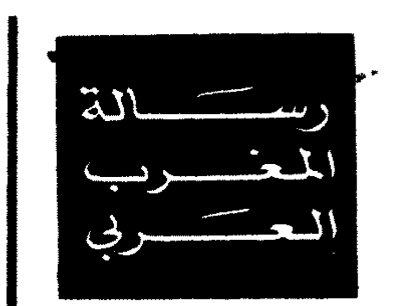
ودع غِمارَ العُلا للمُقيمين على ... رُكوبِها ، واقتَنِع منهنَّ بالبِلَل[7]
يرضى الذليلُ بخفضِ العيش مَسْكنةً ... والعزُّ عند رسيم الأينُق الذُّلُل[8]
إن العُلا حدَّثتني . وهي صادقةٌ ... فيما تحدِّثُ ـ أنَّ العِزَّ في النُّقَلِ[9]
أهبْتُ بالحظِّ لو ناديتُ مستَمِعًا ... والحظُّ عنِّيَ بالجُهَّال في شُغُل
لعلَّهُ ـ إن بدا فضلي ونقصُهمُ ... لعينه ـ نام عنهُمْ ، أو تنبَّه لي
غاليَ بنَفْسِيَ عِرفَاني بقيمتِها ... فصُنْتها عن رخيصِ القدر مُبتذَل[10]
اعلِّلُ النفس بالآمال أرقبُها ... ما أضيقَ العيشَ لوْلا فسحةُ الأمل !
لم أرتضِ العيشَ والايامُ مقبلة ... فكيف أرضى ، وقد ولَّتْ على عَجَل ؟
أعدى عدوِّك أدنى من وَثقِتَ بهِ ... فحاذرِ الناسِ ، واصحَبْهم على دَخَل[11]
وإنما رجلُ الدنيا وواحدُها ... من لا يعوِّلُ في الدنيا على رجل
غاض الوفاءُ ، وفاض الغَدْرُ ، وانفرجت ... مسافةُ الخُلف بينَ القولِ والعمل[12]
وحسنُ ظنِّكَ بالأيامِ معجزةٌ ... فظن شرا وكن منها على وجل
وشان صدقَك عند الناسِ كذبُهم ... وهل يُطابَق معوجٌ بمعتدِل
يا واردًا سؤرَ عيشٍ كلُّه كدرٌ ... أنفقتَ عمرَك في أيامك الأول
فيم اعتراضك لُجَّ البحر تركبه ... وأنت يكفيك منه مَصَّةُ الوَشَل[13]
ترجو البقاءَ بدارٍ لاثبات لها ... فهل سمعت بظلٍّ غير منتقل
ويا خبيرًا على الأسرار مطَّلعا ... أنصت ، ففي الصمت منجاةٌ من الزَّلل
قد رشَّحوكَ لأمر ان فَطِنتَ له ... فاربأ بنفسِك أن تَرعَى مع الهَمَل[14]

---

(١) الخطل : الحماقة. العطل : التجرد من الزينة (٢) الزوراء : بغداد (٣) صفر : فارغ . الخلل : غمد السيف (٤) بسطة : سعة.قبلي : امامي (٥) يثني : يلوي (٦) جنحت : ملت (٧) غمار : واحدها غمرة : الماء الغزير (٨) الأينق الذلل : النياق السهلة الركوب ورسيمها : سيرها (٩) النقل : الانتقالات (١٠) غالي بنفسي : رفع قدري في نفسي (١١) دخل : مكر ودهاء (١٢) غاض : نقص ، أو ذهب (١٣) اللجة : الماء الغزير . والوشل : الماء القليل (١٤) الهمل : من لا راعي لهم

من لامية العرب للشنفري في الاباء

أقيموا بَني أمّي ، صُدورَ مطيّكم ... فإني الى قوم سِواكُم لأميلُ
وفي الأرضِ منأى للكريمِ عن الأذى ... وفيها لِمَنْ خاف القِلَى متحوَّل
لعمرُك ما بالارضِ ضيقٌ على امرئٍ ... سَرى راغباً أو راهبا وهو يعقِل
(هنا يذكر الشاعر الشريد أن أصدقاءه من وحوش الصحراء ولكنها تكتم سره ولا تخذله) .
وإن مُدَّت الأيدي إلى الزادِ لم أكن ... بأعجلهمْ ، إذ أجشعُ القومِ أعجلُ
وماذاك الابسطةً عن تفضُّلٍ ... عليهِمْ ، وكان الافضلَ المتفضل
أديمُ مِطالَ الجوع حتى أميتَهُ ... وأضربُ عنه الذِّكرَ صَفحا فأذهل
وأستفُّ تُرْبَ الارضِ كي لا يُرَى لهُ ... عليَّ من الطَّوْل امرؤٌ متطوِّل
ولولا اجتنابُ الذام لم يُلفَ مَشربٌ ... يعاش به الا لدَيَّ ومأكلُ
ولكنَّ نفساً مُرَّةً لا تُقيم بي ... على الضَّيمِ الا رَيْثَما أتحوَّلُ
(اخترنا هذه الابيات لانها مأنوسة الالفاظ والمعاني ، والقصيدة تزيد على الخمسين بيتا)



تونس :
علم الإجتماع .. هل هو علم استعماري ؟!
الجزائر :
زيادة تعميم "العربية" فى قطاعات جديدة .

بقلم : رشيد خشانة

نحرص فى « العربى » على ان يكون كتّابنا من جميع اقطار الوطن العربى . . لهذا فاننا نرجو ان تكون هذه الرسالة الاولى من مراسلنا فى تونس الذي يقوم بتغطية النشاطات الثقافية فى اقطار المغرب العربي ، فاتحة خير لانتاج متواصل من تلك الاقطار .

تونس

ندوة من أجل : علم اجتماع عربي

كان أهم حدث ثقافي شهدته تونس في شهر كانون الثاني (يناير)هو ندوة(من أجل علم اجتماع عربي) نظمها المعهد العالي للتنشيط الثقافي بالتعاون مع المجلس القومي للثقافة العربية ، ومركز دراسات الوحدة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وحضرها نحو أربعين من علماء الاجتماع العرب . .

وتمت الندوة في أجواء البحث عن أدوات معرفية عربية في ميدان العلوم الاجتماعية حتى أن أحد المشاركين ذكّر بقول اميل دوركايم في مجلته عام ١٩١٥ . (كما أن نهر السين يفصل باريس الى باريس شمالية وباريس جنوبية ، فإن البحر الابيض المتوسط يفصل فرنسا الشمالية عن فرنسا الجنوبية وذلك تدليلا على أن علم الاجتماع ولد ونما كعلم استعماري) وانه من واجب العرب تخليصه من هذه الخلفية الاستعمارية العنصرية لاستخدامه في تنمية المجتمع العربي . وبلغ الامر بأحد علماء الاجتماع الى حد التساؤل عن جدوى بقاء علم الاجتماع (فنحن ان ألغيناه تماما لن يؤثر ذلك على المجتمع بأي وجه من الوجوه) . . .

الا أن الرأي الذي ساد في الندوة انتهى الى فكرة ايجابية تقول بأن أدوات المعرفة ، وتقنيات العمل في علم الاجتماع هي تقريبا واحدة في المجتمعات العالمية كلها ، ولكن مجال بناء علم اجتماع عربي يكمن في وضع اشكاليات تنبع من صميم همومنا القومية .

مجاميع شعرية جديدة

محمد العوني : مملكة القرنفل

صدرت للشاعر التونسي محمد العوني في (دار

ديميتير للنشر) مجموعة شعرية بعنوان (مملكة القرنفل) قدم لها الشاعر الفلسطيني عزالدين المناصرة . والعوني من شعراء الحركة الجديدة في تونس التي تعلن انتماءها للهموم العربية مع استمرار التصاقها بالهموم المحلية . ويتميز الشاعر في قصائد المجموعة السبع بنضج التجربة الفنية و (النضج الموسيقى) كما قال المناصرة . . .

وتشكل فلسطين و (الحرية) موضوعين رئيسيين في المجموعة ، وخصوصا قصيدتي (مملكة القرنفل) و (مروان الحاج موسى) التي كتبها الشاعر على إثر استشهاد صديقه مروان (الطالب الفلسطيني في الهندسة) الذي تطوع للدفاع عن المقاومة في لبنان .

سوف عبيد : ـ امرأة الفسيفساء

ـ نوارة الملح

وصدرت أيضا للشاعر سوف عبيد ـ وهو من الشعراء الذين برزوا في السبعينيات ـ مجموعتان شعريتان هما : (امرأة الفسيفساء)الصادرة عن دار الرياح الاربع ، و (نوارة الملح) الصادرةعن دار ديميتير .

وفي كلتا المجموعتين يضع الشاعر قدما ثابتة في مجال الابداع والتفرد ، ويصوغ لغته الشعرية المميزة فيتخطى التجربة الغضة التى ضمنها مجموعته الاولى (الأرض عطشى) . . .

ومن أبرز خصائص الكتابة الشعرية عند سوف عبيد حضور الارث الشعري العربي في قصائده ، بشكل يجعله منصهرا في الحداثة ، فهو يستخدم ألفاظا وصورا قديمة ويلبسها ثوبا حديثا ويدمجها في سياق شعري معاصر . .

علي دب : تعجلت الفرح

علي دب من الشعراء التونسيين الذين نضجت تجربتهم منذ السبعينيات ، وهو في كل دراساته النقدية وقصائده الشعرية يمتاز عن سائر الشعراء بتوهج النفس القومي المنساب في ثنايا شعره ، وخصوصا قصائد (شمعة للقتيل) و (مرثية القمر) و (صولة البار) . .

وفي مجموعته الجديدة (تعجلت الفرح) الصادرة عن دار الرياح الاربع يؤكد علي دب مجددا انتماءه العربي ، ويمضي مرسخا تجربته الابداعية باحثا عن التجديد الجمالي . .

الجزائر

تصوير الفيلم التلفزيوني

(آثار وفنون اسلامية)

تم خلال الاسابيع الأخيرة تصوير الجزء الخاص بالجزائر من العمل التلفزيوني الجديد (آثار وفنون اسلامية) في مدينة تلمسان ، وهذا العمل مستمد من فكرة المخرج الاردني عدنان أحمد الرمحي الذي أخرج عدة مسلسلات منها (الحقيقة والخيال) . ويتناول الجزء الخاص بالجزائر من هذا العمل ثلاثة مواضيع رئيسية هي دخول الاسلام الى الجزائر ، وفتراته الزاهية في عصور الحماديين والمرابطين والموحدين والزيانيين ، ومكانة تلمسان باعتبارها عاصمة قديمة للمغرب الاسلامي ، وأخيرا تاريخ مدينة الجزائر . . .

ومعلوم أن هذا العمل التلفزيوني « آثار وفنون اسلامية » هو إنتاج عربي سيتم تصويره في ١٦ بلدا عربيا واسلاميا وسيضم ٦٠ ساعة من التسجيلات ، ومن المنتظر أن يعرض في ٢٢ مؤسسة ومحطة تلفزيون عربية . . .

إحكام خطة التعريب

تستمر جهود التعريب في الجزائر ، وتعد سنة ١٩٨٥ سنة واعدة بتعميم استخدام اللغة العربية في قطاعات جديدة ، ويشرف على تنسيق حملة التعريب وتخطيطها جهاز وطني هو (المجلس الاعلى للغة الوطنية) وقد عقد المجلس أخيرا اجتماعا مهما للمسئولين عن تعميم استخدام اللغة العربية في القطاعات الرئيسية ، وذلك لمزيد الاحكام والتنسيق في خطة التعريب الوطنية . كما عقد المجلس الاعلى للغة الوطنية اجتماعا مشتركا مع وزارة الداخلية لتقويم عملية تعميم استخدام اللغة العربية في الوزارة واعداد خطة العمل في هذا المجال لسنة ١٩٨٥ ، ويعد هذا الاجتماع الاول من نوعه ، ستتلوه اجتماعات مشتركة مماثلة مع بقية الوزارات ، مما

يؤكد أن تعريب الادارة ومؤسسات الدولة مستمر بشكل مكثّف . .

كتاب جديد عن الحركة الوطنية الجزائرية

يتابع د . حميدي عميراوي ، أستاذ التاريخ في جامعة قسنطينة الجزائرية ، في كتابه (جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري) تطور الكفاح الوطني ضد الوجود الفرنسي في فترة مهمة من تاريخ الجزائر المعاصر وهي بداية الاستعمار . ويفسر د . عميراوي عنايته بهذه الفترة بأن (الدراسات الوطنية سكتت عنها ، خلافا للدراسات الفرنسية التي أشارت اليها بشيء من الغموض والتزييف) ، ويؤكد أن معظم ماكتب عن هذه الفترة كان يعبر عن وجهة النظر الفرنسية . .

ويركز الباحث كتابه على ثورة زغاية سنة ١٨٦٤ ، وعلى عرض مجموعة من الوثائق النادرة عن تلك الفترة والموجودة خارج الجزائر ، أما من حيث تسلسل الكتاب فهو يبدأ بمختصر عن النظام الادراي والاجتماعي في قطاع الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني ، محللا معالم النظام الاداري (لبايليك) الشرق الذي ينقسم الى اربعة أقسام تديرها السلطة المركزية بمعاونة (رجال المخزن) (الموظفون) ، ثم يشرح البنية الاجتماعية ويقسمها الى مجتمع مديني يتكون من طبقة ارستقراطية حاكمة وأغلبية من الاهالي المحكومين ، ومجتمع ريفي يجمع بين سكان السهول وسكان الجبال . . . .

ويبحث د . عميراوي في نهاية هذا القسم أنواع الملكية التي كانت سائدة في الشرق الجزائري آنذاك ، ووسائل خدمة الارض وأنواع الضرائب التي تمول الخزينة ، وفروع الصناعات التي كانت قائمة ومسالك التجارة خصوصا مع مدن المغرب العربي الاخرى . ثم يخلص في القسم الثاني الى تحليل جوانب من الحياة الثقافية في أواخر العهد العثماني وأوائل العهد الاستعماري الفرنسي ، مشددا على اهمال الحكام للثقافة ، وانصرافهم الى (حفظ الامن في البلاد وحماية الحدود وجباية الضرائب) . وفي بداية الاستعمار تغير هذا الوضع بمجرد أن أحكم الفرنسيون قبضتهم على المدن الرئيسية فالمستعمرون - كما يقول المؤلف - (لم يأتوا حاملين السلاح فقط ، وانما جاءوا أيضا حاملين وسائل الاعلام اذ أدخلوا المطبعة والصحيفة والكتاب والمدرسة . . . . ولكن هذا الاعلام كان بلباس جزائري - أوروبي وعقل أوروبي ، وكان يهدف الى تكوين جسم أوروبي في الجزائر واحلاله محل الجسم الجزائري العربي المسلم . . . .

ثم يرصد الباحث مراحل الاحتلال التي اعقبت السيطرة على مدينة الجزائر ، وأقوال الجنرالات الفرنسيين حول ضرورة الاحتلال الشامل لكامل التراب الجزائري ، وخاصة قسنطينة والشرق الجزائري ، وبين تزامن الاجتياح العسكري مع الهجرة الفرنسية الى الجزائر ، وأثبتت جدولا يؤكد بداية هجرة الاوروبيين وخاصة الفرنسيين الى الجزائر بعد الاحتلال . .

وحلل د . عميراوي ردود الفعل الوطنية على الاحتلال وقسمها الى ثلاثة أصناف :
أ - المقاومة العسكرية التي وجدت صعوبات كبيرة جعلتها محدودة التأثير . . . - ب - النخبة السياسية التي اعتمدت اسلوب العمل السياسي ومن أشهر رموزها حمدان خوجة وأحمد أبو ضربة - جـ - الطرق الدينية التي حاربت الاستعمار في البداية لكنه احتواها في مرحلة لاحقة . .

ثم تابع الباحث السياسة الفرنسية في الشرق الجزائري بعد استكمال الاحتلال ، وخصوصا ظاهرة الاستيلاء على الأراضي بعد صدور قرار ١٩٤٨/٩/١٩ ، وتغيير الأنظمة الادارية والمدنية ، والصراع بين نابليون الثالث والمستوطنين الفرنسيين الذي شبهه المؤلف بصراع الجنرال ديغول مع غلاة الاستعمار بين أيام حرب التحرير الجزائرية . . .

ولعل أهم اضافة يقدمها هذا الكتاب هو كشفه لثورات مغمورة مثل ثورة زغاية ، وعرضه وثائق هامة

أطروحة عن نظرية الشعر عند الفلاسفة الاسلاميين

(نظرية الشعر عند الفلاسفة الاسلاميين) هو موضوع أطروحة الدكتوراه التي تقدم بها الطالب

الاخضر جمعي الى جامعة الجزائر باشراف د . محمد حسين الاعرجي . وناقشت الاطروحة لجنة من الاساتذة رأسها د . أبو العيد دودو . .

تتعرض الرسالة الى آراء أربعة فلاسفة اسلاميين في الشعر هم : الكندي وابن سينا وابن رشد والفارابي ، أما الفلاسفة الآخرون فلم يتطرق الباحث لأرائهم بسبب (عدم نضجها) . وكانت آراء الفلاسفة الاربعة متثورة في كتبهم ويغلب عليها طابع التأثر بفن الشعر عند أرسطو ، وذلك اضافة الى صعوبة أخرى متمثلة في قلة الدراسات السابقة حول هذا الموضوع باستثناء اشارات في كتاب د . شكري عياد (نظرية أرسطو في الشعر) ودراسة عصام القصبجي عن نظرية المحاكاة . . .

وقسم الاخضر جمعي رسالته الى خمسة فصول كالآتي :

الفصل الأول : ماهية الشعر وحده ، الفصل الثاني : ماهية المادة والصورة ، الفصل الثالث : وظيفة الشعر ، الفصل الرابع : دراسة الجزء الاول من (وسائل المادة والصورة) ، الفصل الخامس : تصور الفلاسفة لوحدة القصيدة . . .

وناقش د . جبلي عبد الرحمن الرسالة فأكد على تأثر الطالب بأفكار أرسطو ، فلم يشر الى نسبيتها ومحدوديتها بعد أن تخطتها البحوث والنظريات الحديثة ، استيطيقية كانت أو منطقية ، وخصوصا نظريات الخيال والاهتمام بالمبدع لدى الرومانسيين ، ومنطق هيجل الذي يقبل وحدة التناقض . . .

أما الدكتور دودو فعاب على صاحب الاطروحة اعراضه عن الرجوع الى المراجع الاجنبية ، ما عدا مرجعين بالرغم من أن المستشرقين كتبوا كثيرا عن ابن رشد مثلا ، كما عاب عليه أيضا عدم وضع الفلاسفة في عصورهم وفي بيئاتهم الثقافية والاجتماعية . . .

ومن أهم النتائج التي توصل اليها الباحث أن آراء الفلاسفة في الشعر لم تخرج عن كتابات النقاد القدامى ، والافكار التي صاغوها عن الشعر ، وان الفلاسفة حددوا حقيقة الشعر في مواجهته لفكرة المحاكاة اليونانية بصوغ فكرة التخيل ،وأن مفهومهم للشعر غلبت عليه الرؤ ية الاخلاقية .

ونالت هذه الرسالة في الأدب العربي درجة مشرف جدا . . .

تجارب قصيرة وقضايا كبيرة

كتاب الناقد عامر مخلوف (تجارب قصيرة وقضايا كبيرة) ، الصادر عن المؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب يتناول بالدرس آثار كبار الروائيين والقصاصين الجزائريين في السبعينيات مثل عبد الحميد بن هدوقة ، وجيلالي خلاص ، وطاهر وطار ، والحبيب السائح ، وأحمد منور وسواهم . . .

وتعود أهمية هذه الدراسات النقدية التي يتضمنها الكتاب الى أن مخلوفا هو مجامل لجميع الادباء الذين كتب عنهم ، فهو أيضا من كتاب السبعينيات ومقياسه في الحكم على المؤلفات التي درسها مقياس مزدوج : مضموني وجمالي ، فمن حيث المضمون يشدد الناقد على ضرورة الالتصاق بالواقع وبما يسميه (سنوات التحولات الديمقراطية) (في السبعينيات) ، أما من حيث الجمالية فهو يشترط في العمل الروائي أو القصصي الناجح توفر جوانب فنية متبلورة ومكتملة . . .

وعند التطبيق يخلص عامر مخلوف الى نتيجة مؤداها أن « طاهر وطار » هو صاحب التجربة الاكثر كثافة والاغزر عطاء ، الا أنه يقسم هذه التجربة الى نوعين متفاوتين من حيث القيمة ، فوطار يكون مبدعا ومتألقا وعميقا عندما يكتب عن تجربة الحرب التحريرية التي عاشها ، ولكنه يكون دون ذلك حين يكتب عن التجربة القريبة . .

واذا كان النقاد قد رحبوا بصدور هذا الكتاب ، فانهم عابوا على مؤلفه ، مع ذلك ، قلة تعمقه في دراسة الجوانب الفنية والجمالية للآثار التي تصدى لها النقد ، وتركيزه على احصاء الاخطاء النحوية والاسلوبية في تلك الآثار ، لذلك اعتبروا (نقده) مجرد سقط للمواقف الايديولوجية في الروايات والقصص من دون تقويم حقيقي لاسهام كل عمل في اثراء التجربة الابداعية الجزائرية . □

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الصناعات .. في الفضاء

العلم والخيال العلمي في تقارب مستمر متواصل ، وقد تداخلا في المدة الأخيرة حتى أصبحا شيئا واحدا أو كادا . . . وليس أدل على ذلك من حرب النجوم التي مازالت الموضوع المحبب لهواة أشرطة الفيديو من الفتيان والاطفال ، وقد أصبحت هذه الحرب الهدف المحبب للرئيس ريجان ، بل قل البرنامج الباهظ التكاليف الذي أحتضنته وزارة الدفاع الامريكية ، ورصدت له المخصصات الضخمة . . . ويصدق هذا أيضا على مصانع الفضاء . . . المنشآت الصناعية التي تقام في الفضاء ، حيث ينعدم الوزن تقريبا ، وحيث يتيسر انتاج بعض السلع بقدر من الأثقال يتعذر على سطح الأرض حيث الجاذبية والوزن . .

وتأتي العقاقير على رأس تلك السلع . . .

عقاقير لمعالجة السرطان بخاصة . . وتبلغ الرساميل التي رصدتها الشركات المتخصصة لانشاء مصانع الفضاء التي تنتج مثل تلك العقاقير حوالي ٢٧٠٠٠ مليون دولار . .

أما المصانع التي ستقام في الفضاء لانتاج الزجاج النقي الصافي الخاص بالبصريات فقد رصدوا لها ١١٥٠٠ مليون دولار . . وقل مثل ذلك في مصانع المنتجات التي تتطلبها صناعة الالكترونيات ، وقد بلغ مجموع رساميلها ٣١٠٠ مليون دولار . . . والمقرر أن يتم انشاء هذه المصانع جميعا في الثمانينيات والتسعينيات وقبل حلول عام ٢٠٠٠ على كل حال . وغني عن البيان أن الشركات المعنية لايمكن أن ترصد الرساميل الضخمة التي ذكرنا ، مالم تكن قد فرغت من مرحلة التجارب ، وأيقنت من جدوى الصناعة التي تعتزم انشاءها في الفضاء . .

ولعل أولى تلك التجارب هي الكرات الصغيرة التي لايزيد حجمها على حجم كرات الدم الحمراء الا قليلا ، التي عمدوا الى صنعها في الفضاء على سبيل التجربة ، وذلك على متن المكوك شالنجر ، في احدى رحلاته في شهر ابريل سنة ١٩٨٣ ، فقد صنعوا ١٠٠٠ كرة تقريبا ، ويبلغ قطر الواحدة منها ١٠ ميكرونات بالضبط . . وطرحت العينات في الأسواق ، فثبتت كفاءتها على الأجهزة العلمية والطبية ، وعلى قتل خلايا السرطان في كثير من الحالات .. لاعجب اذ أصبحت كرات الفضاء هذه تصنع حاليا على نطاق واسع ، ولأغراض البيع في الأسواق . . وسيبلغ ثمن الكرة الواحدة منها ـ ٣٥٠ ـ ٤٠٠ دولار !

ونذكر من تلك التجارب التجربة التي أجريت على متن المكوك دسكفر في رحلته التي قام بها في أواسط شهر نوفمبر الماضي . . . ١٩٨٤ . . . وذلك لصالح شركة مينوسوتا للتعدين والانتاج ،



بعض علماء شركة ٣ م يجهّزون المفاعل الكيماوي الذي حمله مكوك دسكفري الى الفضاء في شهر نوفمبر ١٩٨٤

الشهيرة باسم MS 3 وقوام تلك التجربة ٦ كرات من الفولاذ الذي لايصدأ وبحجم كرات القدم . . . وكانت تلك الكرات تحمل من المواد الكيماوية ما أعد للاتحاد الكيماوي في الفضاء ، وحيث تنعدم الجاذبية ، وذلك بقصد انتاج كريستالات صافية لاسبيل الى مضاهاة نقائها على سطح الأرض . . وتنوي الشركة المذكورة اجراء ٧٢ تجربة في ذلك القبيل حتى أواسط التسعينيات ، وذلك بتكاليف كبيرة رصدت لها الشركة ٨٠٠٠ مليون دولار .

ونذكر أيضا التجارب التي تقوم بها شركة ماكدونالد دوجلاس ـ المختصة بمنتجات الفضاء ـ بالتعاون مع شركة جونسون الشهيرة بالصناعات الطبية . . والأمل معقود على أن تتكلل هذه التجارب الأخيرة بالنجاح ، في صنع خلايا قادرة على صنع الأنسولين ، وذلك في مستقبل قريب جدا . . في السنة القادمة ١٩٨٦ □

المدمنون جنسيا

طالما ركز العلماء والاطباء جهودهم على الذين يعانون من البرود أو الضعف الجنسي من النساء والرجال ، واهملوا الذين يعانون من طغيان الغريزة الجنسية وسيطرتها على حياتهم كلها . .

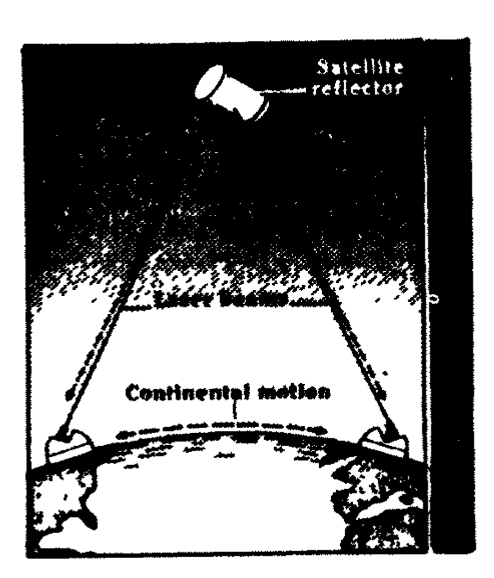
وقد تبين للدكتور باترك كارنس Carnes من علماء النفس في جامعة مينا بوليس ، أن الكثيرين من ضحايا الغريزة الجنسية انما هم من المدمنين . . أي أن الادمان ليس وقفا على النيكوتين والهيروين الخ . وانه في مجال الممارسات الجنسية أيضا . فالمدمنون الجنسيون يجدون الراحة النفسية في تلك الممارسات ، ويستمدون الشعور بالقيمة الذاتية والاحساس بالسكينة . . ولكن هذه المشاعر لاتلبث أن تعود اليهم عقب فراغهم من الممارسات فيعودوا بدورهم الى الممارسات وهكذا دواليك . .

الانجراف القاري

المشكلة في بعض النظريات العلمية هي في أنك مضطر للتسليم بها ، بالرغم من عدم توافر الأدلة التي تثبتها . . ولأنك لا تملك دليلا أو نظرية ضدها . . ويصدق ذلك بخاصة على نظرية زحزحة القارات أو انجرافها . . . وهي النظرية المعروفة والتي نشطت من جديد في السنوات الأخيرة . .

على أن التطورات العلمية الحديثة أفسحت المجال لاقامة الدليل على صحة هذه النظرية . . بل دليلين اثنين لادليلا واحدا . .

الأول بواسطة أشعة الراديو التي التقطها تلسكوبان فلكيان من تلسكوبات الراديو . . موجهان الى كوزار واحد معين . . فقد اكتشف العلماء العاملون في مركز جودارد التابع لناسا (Nosa) اكتشفوا أن الفارق الزمني في وصول اشارات الراديو الى كل من التلسكويين المقامين في شمال أمريكا وشمال أوروبا هذا الفارق يختلف على مر السنين . . وأثبتت لهم الحسابات التي أجروها أن



القارتين تتباعدان بمعدل ٦ , في البوصة كل سنة .

أما الدليل الثاني فيعتمد على أشعة الليزر التي أطلقت من قمر صناعي في الفضاء الى نقطة معينة في استراليا وفي جزر هواي . . وأجروا الحسابات فثبت لهم أن هذه الجزر والقارة المذكورة تتقاربان بمعدل ٢,٧ بوصة سنويا . . ولكنهما تبتعدان بدورهما وفي الوقت نفسه عن أمريكا الجنوبية . □

رموش طولها ٢ سم

اكتشف الطبيبان أن رموش اثنين من نزلاء مستشفى لاجونا بيتش Lagune Beach في كاليفورنيا ، تطول وتمتد باستمرار حتى اضطروا الى قص تلك الرموش وقد بلغ طول بعضها ٥ , ٦ سنتميتر . ويبلغ من سرعة نمو تلك الرموش انهم اضطروا لقصها مرة كل اسبوعين . . والغريب ان تلك الرموش لم تكن بالغة النمو فحسب . . . ولكنها كانت مجعدة وسميكة . . وبحث الطبيبان فى سر تلك الظاهرة فاكتشفا ان المريضين يعانيا من اورام سرطانية معينة . . ويتناولان أحد انواع الانترفرون هو (Leukocyte Ainterferon) علاجا لتلك الاورام وتحت اشراف الطبيبين الدقيق . . وثبت للدكتور كنت فون Foon والدكتور جرارد دوفرDoupher أن الانترفرون المذكور هو سبب تلك الظاهرة المباشر . . وتداركا لما قد يترتب على اكتشافها هذا من نتائج في صناعة التجميل فقد قالا أنّ المريضين يتناولان الانترفرون بمقادير كبيرة . . وتكلف المستشفى مبالغ هائلة . . ولولا ذلك لما كانت الظاهرة □



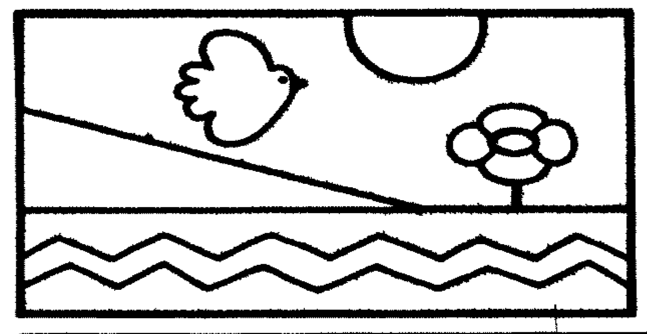
كريستوفر شولز (Sholes)
مخترع الآلة الكاتبة ١٨١٩ - ١٨٩٠

بدأت قصة الآلة الكاتبة في بريطانيا سنة ١٧١٤ ، حين منحت الملكة آن براءة اختراع آلة كاتبة لرجل انجليزي يدعى هنري مِلْ . . الا أن ذلك الاختراع بقي طي المجهول ولا يعرف عنه شيء . . . ومضت مائة عام أو تريد قبل أن تمنح البراءة الثانية سنة ١٨٢٩ لمساح أمريكي اسمه وليم أوستن برت . . ولكن برت هذا عجز عن تطوير اختراعه بسبب عدم توفر المال . . ومضت أربعة أعوام على ذلك حين نجح الفرنسي (زافيير بروجان) في صنع آلة كاتبة تستطيع على حد قوله : « مضاهاة الخطاطين من حيث سرعة الكتابة . . . . ! » . . على أن تلك الآلات جميعا لم تعد كونها محاولات بدائية لم يكتب لها البقاء . . فالآلة الكاتبة التي نعرفها في الوقت الحاضر انما ابتكرت وطورت في الولايات المتحدة . . فهي اختراع أمريكي صميم ، يعود الفضل الأكبر في استكماله الى كريستوفر شولز .

وكانت نقطة البدء في أواسط القرن الماضي وفي دار الجريدة التي امتلكتها شولز وشريكه سوله . . . فقد فكر الرجلان في صنع آلة ترقيم للجريدة ومضيا بجريان المحاولة بعد الأخرى . . حتى رآهما رجل ثالث هو جلدين (Glidden) فشجعهما على مواصلة مساعيهما وعلى محاولة صنع آلة كاتبة بدلا من آلة ترقيم . . واستجاب الرجلان وتكررت محاولاتهما حتى بلغت ٥٢ محاولة . . ولم يكتب لهما النجاح الا في المحاولة الثانية والخمسين وذلك سنة ١٨٦٧ . . ثم سجلا اختراعهما في السنة التالية . . ولكن سوله وجلدين ما لبثا أن تخليا عن المشروع ، مشروع تطوير الاختراع واستثماره .

ومضى شولز في العمل على تحسين اختراعه . . ومضى في ذلك بضع سنوات . . . ثم اتفق مع توماس اديسون بقصد تطوير آلته لتصلح للاستعمال في التلغراف . . . . ولما عجز شولز عن احراز ترجمة مورس (شيفرة التلغراف) بالسرعة المطلوبة ، عمد الى بيع اختراعه الى رمنجتون وذلك سنة ١٨٧٣ مقابل (١٢٠٠٠) دولار . . وما لبث رمنجتون أن باع الآلة الى مؤسسات صناعية مستقلة . . نظرا لقلة موارده وبالتالي لفشله في صنع الآلة على نطاق واسع . . كان ذلك سنة ١٨٨٦ . . أي قبل نجاح تلك المؤسسات في مهمتها بنحو ربع قرن . . ذلك ان استكمال الآلة الكاتبة وانتاجها على نطاق تجاري وتصديرها الى الخارج لم يبدأ الا سنة ١٩٠٩ .

وتجدر الاشارة الى أن العقبة التي عرقلت تطوير الآلة الكاتبة كانت في ترتيب الحروف . . فلطالما تشابكت الحروف وتشابكت القضبان التي تحملها . . وتوقفت الآلة عن العمل ، ووجدوا الحل لتلك المشكلة في تحديد الحروف الأكثر استعمالا وابعادها بعضها عن بعض ما أمكن ، وهكذا ظهر ترتيب كورتي (QWERTY) للحروف الانجليزية . □



سلامة البشرية في سلامة البيئة

الحيتان . . . هل تنتحر أم ماذا ؟

من الظواهر التي حيرت العلماء ظاهرة انتحار الحيتان . . فلطالما اقدمت جموع كبيرة منها على الخروج من أعماق البحار الى الشواطىء الضحلة التي يتعذر عليها العوم فيها . . فتصطدم بقاع الشاطىء ويضغط وزنها الثقيل على صدرها بحيث يستحيل عليها التنفس . . فتنفق . . فكيف تضل الحيتان سبيلها في البحار . . وهل هي تسعى الى حتفها طواعية كما يظن البعض . . ؟

لاشيء من ذلك . . فهي تضل سبيلها مكرهة غير مختارة . . ذلك انها مفطورة على مجس بيومغناطيسي . . يوجهها وهي تمخر عباب البحر ويحسن توجيهها . . فهو يجنبها على الاقل السباحة في مياه الشواطىء الضحلة . . ولكن بعض الشواطىء تقذف موجات مغناطيسية شاذة . . ومن شأن هذه الموجات أن تعطل عمل المجس الموجود في الحوت .

ذلك هي النتيجة التي توصل اليها العلماء في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا . . وذلك بعد دراسة ٢١٢ حادثة من حوادث ضلال الحيتان . . وقدر رفع تقرير بهذه الدراسات الى الاتحاد الجيوميترانى الامريكى فى مؤتمره فى مطلع ديسمبر سنة ١٩٨٤ . □

قبرص . . تتلف البيئة العالمية

اشتهرت قبرص في الماضي القريب بتصدير الحمير . . واشتهرت في الحاضر بمصايفها التي يؤمها الكثيرون طلبا للراحة والاستجمام . . . ولكن لجزيرة قبرص شهرة أخرى ، ومن نوع آخر ، أخذت تكتسبها في السنوات الأخيرة وفي منأى عن الأنظار . . . تلك هي القضاء على صنوف من الطيور بكاملها والعمل على اتلاف البيئة . . البيئة العالمية ككل . . لقد تم ذلك عن غير قصد ، ولا ريب . . وصدر عن المواطنين - لا عن الحكومة . . ولكن المسؤولية انما تقع على الحكومة القبرصية بلا شك ، مادامت قبرص تفتقر الى القوانين والنظم البيئية الكفيلة بوضع حد لتمادى الصيادين في ممارسة هوايتهم وانقاذ عالم الطيور من الدمار الذي يتهدده . .

ذلك أن قبرص هى احدى محطات ثلاث تقف فيها الطيور المهاجرة القادمة من أوروبا الى أفريقيا . . والعائدة من القارة السوداء الى الشمال . . تقف فيها ملايين الطيور كما تقف فى المحطتين الأخيرتين : بحر قزوين والبحيرات العظيمة عند الحبشة . . ولا تلبث تلك الطيور أن تستأنف طيرانها بسلام فى المحطتين الأخيرتين . . ولكنها تعجز عن ذلك فى قبرص . . . حيث تلقى حتفها على يد الصيادين لدى هبوطها على أرض الجزيرة . .

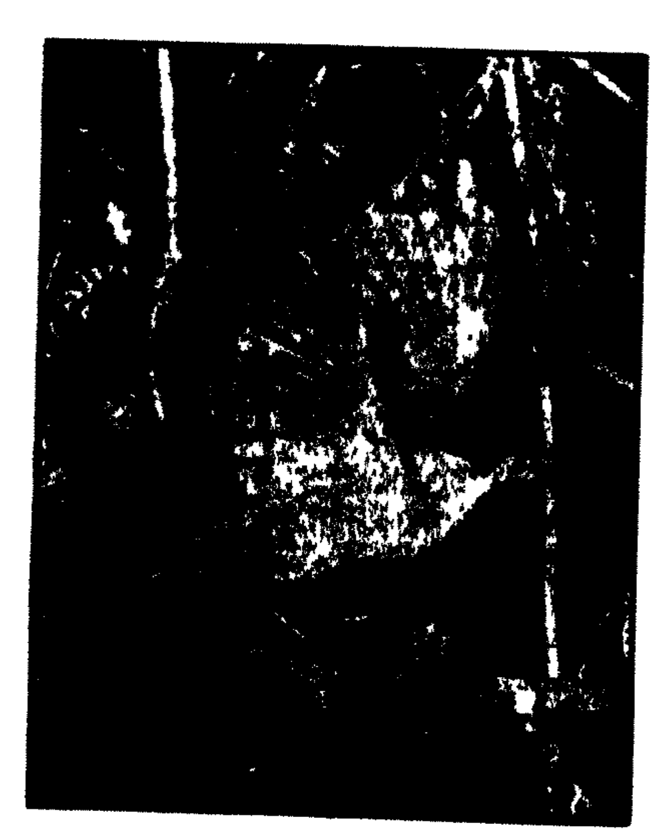
وبنادق الصيد هى الطريقة المألوفة فى صيد تلك الطيور . . ولكنها لم تعد الطريقة المفضلة فى قبرص . . فقد وجد صيادو الجزيرة فى طلاء أغصان الأشجار بالمواد اللاصقة الطريقة الأسهل والأرخص والأكثر مردودا . . . ووجدوا - فيما يسمونه بالشباك الضبابية (Mist Nets) الطريقة المثلى الكفيلة بصيد تلك الطيور على نطاق واسع ، بل قل حصدها حصدا والحكم على الكثير من صنوفها بالفناء . ويقدر عدد الطيور التى يجرى صيدها فى قبرص بالطريقتين الاولين بخمسة ملايين طير فى السنة أما عدد ما يجرى حصده منها بالاسلوب الثالث فقد ارتفع الى ٢٠ مليونا سنويا فى الأعوام الأخيرة . وقد ترتب على ذلك انقراض بعض صنوف الطيور . . . نذكر منها فصيلة (القبعة السوداء) على سبيل المثال ، وطيور القبعة السوداء هذه طيور سويدية صغيرة . . . يروق للقبارصة أكل لحمها . .

ويعجب المرء أكثر ما يعجب للشباك الضبابية ، التى انتشرت فى شتى مناطق قبرص ، حتى بلغ عددها ٤٠ر٠٠٠ فى منطقة بارالمنى وحدها . . . ويبلغ طول الشبكة الواحدة منها ١٠ -١٢ مترا . . ولا تصنع هذه الشباك فى الجزيرة . . فهى مستوردة ، وقد بلغ ما استورده القبارصة منها ٢٠ ميلا . . .

ويؤكد علماء الطيور القبارصة أن نسبة ما يجرى صيده من الطيور المهاجرة عبر قبرص تبلغ ٥٠ -٧٥٪ من تلك الطيور . وقد جاء فى التقرير الذى أعده فرع الطيور المهاجرة التابع لمجلس حماية الطيور . . وهو من المجالس التابعة للمنظمة الدولية . . جاء فى هذا التقرير أن قبرص تحتفظ بالرقم القياسى بين بلدان البحر المتوسط قاطبة . . من حيث مجموع ما تصيده من الطيور المهاجرة فى الميل المربع الواحد . . .

وقد صدرت تقارير ودراسات أخرى عديدة . . دولية وقبرصية . . وحذرت كلها ودون استثناء من مغبة استمرار المأساة البيئية الخطيرة فى قبرص . . ولكنها لم تلق اذنا مصغية من الحكومة القبرصية . . . فقد استمرت هذه على منح رخص الصيد كالسابق ومنح رخص استيراد الشباك الضبابية - كالسابق أيضا . . . علما بأن اتفاقية بيرن لحماية الحياة البرية تحظر استعمال الشباك المذكورة . . . وان حكومة قبرص وعدت مجلس أوروبا بتحريم استعمال تلك الشباك . . . ولكن دون تنفيذ .

لاعجب اذن إن أقدم المجلس الدولى لحماية الطيور على حث شتى الحكومات ووكالات السياحة (أعضاء هذه الوكالات = ٤ ملايين عضو فى أوروبا وحدها) . . حثها على مقاطعة قبرص سياحيا . . بقى أن نذكر أن منطقة بارالمنى ، وهى المنطقة الأولى فى حصد الطيور المهاجرة - طيور ألمانيا واسكندنافيا بالذات - هى أيضا المنطقة السياحية الأولى فى قبرص . . □



هل حاولْتَ الاقلاع عن التدخين ، وفشلت . . ؟
وهل ترغب في مواصلة التدخين وترغب حقا في تجنب ما يمكن تجنبه من اضراره ومخاطره ؟
عليك إذن بالتخلي عن الثلث أو الربع الأخير من السيجارة . . بذلك تضمن تفادي الكثير من تلك الاضرار والمخاطر ، دون الشعور بأية خسارة أو تضحية . .



١ ـ الجزء الأول من السيجارة يكاد يكون عديم الضرر . . ذلك أن معظم محتوياته الضارة . . من نكوتين وقطران وغاز أول اكسيد الكربون الخ . . لاتصل الى رئتيك بل تعلق في تبغ السيجارة والفلتر .

٢ ـ ويبدأ الأذى لدى مباشرتك تدخين الجزء الثاني من السيجارة . . إذ تبدأ تلك المحتويات المؤذية في التسرب الى رئتيك . . ولكنها لا تتسرب كلها بل يبقى بعضها عالقا في الجزء الاخير من السيجارة .

٣ ـ وهكذا يصبح الثلث أو الربع الأخير من السيجارة مشبعا بالضرر والأذى . . تتكثف فيه محتويات الجزئين الأول والثاني من نكوتين وقطران وأول اكسيد الكربون وما الى ذلك ، وتتراكم فيه تلك السموم وتتكدس فوق ما يخصه منها أصلا .

إذن : تخل عن الثلث أو الربع الأخير من السيجارة تتجنب الكثير من اضرارها .

غرامة ١٠٠ دولار يدفعها المدخن

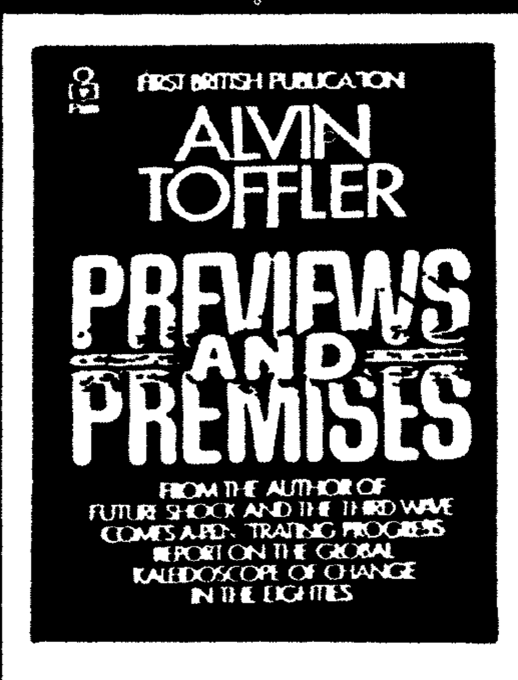
لعله الفندق الوحيد من نوعه في العالم كله . . فهو يرفض استقبال النزلاء اذا كانوا من المدخنين . . ويطالبهم على كل حال بالتعهد بعدم التدخين أثناء اقامتهم في الفندق . . وبدفع غرامة ١٠٠ دولار اذا هم أخلوا بتعهدهم لسبب أو لآخر . . .

ويقع هذا الفندق بالقرب من مدينة دالاس في ولاية تكساس . . وهو صغير الحجم بالمقاييس الأمريكية ، وهو موتيل لااوتيل ، ولا يزيد عدد غرفه على ١٣٤ غرفة . . الا أنه فندق معروف(ومحبب الى الذين نزلوا فيه طوال الثلاث سنوات التي مضت على تأسيسه ، وقد جاوز عددهم ٥٠,٠٠٠ نزيل . . . لقد أنشأه المدعو لندون ساندرز (٥٥ سنة) الذي يعد من ألد أعداء التدخين ، ذلك أن التبغ قضى على أبيه ، وفتك بعدد من أعز أصدقائه . . .

ويبلغ من اقبال الناس على هذا الفندق أن حذت حذوه موتيلات أخرى في شتى مدن الولايات المتحدة ، الا أنها لم تحظر التدخين في كافة غرفها وقاعاتها ، وانما في بعضها وحسب . □

المؤسسات الاجتماعية وحاجات العصر

تأليف : آلفن توفلر



عرض : الدكتور أمين العيوطي

أصبح للتقنيات الحديثة دورها الواضح والأساسي في حياة الانسان . . . لكن هل من الممكن أن يبقى أمر التعامل مع هذه التقنيات ضمن صيغته البريئة والخارجية دون أن يصل الى تضاعيف الحياة الاجتماعية ويتغلغل في مفاصلها الاساسية ؟

عن هذا السؤال وغيره يجيبنا صاحب كتاب « الموجة الثالثة » . . .

كتاب الشهر

في هذا الكتاب يتناول (آلفن توفلر) بالتحليل والنقد سرعة التغير الاجتماعي واتجاهاته ، معتمدا على معلومات مستقاة من علم النفس والاقتصاد والتكنولوجيا والسياسة والسياسة الصناعية وفلسفة التاريخ . وهو يبدأ بافتراض ان المؤسسات الاجتماعية الحالية لا تلائم احتياجات العصر ، وضرورة تغييرها حتى تتجاوز الأزمنة المضطربة التي تنتظرنا .

ويجيب عن أسئلة حول امكانية بقاء المجتمع الانساني على أساس عدم المساواة والاستغلال ومستقبل العمالة والبطالة ، واستراتيجيات الدول الصناعية في مواجهة انهيار المجتمع الصناعي ، ومستقبل الرأسمالية والاشتراكية . وفي الاجابة عن هذه الأسئلة يثير (توفلر) أمورا تتعلق بالملكية والطبقية والسلطة السياسية والعنصرية في المجتمع المعاصر وفي مجتمع المستقبل .

الكتاب في الواقع استمرار لكتاب الصدمة المستقبلية (١٩٧٠) والموجة الثالثة (١٩٨٠) حيث تناول (توفلر) تزايد سرعة التغير الاجتماعي والتكنولوجي الذي جعل من العسير على الأفراد والمنظمات والمؤسسات ملاحقة وطرح فكرة أن الثورة الزراعية منذ عشرة آلاف سنة خلقت موجة من التغيير في المجتمع الانساني ، وأن الثورة الصناعية منذ ثلاثمائة سنة جلبت معها صراعا اجتماعيا وسياسيا ، وخلقت بذلك موجة ثانية من التغيير ، وأننا الآن نمر بمرحلة انتقالية جديدة صوب أشكال وعلاقات اجتماعية جديدة ، تقوم على أساس من اقتصاديات التكنولوجيا ، وهي ما يسميه بالموجة الثالثة . وهو لهذا يرى أن المؤسسات الاجتماعية الحالية قد عفا عليها الزمن ، وأننا بحاجة الى ثورة في أساليب تفكيرنا وتعاملنا مع السياسة والاقتصاد ، بل والحياة العائلية ، لأن نظم الأحزاب السياسية والمؤسسات الحكومية ومحور اليمين واليسار في السياسة أصبحت أمورا بالية في الأمم المتقدمة تكنولوجيا .

الانقلاب الاقتصادي :

لا يشخص (توفلر) الأزمة الاقتصادية الحالية على أنها أزمة اعادة توزيع الثروة ، أو ارتفاع معدلات الانتاج وانخفاضها ، أو مسئولية الدول العربية النفطية ، أو هجرة العمالة أو سوء الادارة ، أو عدم كفاية الاستثمارات ، أو غلبة الواردات اليابانية ، أو معدلات الفائدة ، مثل هذه التشخيصات لا تطابق الحقائق المعاصرة ، فاذا كان الكساد الاقتصادي الحالي ، شأن كساد الثلاثينيات ، قد ضرب الصناعات الأساسية ، مثل السيارات والصلب والنسيج والمطاط ، الا أنه قد صاحبه انفجار في صناعة الاليكترونيات والصناعات الفضائية والطاقات البديلة ، والتوازن الجغرافي السياسي والاتجاه نحو اللامركزية . ان ما يحدث هو اعادة بناء الأساس التقني الاقتصادي للمجتمع ، مما يدمر أسلوب الحياة الصناعية التقليدية ، ويحتاج الى نموذج اقتصادي جديد يحدد هوية العلاقات المتغيرة . فنحن نعيد بناء الاقتصاد لاننا نعيد بناء الحضارة ذاتها .

والأمة تتمثل في الاتجاه الى الاقليمية ، ففي حين اتجهت الثورة الصناعية من العمل على نطاق محدود لخدمة المجتمعات المحلية الى شركات تعمل على نطاق قومي الى مؤسسات عالمية الجنسيات الى انتاج عالمي لأسواق متعددة الجنسيات ، نرى اليوم الاتجاه الى الانتاج الاقليمي لاسواق محلية في كيوشو في اليابان وفي اسكتلندا وكويبك وتكساس ، هربا من الأنماط الاقتصادية القومية ، ومن القوانين واللوائح والضرائب واجراءات البنوك التي وجدت التطبيق على المستوى القومي ، مما يعني ان ادارة اقتصاديات هذه الأقاليم من العواصم سيصبح أكثر صعوبة .

فالأزمة في حقيقتها تنطوي على تحول شامل من عصر الانتاج بالجملة ، الى تحول المستهلك الى انتاج منتجات للاستهلاك الشخصي ، بحيث تتحول

مستقبل العمالة :

ان كل تصوراتنا عن العمل تنطبق على العمل الصناعي التقليدي الذي يجزىء العمل في المصنع والمكتب ، ويقوم الفرد فيه بعملية متكررة دون احساس بعلاقتها بالعملية ككل ، أو بالابداع ، هذا الشكل من العمل الروتيني قد أصبح موضة بائدة في الأمم المتطورة تقنياً ، وسوف يستمر تحلل هذا النوع من العمل رغم كل محاولات الحكومات والشركات واتحادات العمال . ولدينا اليوم مهن جديدة مثل الفنيين في المستشفيات ، والمشتغلين بالانتاج المنزلي ، واستخراج المنجنيز من المحيطات ، وعلم آثار البحار وهندسة محطات الفضاء . وكلها مهن لا تخضع للروتين . كما أن هناك أشكال الانتاج التي يمارس فيها العامل عمليات معقدة . هذا النوع من العمل يشترك فيه العامل في اتخاذ القرار ، وتوسيع واثراء العمل بدلا من تجزئته ، ويشجع الابداع بدلا من الطاعة العمياء ، ويوفر البيئة المبهجة للعمل . فلم تعد شركات الموجة الثالثة تضاعف أرباحها من خلال ارهاق عمالها وموظفيها ، ولم يعد الانتاج يعتمد على العضلات بل على المعرفة والخيال . لقد تغير طابع العمل ونوع العامل .

فعامل الموجة الثالثة أكثر استقلالا وتطوعا في المهارات ، يتمتع بمعرفة متخصصة تقنية تتفق مع المتغيرات ، هو عامل ذهني يمتلك وسائل الانتاج بشكل لم يكن متاحا لعمال المصانع غير المهرة . وهو يميل الى نظام عمل مرن غير روتيني ، مما يتطلب أشكالا تنظيمية جديدة قد تأخذ شكل الجمعيات التعاونية الالكترونية ، أو مجموعات العمل العائلية ، أو الأعمال التي يديرها العمال بأنفسهم ، لا الأشكال التقليدية مثل الشركات الخاصة أو الأعمال التي تديرها الحكومة .

وسوف تتطلب الموجة الثالثة نوعين من العمال، عمالا مبتكرين مبدعين متعلمين منفردين يخلقون أشكال التنظيم الخاصة بهم ، ويفرضون تغيرات هامة في اتحادات العمال وايديولوجيتها ، وعمالا لا تعتمد مهاراتهم على المعرفة فقط بل على الحساسية الجمالية ، بحيث تجزىء بعض المهارات أكثر من



علاقات المنتج والمستهلك الى علاقة المستهلك بنفسه ، أو بجماعات صغيرة تخدم نفسها ، مما يؤدي الى اقتصاد يقوم على منتجين غير منظورين ، يعملون من بيوتهم ، ويهددون النظام الاقتصادي الحالي . وسوف تؤدي هذه الأكواخ الالكترونية بالضرورة الى تنظيم شبكات جديدة ، وارتباطات مهنية جديدة ، وأشكال جديدة من الجماعات التي تدير أمورها وتحمي نفسها . وفي حين أن الانتاج داخل المصنع قد دمر الروابط الانسانية ، فإن الانتاج المنزلي سوف يشجع الانخراط في الأنشطة الاجتماعية والاتصالات الانسانية بعد أن يفرغ المنتج من عمله في المساء . كما سيتيح هذا النوع من الانتاج الفرصة للمعوقين والعجائز والنساء الذين يفرض عليهم المجتمع أن يكونوا غير منتجين . وسيؤدي هذا كله الى تغيرات اجتماعية قوية .

ومما يشجع هذا الاتجاه تزايد تكاليف الطاقة والمواصلات والضرائب الباهظة ، وتكاليف الصيانة والأجور التي يدفعها صاحب العمل ، وضياع الوقت والجهد المنتج في المواصلات والوقود اللازم لها . فالتكاليف في صناعات الموجة الثالثة أقل ، والحياة العائلية أكثر استقرارا وارتباطا .

كتاب الشهر

غيرها ، وسوف تتجه المجتمعات التقنية الى اقرار حد أدنى للدخل لمن يسهم في الانتاج ، والا تعرضت لانفجارات الصراعات الاجتماعية .

ثم ينتقل (توفلر) الى مناقشة مشكلة البطالة الحالية ، أسبابها وطرق علاجها فيقول ان اسبابها متعددة . هناك أولا البطالة التي تنشأ عن التحول عن صناعات الموجة الثانية الى صناعات الموجة الثالثة . واحدى نتائج هذا الانقلاب هو اشتداد حدة ضغوط التجارة الدولية ، والتنافس ، واختلال توازن السوق العالمية ، مما يخلق بطالة مرتبطة بالتجارة . وهناك بطالة التقنية ، فكلما تطورت التقنية قلت الحاجة الى العمال . ثم هناك البطالة التي تنشأ من أسباب محلية ، مثل زيادة الانتاج المحلي ، وتغير اختيارات المستهلكين . وهناك بطالة الذين يتحولون من وظيفة الى أخرى ، ويرتبط بهذا النوع بطالة تنشأ من أنه كلما أصبح توزيع العمل أكثر دقة قل عدد الوظائف التي يمكن التحول اليها . وهناك أخيرا البطالة التي تنشأ عن سياسات الحكومة الغبية التي تهدف الى تزايد البطالة . فالبطالة اذن ليست مشكلة واحدة ، بل عدة مشكلات متداخلة ومعقدة . ولذلك فليس لها علاج واحد .

وقد كان الحل الرأسمالي لها هو التنمية أو زيادة عدد الوظائف ، لكن مشكلة البطالة أصبحت تعتمد لا على كم الوظائف بل على نوعية الوظائف ونوعية شاغليها . ولحل مشكلة صناعات الموجة الثالثة لابد من اعادة تدريب العاطلين ، سواء من خلال القطاع الخاص ، أو نظام التعليم ، أو وسائل الاعلام أو الجيش ، أو كل هؤلاء مجتمعين ، خاصة وأن مثل هذا التدريب يُعد قفزة نوعية من مستوى من المهارات الى مستوى أكثر تفوقا يمثل قفزة ثقافية . كذلك تجب مواجهة هذه المشكلة بتشجيع المنتج المستهلك بتوفير أدوات ودعم اجتماعي وسياسي ومادي له . ومن ناحية أخرى يجب اطلاق رصاصة الرحمة على الصناعات التي تلفظ أنفاسها الأخيرة ، بعد منحها فرصة خمس سنوات حتى لا ندمر منطقة بأكملها ، مع الابقاء على صناعة الصلب حتى تلبي الاحتياجات القومية ، وتشجيع الصناعات على التحول من تقنياتها الحالية الى تقنيات ومنتجات جديدة ، مع اعادة تدريب عمالها ومديريها واعادة بنائها تنظيميا . .

خرافة اليابان وغيرها :

أصبحت اليابان منافسا قويا للغرب في صناعاتها وربما كانت صناعات السيارات اليابانية وأجهزة الاستقبال والصلب أكثر سرعة وأقل تكلفة ، وكان النظام يحمي الكثيرين ضد التقلبات الاقتصادية ، مما يساعد على تزايد سرعة التغير التقني ، وتقبل العمال لأحدث الابتكارات التكنولوجية ، واليابان تمتلك ميزة تقبل التقنية المتطورة والوعي بالمستقبل ، على العكس من انجلترا التي لا تزال تندب امبراطوريتها الضائعة ، وتعيش في الماضي مما يخلق مقاومة للابتكار وصناعات الموجة الثالثة ، والتشبث بصناعات الموجة الثانية التي أوجدتها بريطانيا نفسها . وهذا هو سر بقاء اليابان . لكن اليابان أقل كفاءة في انتاج الالمونيوم والمواد الطبية والكيماوية والغذائية والنسيج ـ كما أنها أقل كفاءة اداريا وتنظيميا . كما أن بيوت الأعمال الصغيرة لا توفر عمالة مضمونة دائمة وخاصة للنساء والشباب .

أما الفرنسيون فقد أبدوا اهتماما بوسائل الاتصال الحاسبة ، لكن فرنسا مازالت مترددة بين تطوير التقنية الحديثة وبين تراجعها عن مشروعاتها التقنية . كذلك تتمثل أوجه ضعف فرنسا في تكنوقراطيتها وتأكيدها على التأميم . ورغم ذلك فقد بدأت فرنسا تدرك أنها لا تستطيع اعادة بناء اقتصادها على أساس الصناعات القديمة .

وفي ألمانيا ما بعد الحرب أعيد بناء ألمانيا على أساس النموذج الصناعي ، فأصبحت مثالا لمجتمع الانتاج والاستهلاك بالجملة ، ولهذا فانها من جانب لا تزال تحتفظ بصناعات الموجة الثانية ، والتركيب التكنولوجي والاجتماعي القديم ، ومن جانب آخر لا يزال الشباب يتعلق بالماضي الذي يمثل الموجة الأولى ، فلم تحفل ألمانيا بخلق قطاع صناعي يتمشى مع الموجة الثالثة ، لأنها ليس لديها فهم واضح للامكانيات الجديدة .

ومن الناحية الأخرى لا تزال روسيا ، كما يقول المؤلف ، تحافظ على النظام الذي يخنق القدرات الابداعية ويعوق التطوير التقني . فهي مثال على الموقف الثوري الذي تعوق فيه علاقات الانتاج الاجتماعية نمو قوى الانتاج ، وفي المقابل تتمتع أمريكا بمواردها الطبيعية واللامركزية ، وشعبها المتعلم ، ووسائل اتصالاتها المتقدمة ، مما يمكنها من الخروج من العصر الصناعي التقليدي . وفي حين أن امريكا تعيد بناء نظمها الاقتصادية ، فانها تعيد أيضا بناء علاقتها الجغرافية السياسية في العالم كله . فقد برز المحيط الهادي كقوة اقتصادية ، وانهار تركيب التحالفات في أوروبا ما بعد الحرب ، وهناك دول متعددة ذات تقنية متطورة وكل منها يراقب زوال صناعاتها التقليدية ، وظهور صناعات جديدة وتكنولوجيات وترتيبات اقتصادية ، وأشكال اجتماعية وسياسية جديدة . وحتى تتبلور الأبنية العالمية الجديدة فسنظل نعيش عدة عقود من عدم الاستقرار .



فيما وراء الرأسمالية والاشتراكية :

والعالم ليس مشتبكا في أزمة اقتصادية وسياسية فحسب ، بل أيديولوجية أيضا . والأحداث تتجاوز الآن كل الأيديولوجيات الرأسمالية والاشتراكية والليبرالية ونظريات العالم الثالث . وربما كان الانهيار الأيديولوجي خطوة ضرورية تمهيدا لظهور أيديولوجيات جديدة أكثر شمولية ، فعبارتا اليمين واليسار صيغتان لتوزيع الثروة والسلطة في النظام الصناعي الذي يخرج منه العالم الآن . وقد ظهر الآن صراع آخر أكبر تتضاءل بجانبه كل الأيديولوجيات - وهو الصراع بين الموجة الثانية والموجة الثالثة . ولابد من اعادة تقييم الأيديولوجيات ، لأن النظام ينهار ، لا النظام الرأسمالي أو الاشتراكي ، ولكن النظام الصناعي الذي يضم الاثنين معا .

فالنظامان من انتاج الثورة الصناعية . كلاهما يعتمد على وقود الحفريات والانتاج والتوزيع والتعليم بالجملة ، ووسائل الاتصال والتسلية الجماعية ، وكلاهما يجعل من العائلة النووية الفردية نموذجا للمجتمع ، ويقوم على أساس المدن الكبرى ودولة الأمة . وحتى التوترات بينهما فهي نتاج العصر الصناعي .

وبالنسبة للمجتمع الاشتراكي ، ففي عالم الغد الذي لا يقوم على الانتاج بالجملة ، ويعتمد على تقنية معقدة ، ويختفي فيه السوق المركزي ونظام التوزيع الحالي ، وتختفي منه وسائل الاتصالات الحالية ليحل محلها اذاعات مباشرة من الأقمار الصناعية والكاسيت وشبكات الارسال لمجموعات صغيرة ، وتحل فيه الآلات الحاسبة في كل مطبخ بدلا من بنوك المعلومات ، لن يخضع هذا المجتمع للتخطيط المركزي والادارة المركزية وهذا ما تفعله الموجة الثالثة . فالمخططون المركزيون يتعاملون مع الاتجاهات العريضة . لكنهم لا يستطيعون التعامل مع ظروف محلية قصيرة المدى . ولهذا سيكون اتخاذ القرارات من شأن الناس العلويين الذين يعيشون في موقع معين ويعرفون كل دقائقه . والتخطيط القائم على الديموقراطية والمشاركة ممكنان فقط على مستوى ضيق في مجتمع الموجة الثالثة . وهذا يعني أن اتخاذ

كتاب الشهر

القرار سوف ينتقل الى أسفل بحيث يتحقق حكم ذاتي محلي .

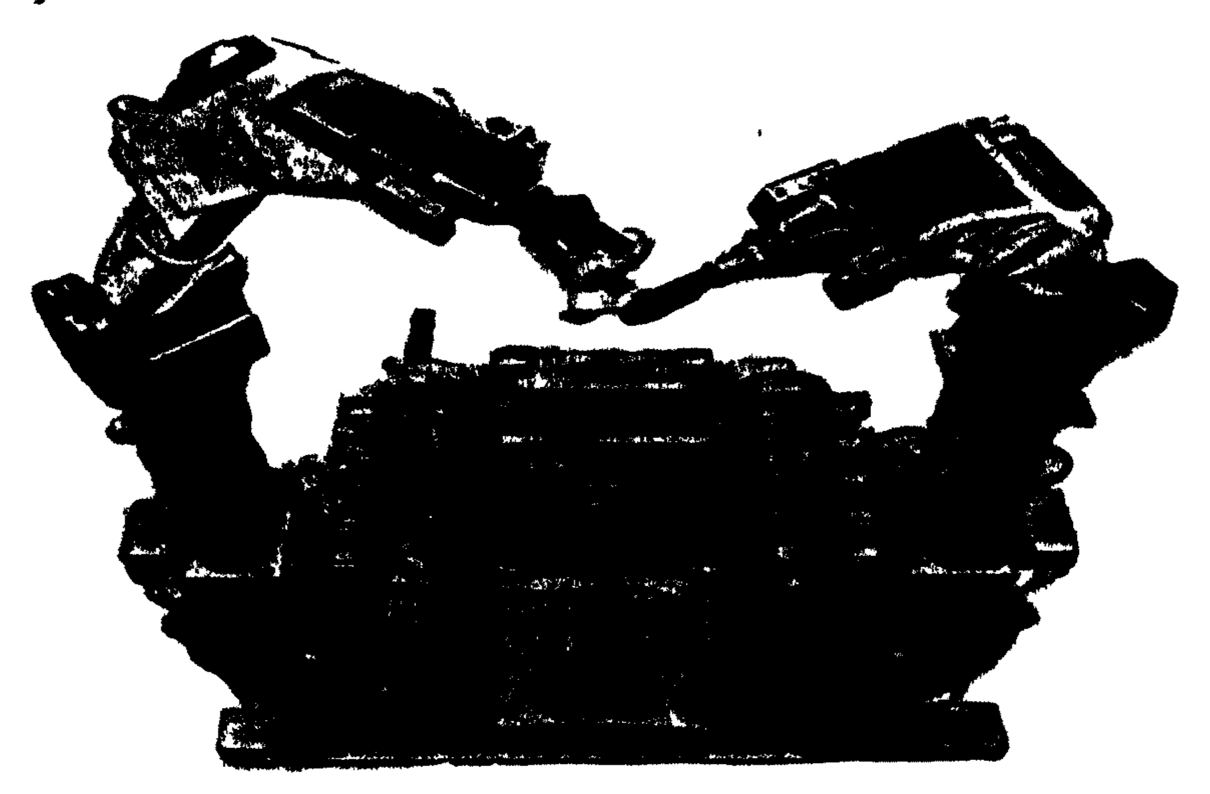
أما بالنسبة للرأسمالية فان التناقض يكمن في مفهوم الملكية ، فليس من يملك الانتاج هو الذي يسيطر على المجتمعات الرأسمالية ، بل المديرون التنفيذيون الذين يتحكمون في وسائل التكامل ، وبيروقراطيو الحكومة الذين يقررون الى أي المناطق توجه الاستثمارات . لقد أصبحت القدرة على اتخاذ القرار أهم من الملكية ، أما في مجتمع الموجة الثالثة فان الملكية الأساسية تصبح المعلومات ، »وهذا تحول ثوري لأنه شكل من أشكال التملك غير مادي لا حدود له . فعندما امتلك سهما في شركة فأنا لا أهتم بمبانيها أو آلاتها ، كل ما يهمني هو المعلومات المنظمة التي تتحكم فيها . هكذا تتحول الملكية من ملكية رمزية (ورقة) الى ملكية غير محددة ، ويصبح مفهوم الملكية في الرأسمالية نفسها مفهوما بائدا .

دور المعلومات في حياتنا السياسية :

لقد أدت سرعة التغير الى زيادة حجم المعلومات المطلوب التعامل معها لنصل الى قرارات تلائم الظروف . فلو أنك نظرت الى العمالة في المجتمعات الصناعية لوجدت هبوطا في العمل اليدوي وارتفاعا في الأعمال الادارية منذ منتصف الخمسينيات . لقد تعقد النظام وتزايدت متطلبات المعلومات حتى وصلت الى نقطة أزمة ، فتزايدت متطلبات العمل والتنسيق والاجتماعات والقرارات اللازمة لانجاز عمل ما . وقد استجاب النظام لهذا الضغط تقنيا ، فدخلت الآلات الحاسبة مجال الأعمال الادارية . كذلك لم يعد نظام الهواتف يفي بالغرض فدخل نظام الكمبيوتر . هكذا دخلت أنظمة اتصال جديدة وتقنية جديدة لاختزان المعلومات ، مثل الميكروفيلم والماسحات البصرية لتخفيف حمل المعلومات ، فالتنوع والتغير يساوي معلومات أكبر تساوي تكنولوجيات أعقد . وديناميكية ثورة المعلومات التي بدأت تمحو المجتمع الصناعي جزء من موجة التغير . وفوق ذلك فكلما زادت المعلومات فإننا نعمق فهمنا العلمي للطبيعة بحيث نغير عمليات الانتاج . فبدلا من استخدام التجميع اليدوي لآلة التصوير مثلا ، أو لجهاز التليفزيون ، فإننا نستخدم معلومات أكبر ومعرفة أعمق لتقليص عدد الأجزاء ، أي أننا نحقن الآلات نفسها بمعلومات أكبر ، بما يؤثر في الثقافة والاقتصاد .

وفي العصر الصناعي كان الاهتمام ينصب على كيفية صنع الأشياء . أما الآن فإنه ينصب على ادارة الأشياء ، وتحليل المشكلات ومشكلات الثقافة والايديولوجيات . وفي السياسة تصبح قضايا التحكم في المعلومات ، والسرية ، وادارة انسياب المعلومات مسألة تقنية . وبعض التقنيات يهدد الديمقراطية ، وبعضها يضاعف من قوة الفرد ضد الدولة ، في العصر الصناعي مثلا كانت الدولة والشركات تتحكم في وسائل الاعلام من المركز . أما الآن فان المستهلك يستطيع استخدام المسجل لارسال رسائل وتداولها واعادة نسخها كما فعل أعداء الشاه . والمسجل لا يمكن التحكم فيه من المركز . وهكذا في مجال الآلات الحاسبة وكل الالكترونيات الحديثة في مجالات المعلومات والاتصالات التي تقلل من التحكم المركزي في حياتنا .

وسوف يؤثر هذا في علاقات الطبقات . فالثورة الصناعية أوجدت الرأسمالية والعمال ، والثورة التكنولوجية أوجدت التكنوقراطيين من مهنيين ومديرين وعلماء . الذين يتزايد حجمهم وتتزايد احتمالات احتكارهم للقوة . وهم « طبقة » تمتلك المعلومات المنظمة والخيال والثقافة اللازمة للانتاج ، وتملك القدرة على المساومة أكثر من طبقة العمال . لكن هذه « الطبقة » طبقة مثقفة أكثر منها طبقة



اقتصادية ، وبالتالي لا تتصرف ككتلة موحدة ، غير أنها تشترك في صنع القرار .

ففي المجتمعات الزراعية كانت الأقلية تشترك في صنع القرارات السياسية أو الاقتصادية . وفي المجتمعات الصناعية حدثت انفجارات ديمقراطية أدت الى توسيع قاعدة الاشتراك في صنع القرار ، نتيجة لتداخل الاقتصاد وضرورة التنسيق بين أنشطة مختلفة ، وأدى هذا الى زيادة المشتركين في مجالات العمل والسياسة والمجتمع .

وانتظمت هذه المجموعة في شكل هرمي من الصفوة ومن دون الصفوة ، ممن يشكلون العمود الفقري للطبقة الوسطى ، مع استبعاد العمال والفلاحين الذين لم يكن لهم الا حق التصويت . هذه ديمقراطية جزئية . وفي مجتمع الموجة الثالثة ستؤثر ثلاثة أشياء في المستقبل السياسي : تزايد العمالة الذهنية ، تزايد عبء القرار ، الآلة الحاسبة ، وهذا يعني دخول العمال في اتخاذ القرار والادارة وتزايد اشتراك الجماهير ، وتوسيع قاعدة الديمقراطية .

والحاسب الآلي له تأثيره على النظام السياسي . فقد أحدث تغييرا أساسيا في التوازن الاستراتيجي العسكري والاقتراع السياسي ، وطريقة تحديد القرارات السياسية . وهنا نجد أنه بدلا من بضع حاسبات آلية هائلة تتحكم فيها السلطات العليا ، ظهرت ملايين الحاسبات في طول المجتمع وعرضه وفي البيوت والمدارس والكنائس والكراجات ، بعيدا عن تحكم الحاسبات المركزية ، مما يعني تزايد نسبة من يتخذون القرارات السياسية والعسكرية .

المرأة والحياة السياسية :

في المجتمع الزراعي والصناعي كانت أشكال العمل تعتمد على قوة الرجل العضلية ، رغم الاعتماد أيضا على عمل المرأة الجسماني . الا أن المرأة ظل مكانها في البيت مع الأطفال . هكذا أبقت الثورة الصناعية على عدم المساواة بين الجنسين ، وفي المجتمع الزراعي كانت العائلة كبيرة تعمل أجيال منها معا في وحدة انتاج واحدة ، وتعيش تحت سقف

كتاب الشهر

واحد . أما في الموجة الثانية فقد تزايدت أهمية المصنع والمكتب ، وتقلصت أهمية البيت وظلت المرأة فيه . وقد ساعدت وسائل الاعلام على تعميم هذه النظرية ، والتأكيد على انعدام قدرات المرأة حتى تبقى في عالمها المغلق ، وحتى من شارك منهن في العمل كان يوكل اليهن أعمال أقل أجرا وسلطة .

وخلال الحرب العالمية أصبحت النساء قوة عمل احتياطية ، ثم فقدت المرأة هذا الدور . وفي منتصف الستينات كان الاقتصاد مزدهرا فاحتاج الى عمالة أكبر . وبدأت الموجة الثالثة بتفوق العمالة المكتبية على العمالة المصنعية ، كذلك دخلت عوامل أخرى مثل حركات الاستقلال وحبوب منع الحمل ، والأقمار الصناعية . . . وبدأت التساؤلات حول الأدوار القديمة التي فرضها التصنيع . كان هذا جزءا من حركة تاريخية تحملنا فيما وراء العالم الصناعي التقليدي ، وتشير الى مجتمع بديل .

وسوف تشهد الفترة القادمة ظهور أبنية اجتماعية جديدة قد تكون وحدة من الأم والأب والابن يعملون معا في كوخ الكتروني صغير ، أو في (كوميون) ، مما سيخلق علاقات مختلفة بين الجنسين غير تقليدية ، لأن المرأة ستشارك في الانتاج من خلال عملها في البيت . فالثورة في الأدوار جزء من الموجة الثالثة التي يقف الدفع الأساسي للتغيير فيها في وصف مساواة الجنسين ، بفضل ظهور قيم جديدة مع الترتيبات التقنية والاقتصادية الجديدة .

العرق ، القوة ، الثقافة

ومن الخطأ أن نعتقد أن السيطرة ستظل للرجل الأبيض في الحضارة الجديدة . فليست سيطرة الرجل الأبيض الا تطورا تاريخيا حديثا منذ ٣٠٠ ـ ٤٠٠ سنة ، عندما اكتشف القارة الأمريكية ، وطرق التجارة في الهند ، ووسع المستعمرات وتجارة العبيد ، وأنشأ سلسلة من المجتمعات تفتح له الطعام والطاقة والمواد الخام . لكن فيما بين ١٩٥٥ ـ ١٩٦٥ حصلت معظم المستعمرات على استقلالها ، فحدث تغير في التوزيع العرقي للقوة في العالم ، فظهر العرب كقوة مالية وسياسية ، وظهرت اليابان وتايوان وهونج كونج وسنغافورة وكوريا الجنوبية كقوة اقتصادية تنمو بسرعة ، وسوف يصبح هؤلاء شركاء مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وأوروبا في النفوذ العالمي . وكلما توغلت الآلات الحاسبة في آسيا ، ونقلت الأقمار الصناعية المعلومات من وإلى المحيط الهادي الذي كان معزولا فيما مضى ، سوف تنتقل المؤثرات المالية والثقافية من الشرق الى الغرب ، فقد بدأ تحرك مركز التأثير الثقافي والاقتصادي في العالم .

وهناك عوامل أخرى تؤثر في توزيع القوة في العالم ، أحدها تغير توزيع السلاح فيه . فحتى الدول الصغيرة يمكن أن يكون لديها اليوم أسلحة فتاكة ، مما يغير موازين القوى في العالم . ثم لا يزال النظام الحالي يعتمد على مصادر الطاقة والمعادن بكميات هائلة . ولكن عندما تنتشر وسائل التصنيع الفردية ، ويصبح الانتاج لامركزيا ، فسوف تستخدم مصادر متنوعة بكميات أقل ، مما يعني اعادة توزيع القوة الاقتصادية في العالم .

هكذا نشهد اعادة توزيع تاريخية للنفوذ والسلطة على كل المستويات . ولن تقتصر الموجة الثالثة على أجزاء دون غيرها . فهي موجة تنتمي الى كل الأجناس ، وسوف تصبح سيطرة البيض سيطرة متعددة الأطراف ، وسوف يتعود السوفييت والأمريكيون في العقود القادمة على توزيع السلطة في العالم ، كما تعودت بريطانيا وفرنسا فقدان امبراطوريتيهما .

صدارة الثقافة

أما عن احتمال أن تؤدي الاقتصاديات التقنية الى مضاعفة حجم الطبقات الدنيا ، فان (توفلر) يرى أن هذه مسألة سياسية اجتماعية لا

تقنية . فالهدوء السياسي الحالي لن يدوم اذا سقط عبء التغييرات على ظهور الأقل استعدادا له . وكبار السياسيين وأصحاب الأعمال لا يدركون أن الاضطرابات لن تكون مثل اضطرابات الثلاثينيات ، بل ستكون أكثر لامركزية بحيث يصعب تحديد مداها أو قمعها . وسوف يعتمد التخطيط للفترة الانتقالية على مدى ذكاء الحكومة وأصحاب الأعمال .

ولهذا فان الاستراتيجيات القائمة على التمسك باجراءات الموجة الثانية ، مثل ايجاد وظائف في صناعات تحتضر ، ليست كافية ، ومن الأسهل أن نحقق مكاسب في برامج التدريب في قطاع الموجة الثالثة ، وهذا يعني اعادة دراسة البنى الخفية ، التي تحدث في الدول المتقدمة تقنيا ، أي معرفة التحول البعيد المدى الذي يحدث باتجاه الانتاج الاقليمي اللامركزي والتوزيع ، وخلق وظائف الموجة الثالثة حيث يعيش العاطلون بالفعل ، وكذلك البحث عن أشكال جديدة من العمل المنزلي باستخدام التقنية الحديثة ، وعن خدمات وسلع جديدة وايجاد الأسواق لها . كما يعني أيضا برامج تدريب وتعليم للأطفال ، ومواجهة المستقبل لا الماضي .

فنحن نواجه حضارة جديدة لا تتمثل فقط في الآلات الحاسبة وأجهزة الفيديو ، بل في مواد جديدة تجاه العمل والجنس والأمة والسلطة وأوقات الفراغ . ففي الموجة الثالثة ليست هناك ثقافة واحدة ، بل ثقافات متنوعة ومتغيرة ، وكلما تحركنا باتجاه الموجة الثالثة زادت أهمية الثقافة ، ومعظم المهن الجديدة في هذه الصناعات تعتمد على الثقافة ، ولم يعد الأمر مجرد الاعتماد على المواظبة ، وطاعة السلطة المركزية ، وفهم كيفية عمل البيروقراطية ، والخضوع للعمل المتكرر المحفوظ . وسوف يكون اقتصاد الموجة الثالثة مجزيا للقادرين على التغير ، والعمل واكتساب الخبرة في أكثر من مجال ، وتوسيع مجال الخيال للتلاؤم مع ثقافات الموجة المستقبلية . وليست هناك جماعة عرقية واحدة تحتكر هذه الصفات . فكل ثقافة شرقية أو غربية ، سوف تأتي الى الموجة الثالثة وقد تطورت طبيعتها الاجتماعية . فنحن ندخل عصرا جديدا تلعب الثقافة فيه دورا مهما . وسوف تستوعب الحضارة الجديدة عدة ثقافات ، ولم يعد الماضي كافيا لمواجهة المستقبل .

كلمة أخيرة

بهذا يطرح (توفلر) رؤية مستقبلية حول تأثير الثورة التقنية في مستقبل المجتمع الانساني . لكنه في كل هذا يبدو كما لو كان يؤمن بقدرة التغيرات التقنية وحدها على تغيير العالم . فهو في تناوله لهذه التأثيرات يدور في فلك محاولات تفسير نظرية داروين ـ التفسيرات الاجتماعية التي ظهرت في القرن ١٩ ـ مع توسيع مجال هذه التفسيرات بما يتلاءم مع متغيرات العصر . فهو ينظر الى المجتمع الصناعي على أنه متجانس ، والى المجتمع التقني على أنه متنوع ، بنفس الاسلوب الذي رأى به منظرو البرجوازية في القرن ١٩ المجتمع الزراعي على أنه مجتمع متجانس ، والمجتمع الصناعي مجتمعا متنوعا . ولذلك فانه يؤكد على مزيد من التجزؤ أو التنوع ، لا على مزيد من الترابط .

ولعله لهذا السبب ذاته ، حين يشير مستقبل الرأسمالية والاشتراكية فانه لا يرى في مدلول الاشتراكية الا مركزية نظامها ، في حين أن مركزية النظام ليست أمرا مقصورا على الاشتراكية ، بل هي موجودة بالفعل في كل أنظمة العالم الثالث ، بل وداخل النظم الغربية ذاتها ، كما يشير هو نفسه الى هذا . وكذلك فانه حين يحاول تحديد مفهوم الملكية في المستقبل فأنه يتكلم عن « مفهوم » الملكية لكنه يغفل « فكرة » الملكية في حد ذاتها ، واضافة الى هذا فان حديثه عن « طبقة » التكنوقراط لا يحدد لحساب من يعمل هؤلاء ، ولا مع من ترتبط مصالحهم ، كما أنه في حديثه عن علاقات الانتاج الجديدة ، مثل علاقة المنتج المستهلك بنفسه ، لا يشير الى من سيوفر لهذا المنتج المستهلك أدواته الخام وآلاته ومعداته التقنية ، مما يشير الى أن علاقات الانتاج الحالية سوف تؤكد ذاتها مرة أخرى في مجتمع المستقبل .

ان (توفلر) يجيب عن تساؤلات عديدة ، لكنه يثير تساؤلات أخرى أكثر . وربما كان هذا لأن « نظريته » لا تعدو أن تكون « نظرية » فرضية ما زال (توفلر) يعمل على استجلاء كثير من جوانبها . لكنها تظل رغم هذا « نظرية » مشوقة مثيرة تستحق منا أن نتأملها بمزيد من العناية والاهتمام ؟ □

من المكتبة العربية

ممرات في دفاتر الطفولة

بقلم : فاضل خلف



صدرت حديثا المجموعة القصصية « ممرات في دفاتر الطفولة » للأديب العراقي أحمد محمد أمين ، احتوت على ١٣ قصة قصيرة .

فهل هي عن الطفولة بعامة ؟ ـ أو هي عنها كمرحلة عاشها الكاتب ، وأخذ بعد ذلك بعض أجوائها وتفصيلاتها ؟ وصبها في قوالب فنية قصصية ؟

عالم أحمد محمد أمين مزيج من الرؤى ذات الدلالات الانسانية التي تتفاوت بين الرمز .. الرمز المغلق أحيانا .. والواقعية النقدية يحلق بها على جناح لغة شفيفة ترقى الى مستوى الشعر .. وتزويقات استعارها من الطفولة والحلم .. وتكاد الطبيعة بكل ما فيها من تألق وحركة ، وعبر لقطات في غاية الدقة ، أن تكون هي المحور الرئيسي والشخصية التي تتحرك فوق المساحات القصصية ـ كما أن المضامين الانسانية التي يطرحها داخل قصصه ترتكز على وعي عميق بالحياة .. وادراك صادق لما يدور في عالم الذات ، ورواية متقدمة في النقد ، ورصد ذكي لسلوك الانسان.تجيء جميع هذه المعطيات في طرح فني جاد دون الوقوع في مزالق المباشرة .. فليست قصصه لافتات هشة تعرض محتوياتها للقارىء وانما هي عميقة الغور في دروب الواقع .. اذن نحن أمام رؤية قصصية ، ينبغي أن تكون لدينا كل معطيات الثقافة اذا أردنا أن نغوص فيها ، فهو قد عبر من خلالها عن كل رؤاه الفنية والثقافية .

لقد حملني المؤلف الى أجواء السحر والحلم والواقع المر الذي كان يحاصر طفولتنا . انه يختار عدته الكتابية من جميع المدارس الفنية .. وهو أقرب الى الفنان التشكيلي الذي تتراوح فرشاته بين العديد من المدارس الفنية ـ التعبيرية والانطباعية والسريالية والخيالية الابداعية وحتى الكاريكاتورية .

انه لا يصرخ : ان جيلنا كان مضطهدا للطفولة كاتما لانفاسها ، وقاتلا لحريتها .. لكن الطفولة كالمارد ، كانت واعية لما يدور حولها ، حريصة على التعلم ، وتلقي الدروس من الحياة ، ويمكن ملاحظة ذلك في قصص « عربة الملك ، الفرح ، ضجة في القلب ، وحتى في اللوحة الأخيرة » .

دخول في التفاصيل

ان القضايا المطروحة في القصص ، هي قضايا الساعة ، قضايا الانسان ومعاناته ونضاله . ولو أردنا التفصيل فاننا نضع هذه الاشارات :

١ ـ في قصة « الصحو والحلم » نقف حيال المرأة واضطهاد الرجل لها ، وظروفها التعسة في عالم سيطرته المطلقة ، لذلك فهي تلوذ بالحلم ، ولا تكاد تضع أولى خطواتها في دائرة تحقيق رغبتها ـ رغم سذاجة هذه الرغبة ـ حتى يكون زوجها قد عكر عليها عالمها ، وحطم بمطرقته كل شيء . . وتكون هي أيضا ضحية تنكسر مثل اناء زجاجي . .

والملاحظ أن رغبة المرأة جاءت سقيمة في الحلم . . وأظن أن المؤلف كان منتبها ويقظا في جعل تصرفها صبيانيا . لأن الحرية التي تفهمها بعض النساء تكون باهتة أحيانا !

٢ ـ «رحيل المساء الحجري» . . وهي قصة عن موظف يعيش حلم اليقظة ، ويدور داخل الأوهام . . انه مضطهد ، ومحاط في العمل بالرتابة والتعب وعدم التقدير لاخلاصه ، ومضطهد في البيت من قبل زوجته . هذه المرأة التي تمثل كل النماذج المسيطرة والضحلة من نسائنا . . فالبيت في نظر الرجل مزدحم بالروتين والعلاقات الرتيبة المهترئة مثل الوظيفة تماما ، لذلك نراه يهرب من واقعه ويخلق لنفسه عالما خاصا : عالمه هو . . يتحدث مع التلفزيون ، ويضرب موعدا مع طبيبة ، ثم تكون النتيجة الفشل المر . . وبعدها تكون الصحوة .

القصة رغم منحاها الخيالي ممتلئة بالوصف الواقعي للطفولة ، يسترجعها ليؤكد لنفسه على الاقل أن أوهامه ترتكز على أرضية من الواقع . . والذكريات التي تزخر بها ذاكرته . . والقصة بعد ذلك نقد للحياة أينما كان المرء . . في البيت ، في المؤسسة التي يعمل فيها ، في الشارع ، في الأماكن العامة . . وهي تشبه الأولى في كون البطل يحلم ، ويهرب ويصطدم بسور الواقع القاسي .

٣ ـ « ممرات في دفاتر الطفولة » . . هذه القصة مستلة من الطبيعة ، كأنما غمس « فان جوخ » ، أو « سيزان » ، أو أي فنان تشكيلي متقدم ، فرشاته في الالوان ، وجسد لنا هذه الطبيعة التي تتفاوت وتتحرك في دائرة الضوء ، والقتامة ، والرهبة ، والممرات الغامضة ، انها الحياة المتشابكة ، ومتاهاتها ، وما نحن الا كائنات نناضل . . وقد نضيع فيها الى الابد ، وقد نخرج الى خير منها .

القصة عن الخرافة وأثرها فينا ، فالمجتمع في أيامنا هذه وهو يعيش في دائرة العلم ومعطياته يرفض أن يقع تحت طائلة التخلف والأفكار البدائية ، والأساليب غير التربوية التي حشا الآباء رؤ وسنا بها .

وهذه القصة في نظري من القصص الجميلة . . أداتها لغة في غاية الشاعرية وهي مليئة بوصف تفصيلات الطبيعة ، ويمكن أن يقال فيها الشيء الكثير من الاحكام والتأويل .

٤ـ«بعيدا عن الايام القائظة» . . هي أيضا قصة ممتعة ، مصوغة بعناية تتحدث عن قوة الانسان النابعة من الذات حيال البطش والاضطهاد اللذين يسودان العالم وتستند الى ثلاثة محاور . . التلال والمذبحة ، العرس والفرح ، ولقاء الطفولة بالطفولة . . طفولة كهلة وطفولة في ميعة البراءة .

انها معقدة ، مليئة بالرموز المغلقة ، لكن اللغة فيها جميلة ويعني الوصف فيها بالتفصيلات ، مما جعلها أنيسة لا تثير فينا الملل والاستياء .

زمن الاحزان المنسية

٥ـ«زمن الأحزان المنسية» . . عن الهروب في ظروف سياسية ونفسية صعبة . والفتى الهارب يجد في الغربة منفى آخر . . تحاك ضده مؤ امرة أخطبوطية ، ويعود الى الوطن الذي يكتشف فيه لأول مرة مثواه ، والأرض التي يمكن الاطمئنان اليها : « اذا كنت تحبها حقا فامنحها كل دمك » .

ولست أجافي الحقيقة عندما أقول : ان هذه القصة من أحسن النماذج الجديدة التي قرأتها . يوجد في القصة عدة محاور لكل محور ضمير خاص ، يتحدث به البطل ـ ضمير المخاطب في المحور الأول ، وضمير المتكلم في المحور الثاني والثالث ، وضمير الغائب في المحور الأخير ـ ورغم أن القصة تضج بالأشخاص والوجوه فان الشط والنخيل وملايين الذرات الضوئية المتراقصة فوقه وصور الطبيعة من داخل القطار . .

تبقى هي شخوص القصة ، التي تستوي فوقها معاناة الانسان ، أمام الظروف غير الطبيعية .

٦ـ«السفر داخل العيون الأليفة» . . عالم زاخر بالرموز التي تتحرك في عدة محاور : المراوح والناس الذين ينظرون الى السماء ، الحديقة والانتظار ، والاختبار القاسي للاشخاص الثلاثة مع الوردة ثم المستشفى والبحث عن الفتاة . . الشخوص الثلاثة يمثلون في نظري ثلاثة اتجاهات سياسية ، وكل يحاول بوسيلته احتواء الوطن (الفتاة) والقصة بلا نهاية ، لان النضال سيظل قائما ما دام الاستغلال سائدا يعشش في نفوس الناس ، ورغم الغموض الذي يكتنف هذه القصة فانها لا تخلو من لمسات فنية بارعة أضاءها القاص في أجوائها وحناياها .

٧ـأما القصتان «الفرح» و « ضجة في القلب » فتنتميان الى القصص الواقعي الذي لا يخلو من رمز . . الحية الاولى رمز للعدوان والقوى الشريرة التي تريد استلابنا وسرقة ممتلكاتنا . والمهر رمز القوة والحياة الجديدة .

قصتان تعتبران نموذجين متقدمين للقصة الواقعية الجميلة التي تقوم على بناء وصفي رصين ، وتكون فيهما الطفولة في حالة من الوعي المسئول .

الهروب الى مدن الشمس

٨ـ«الهروب الى مدن الشمس» . . رصد وتجسيد وادانة لعدم المبالاة التي يتذرع بها الناس ـ وكأنما الاحياء قد استحالوا الى تماثيل حجرية أمام مسئولياتهم . . فلجأ القاص الى استقدام حورابي الملك المتحضر ومنحه فرصة لأن يعود انسانا . . انسانا عاديا يلمس وجه الحياة . . يعمل ويكد مثل الناس . ان تمرد حورابي ليس سوى ادانة صارخة للاحياء متحجري الأحاسيس . . المجردين من الشعور بالمسئولية تجاه ما يدور حولهم . . وعلى أرض الواقع . القصة برمتها استنهاض للانسان ، وتحريض له على أن يكون متحضرا في موقعه المسؤول ، بعيدا عن الجمود والاسترخاء .

٩ـ«البحر في النافذة» أشبه بقصة « زمن الأحزان



المنسية » التي يعود فيها البطل من المنفى الى الوطن ، وهنا يهرب من واقع مريض آسن مليء بالحقد والملاحقة وتجريد الانسان من انسانيته ، الى واقع يعبق بالصفاء والطهر .

ورغم أن القصة لا تنتمي الى زمان ومكان ومجردة من الثرثرة اللفظية ، لكنها زاخرة بالمواقف الانسانية ، تؤكد لنا معنى الحرية التي يناضل الانسان ويضحي من أجلها . وقد تكون تلك المدينة التي تراءت له من بعيد ، وهي تستلقي في أحضان البحر والضوء والسماح ، هي مدينته الفاضلة .

١٠ ـ « عربة الملك » يبقى لها موقع خاص في النفس ، انها لمحة مضيئة من الأداء . وملاحقة صادقة للطفولة المعذبة ووأد أمانيها . . تحفل بالصور والالوان والمشاعر الحبيسة في الذات ، وهي بمجملها ـ وبكل ما فيها من تصوير فني عال ، ووصف جميل من خلال عيني طفل ـ احدى القصص الواقعية التي تظل تضيء في الذاكرة .

١١ـ«عائدة من أقاصي النسيان» . . وهي من النمط القصصي الخيالي المتعب ، أضاف اليها المؤلف هوامش مكملة للقصة ، وهي تحكي قصة امرأة عادت الى الحياة بعد عشر سنوات من النسيان عن طريق امرأة عجوز تمارس السحر والشعوذة ،

لاعادة الوشام الى الاهل ، ورأب الصدع بينهم ، لكنها تفشل لأنها تتعثر بأخطاء تجاوزها الزمن ، ومع ذلك تترك لدينا حافزا الى العمل والتضامن والتصافح .

والقصة تلاحق مسألة الشعوذة ، وعدم قدرتها على اضاءة حياتنا بالأماني والآمال ، لأنها أساسا تستند الى العقم والخواء .

١٢ـ«ثماني لوحات مائية»، وهي عن الشاعر الراحل بدر شاكر السياب ، أراد المؤلف من خلالها أن يسهم في تمجيد هذا الشاعر العربي الكبير ، فصور حياته المأساوية عبر ثماني لوحات أنيقة ، لا تخلو من اللمحة القصصية البارعة .

حقائق

وأخيرا يمكن أن نخرج من خلال هذه المجموعة القصصية بالحقائق التالية :

أـ استعمال«تكنيك»مبتكر في صياغة القصص ، واعتماد السرد والتداعيات والمنولوج الداخلي . . تبدأ القصة أحيانا من النهاية مثل القصة الأولى ، وأحيانا يحشر في القصة لوحة قد تبدو لأول وهلة أن لا صلة لها بها ، لكنها امتداد لها . . مثل لوحة من زمن الطفولة في قصة « رحيل المساء الحجري » حيث مزج بين عالمين باقتدار عال ، عالم الخيال ، وعالم الواقع .

ب ـ الوصف الجميل للطبيعة والحياة واستخدام التزويقات (أو التزاويق) الفنية المتقدمة ، والاستفادة من المعطيات الفنية كالسينما والفن التشكيلي والحلم ومزج الألوان والتصوير الجميل للماء ، لقد استطعنا أن نلمح المطر والغيم في عدة لقطات . . في القصة الاولى والثانية ، وضجة في القلب وثماني لوحات مائية ، كما أن فيها أجواء قصصية غريبة جدا ، وحين ندخلها كأنما ندخل في حلم جميل أو نرتاد عالما من الخيال الفضفاض .

ج ـ جاءت اللغة عذبة وشاعرية ، وكأني به يكتب شعرا في بعض القصص ، وأحس أن اللغة المتألقة غير العادية ضرورية لكتابة القصة الجديدة ، وهي مكملة للشروط الفنية الأخرى .

د ـ كل قصة حملت هما انسانيا خاصا ، وعالجت مسألة معينة تشغل بالنا في كل لحظة .

اذن نحن أمام ثلاث عشرة قصة ذوات مضامين انسانية ، ترتفع في لغة مترفعة عن الابتذال والهشاشة والسذاجة . . تجيء أحيانا واضحة وأحيانا رمزية فيها عذوبة وشاعرية ، وكتبت بصيغة متقدمة ومتطورة. □

●

أين جمال المرأة

ما أجمل مافي المرأة ؟ حاولت مجلة « وومان » أي المرأة ان تبحث عن أجابة لهذا السؤال ، فأجرت استفتاء بين مجموعة من الرجال ، قال البعض إن أجمل مافي المرأة غموضها ، وقال البعض الآخر ان سر ابتعادهم عن المرأة هو أنهم لايفهمونها ، وبمعنى آخر ان غموضها يحيرهم !

وقال فريق ثالث إنهم يفضلون المرأة الجميلة بشرط الاتكون ذكية ، لان ذكاء المرأة يزعج الرجل !

مكتبة العربي

مختارات

الاسلوب والاسلوبية .

ترجمة : كاظم سعد الدين
الناشر : دار آفاق عربية ـ بغداد
سنة النشر : ١٩٨٥
عدد الصفحات والحجم : ١١٥ صفحة من القطع المتوسط .

هـذا هـو الكتـاب الأول ضمن سلسلة كتب (آفاق) الشهرية التي صدرت في بغداد عن دار آفاق عربية التي تصدر عنها المجلة الشهرية التي تحمل نفس الاسم والتي يرأس تحريرها محسن جاسم الموسوي .

والكتاب من تأليف الكاتب الانكليزي غراهام هوف .

جاء في تعريف احد الكتاب للاسلوب بأنه الرجل ، فما الذي يقوله غراهام عن الاسلوب والاسلوبية ؟

جاء في تمهيده للكتاب ما يلي :ـ

(الغرض من هذه المقالة اعطاء وصف موجز عن الدراسة الحديثة للاسلوب الأدبي ، وقد نشأت دراسة الاسلوب من الالسنية في الغالب ، ومن منطلقات اخرى احيانا ، ولا ريب أن الأسلوبية هي دراسة اللغة مهما كان منشؤها ، وان موضع النقاش الوحيد هو كيفية دراسة اللغة الأدبية ، وقد أصبحت الالسنية اليوم فرعا عظيما مستقلا عن فروع المعرفة ، وعلاقاتها بالدراسات الادبية ليست أمرا يسيرا ، وكثير من اهتماماتها لاصلة له بالأدب ، وبعض من طرقها لا يروق لاغلب طلاب الأدب ، ومع ذلك فهي في نهاية الأمر لا يمكن أن تكون مجردة من هذه العلاقة ، وان دراسة اللغة ودراسة الادب ، كما هو واضح ، لهما حدود مشتركة ، وبهذا تكون الاسلوبية المنطقة الفاصلة بينهما) .

وقد استعرض المؤلف مدارس عديدة أدلت بدلوها في الاسلوب والاسلوبية .

■



نازك الملائكة ـ دراسات في الشعر والشاعرة

بقلم واعداد وتقديم : د . عبدالله المهنا ونخبة من اساتذة الجامعات
الناشر : شركة الربيعان للنشر ـ الكويت
سنة النشر : ١٩٨٥
عدد الصفحات والحجم : ٩٠٠ صفحة من القطع المتوسط .

منذ أربعينيات هذا القرن والشاعرة الناقدة نازك الملائكة تحتل مكانة مرموقة ورائدة في حياتنا الادبية العربية . .

فهي ممن أسهموا اسهاما بارزا في ارساء موجة الشعر الحديث ـ ومازالت حتى الآن ترفد هذه الموجة بالرغم من الملاحظات التي يمكن تسجيلها على تجربتها في المرحلة الاخيرة . اضافة الى ذلك فانها من المنظرين للشعر ، وكتابها (قضايا الشعر المعاصر) يعتبر مرجعا مهما في هذا المجال . . يقول الدكتور عبدالله مهنا في مقدمته للكتاب : (لايمكن التأريخ للشعر المعاصر الا انطلاقا منها ومن آخرين ، فمن هذه الكوكبة كان

البدء الحقيقي للشعر المعاصر الذي يضرب بجذوره في حياتنا الآن) . وحول صدور الكتاب يقول الدكتور مهنا : (انطلاقا من ظاهرة الوفاء لشاعرة حفرت اسمها بعمق في الحياة الادبية ، ولاستاذة جامعية علمت الكثير والكثيرات في عدد من الجامعات العربية) انطلقت فكرة اصدار الكتاب الذي احتوى على ثلاثة فصول هي : نازك مع الشعر والحياة ، نازك والادوات الفنية ، نازك ناقدة ، واحتوى كل فصل على مجموعة من الدراسات لمجموعة من الدارسين . . . .

محاضرات في نشوء الفكرة القومية

الكاتب : ساطع الحصري

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٥

عدد الصفحات : ١٧١ صفحة من الحجم المتوسط

بدأ مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت بتجميع واعادة نشر مؤلفات وكتابات المفكر العربي : ساطع الحصري (أبوخلدون) الذي وقف حياته على الدعوة الى الوحدة العربية ، ونشر الفكرة القومية العربية ، وقد سجل المركز ١٧ كتابا ينوي نشرها لهذا الكاتب ، والكتاب الذي نعرض له هو الكتاب الخامس في سلسلة كتب (الأعمال القومية) للكاتب .

أما محتوى الكتاب فهو ست محاضرات تناولت نشوء الفكرة القومية والحركات التي دعت لها ومسيرتها في : المانيا ، وبلاد البلقان ، وتركيا ، والاقطار العربية . اضافة الى تغطية عامة لمجمل الحركات القومية في أوروبا منذ أوائل القرن التاسع عشر . وقد جاء في الكتاب عن مستقبل القومية العربية مايلي : « يجب أن نلاحظ أن العصر الذي نعيش فيه أصبح خليقا بالتسمية بعصر التكتلات ، لأن التطورات التي حدثت في الحياة الاقتصادية وفي الوسائل الحربية صارت تحمل الامم على التكتل ، ولو كانت متباينة اللغة والتاريخ والتقاليد ، فليس من المعقول أن نترك شعوب الامة الواحدة منفصلة ومتفرقة »



المؤامرة !

الناشر : دار صبرا للدراسات ـ دمشق .

سنة النشر : ١٩٨٤

تقديم : د . أحمد أبومطر .

عدد الصفحات والحجم : ٢٠٠ صفحة من الحجم المتوسط .

في عصر يوم الاربعاء الثالث عشر من شهر مايو ـ آيار سنة ١٩٨١ ، دوى الرصاص في مدينة الفاتيكان في روما ، وسقط البابا يوحنا بولس الثاني مضرجا بدمائه . . وتم اعتقال التركي محمد علي أغجا بتهمة اطلاق النار ، ومع أن أغجا اعترف باطلاق النار وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، الا أن الامر لم يقف عند هذا الحد . فأقوال أغجا المتناقضة وتاريخ حياته ومسار تنقلاته ، وحصوله على المال والسلاح ، وهروبه من السجن في تركيا قبل ذلك ، بعد أن كان محكوما عليه بالاعدام فيها ، أثار الكثير من التساؤلات والشكوك بألا يكون باعث الاغتيال فرديا .

وهكذا وبعد عام واحد من صدور الحكم أعيد فتح ملف القضية . . وتم توجيه مسارها للزج بأسماء وجهات أخرى ، وتوجيه الاتهام لها بأنها هي التي تقف وراء العملية . . .

فمن هي تلك الجهات . . . ولماذا تم توجيه الاتهام اليها بالذات ؟ هذا مايجيب عليه هذا الكاتب . . . .

يحتل أو هنري مكانا مميزا بين كتاب القصة القصيرة الكلاسيكية في العالم . ولا يأتي تميز أو هنري من غرابة الاجواء التي يرسمها ، بل من طرافتها ومن النهايات المفاجئة التي تنتهي بها قصصه .
لكن لمفاجآت أو هنري منحى آخر يلقى عليه هذا المقال بعض الضوء .

المفاجأة في قصص أوهنري

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

يقف الكاتب الأمريكي أو هنري في صف واحد مع كبار كتاب القصة القصيرة في العالم ، الذين تركوا بصماتهم عليها خلال السنين . فهو يذكر مع انطون تشيكوف الروسي ، وجي دوموباسان الفرنسي ، ووليام سومرست موم الانجليزي .

وكما اختلف انتماء هؤلاء الكتاب الى بلدان شتى ، كذلك اختلفت طرق كل منهم في معالجة مواضيع قصصه .

ويعتبر أو هنري من ألمع الكتاب الأمريكيين في مطلع القرن العشرين ، واسمه الأصلي وليام سيدني بورتر . وهو كاتب مكافح جرب مهنا عدة ، ودخل السجن متهما بالاختلاس ، وفي النهاية عندما بدأ الدهر يبتسم له سارعت يد المنون اليه وهو في قمة عطائه .

وقد ألف عديدا من القصص التي تعتبر كلاسيكية ، وجزءا من تراث الأدب القصصي الأمريكي . وتمتاز قصصه بسرعة الحركة والايقاع ، وتصف في معظمها المجتمع الأمريكي في مطلع هذا القرن،وخاصة أولئك المكافحين في سبيل لقمة العيش وما يقاسون في حياتهم ، وتدور أكثر قصصه في مدينة نيويورك حيث المتناقضات ، وحيث كان يعيش فيها ـ آنذاك ـ أربعة ملايين من الناس .

وتلعب المفاجأة دورا كبيرا في قصصه ، فبينما نرى القصة تسير في منحى معين ، نجد لدهشتنا ومتعتنا أن هذا المنحى قد انحرف بشكل حاد جدا ، فغير مسيرة القصة كلها وربما كانت هذه المفاجأة في السطر الأخير من القصة أو في الجملة الأخيرة . والمفاجأة في قصص أو هنري طريقة سارة تجلب للقارىء الراحة والمتعة . خلافا للمفاجأة لدى غيره من الكتاب .

جمال المفاجأة

ولتوضيح جمال المفاجأة وميزاتها في قصص أو هنري أورد فيما يلي ثلاثة نماذج منها : الأول في قصة « كف توبين وطالع السعد » . التي تدور حول توبين وهو شاب وفد الى نيويورك من ايرلندة على أن تلحق به خطيبته كاتي ماهورنر ومعها مدخراتها من المال . وتمضي الاسابيع دون أن يسمع خبرا عنها . وبينما هو يروح عن نفسه برفقة صديق له في مدينة ملاه في نيويورك يدخل الى حجرة عرافة لتستكشف طالعه ، فتحذره من رجل أسود ، وامرأة شقراء . وتخبره بأنه سيخسر بعض المال وسيركب البحر . غير أن طالع السعد سيأتيه في النهاية عن طريق رجل طويل ذي أنف أعوج .

لايصدق توبين تنبؤات العرافة ، وبينما يسير في مدينة الملاهي اذ بزنجي يلسعه في أذنه بسيجاره المشتعل فيشتبك معه ليتبين بعد ذلك أنه قد سرق محفظته . ويتوجه مع صديقه الى زورق ليركبا فيرى الى جواره امرأة شقراء جميلة فيرفع قبعته لتحيتها فتطير القبعة الى الماء . عندها يلتفت توبين الى رفيقه ويعدد ماجرى له من مصائب ويقول له : ألا ترى ؟ لقد صدقت العرافة في كل ماقالته ، ولابد لي من البحث عن ذي الأنف الأعوج ، حيث طالع السعد . وأخذ يحملق في الموجودين دون أن يلمح شخصا واحدا يمكن أن ينطبق عليه هذا الوصف ولو من بعيد .

وفي طريق العودة الى البيت يعثر على رجل طويل ذي أنف شديد الاعوجاج فيمسك به مع صديقه ويحكيان له عن نبوءة العرافة ، فيوافق على أن يصحبهما الى مقهى ، ويقضون معا وقتا طويلا دون أن يبرز السعد في وجهه .

ويكاد توبين يشعر باليأس فيشفق عليه الرجل ويدعوهما الى بيته لتناول العشاء واحتساء بعض الشراب ردا منه على دعوتهما إياه الى المقهى .

لدى قصاصين آخرين تنتهي القصة هنا . أما لدى أو هنري فللقصة بقية . يتابع الرجل : ان زوجتي نائمة ولكنني سأطلب من الخادمة الجديدة أن تصنع لكما بعض القهوة فان الصبية كاتي ماهورنر التي جاءت منذ ثلاثة شهور من ايرلنده تصنع قهوة طيبة .

المال والزحام

وأما النموذج الثاني فلا يقل متعة عن الأول . واسم القصة هو « اله المال » .

وتدور حول شاب هو ابن صاحب مصنع للصابون ، مفرط الغنى ويؤمن أن المال قادر على أن يصنع كل شيء ، وعندما يخبر هذا الشاب أباه أن ثمة أشياء كثيرة لا تشترى بالمال يسخر منه أبوه . ويروي الشاب لأبيه كيف أنه يتمنى أن يخطب فتاة أحلامه غير أنه لا يوجد لديه وقت لذلك ، اذ ستسافر الفتاة الى أوروبا لمدة عامين ولن يتاح له الا صحبتها من محطة القطار الى المسرح حيث تنتظرهما والدتها ، وهذه الرحلة القصيرة في شارع برودواي غير كافية لاعطائه الفرصة المناسبة لمحادثتها بشأن الخطبة .

وهكذا فهو مع وجود المال عاجز عن شراء بعض الوقت الذي يمكنه من خطبة الفتاة . ويذهب الشاب لمرافقة فتاته ويركبان في تاكسي . وبينما هما في منتصف شارع برودواي يزدحم السير فجأة ، وتشتبك العربات والسيارات اشتباكا شديدا في كل اتجاه ، وتُشل حركة المرور بسيارات من كل الحجوم والأشكال ، فلامجال للتقدم الى الأمام ولا الرجوع الى الوراء ، وتمضي قرابة ساعتين قبل أن تتمكن السيارات من التقدم ، يتاح للشاب فيهما أن يكلم الفتاة بشأن الخطبة .

وفي المساء يبشر الشاب أباه أنه قد نجح في مسعاه وأن المال لا دور له بذلك . هنا يمكن للقصة أن تنتهي لولا أن أو هنري يريد لها نهاية أخرى .

ففي اليوم التالي نجد شخصا يأتي الى والد ذلك الشاب ليسوي الحساب معه ، فقد احتاج الى مال كثير كي يستأجر العربات والسيارات ، ويكافىء سائقيها الذين التزموا بمواعيدهم وحققوا ذلك الزحام الممتاز .

ويقول الأب لهذا الرجل : انك لاتحتقر المال . . . أليس كذلك ؟ . ويجيب الآخر : لو رأيت الرجل الذي اخترع الفقر لعلوته بالسوط .

المواطن العالمي

والمثال الأخير على المفاجأة في قصص أو هنري . في القصة مواطن عالمي طاف حول العالم مرات ومرات ، فالكون موطنه وهو في بقعة مختلفة منه في كل آن . والدنيا بالنسبة له متناهية في الصغر . ومن أراد مراسلته فعنوانه ا . رشمور كوجلان . الكرة الأرضية ـ المجموعة الشمسية ـ الكون . وكفى بذلك عنوانا يدل عليه .

ويلتقي الكاتب هذا الرجل في مقهى فيحدثه عن العالم مشرقه ومغربه ، وهو الضليع العالم ، ثم يغادره والكاتب يشعر نحوه بالاحترام ، فهذا هو المثل الأعلى للمواطنية العالمية . وفجأة يتنبه الكاتب الى ضوضاء عنيفة نجمت عن شجار حصل في أحد أركان المقهى ، وعندما يتساءل عن سببها يرد عليه النادل : ان ذلك الرجل (المواطن العالمي) قد اشتبك مع شخص وجه اهانة يسيرة الى القرية الصغيرة التي ولد فيها . □

قصة مترجمة

الشرطي والنشيد

بقلم الكاتب الأميركي أو هنري

ترجمة : حسن محمود عباس

تحرك سوبي من على مقعده بتثاقل في ميدان ماديسون ، فعندما يرتفع صوت الاوز البري في عتمة الليل ، وعندما تأخذ النساء اللواتي لايمتلكن معاطف الفرو الفخمة في التودد الى أزواجهن، وعندما يغادر سوبي مقعده في الميدان متثاقلا : يمكنك حينئذ أن تتكهن بأن فصل الشتاء على الأبواب .

لقد سقطت ورقة شجر في حضن سوبي وكانت هذه الورقة بمثابة المؤشر الى قدوم الصقيع . ومن رأفة الصقيع بنزلاء ميدان ماديسون المنتظمين ، أنه يعلمهم بمجيئه في كل عام . فعلى كل ناصية من النواصي الأربع التي تلتقي عند تقاطع الشوارع ، يلوح الصقيع بريح الشمال منذرا منازل المشردين كافة،لعل هؤلاء النزلاء يعدون العدة ويأخذون الحذر .

لقد بات سوبي على علم بأن الوقت قد حان لأن ينخرط في جمعية تؤمن له وسيلة العيش ، وتصد عنه هذا العنف القادم ، لذلك قام متثاقلا عن مقعده في الميدان .

لم تكن تطلعات سوبي الى مأوى مفرطة في الطموح . فلم يضع في حسابه مثلا ، جولات في حوض البحر الأبيض المتوسط ، أو رحلات الى خليج ميزوفا . كل ما كانت تتوق اليه نفسه هو ثلاثة أشهر في الجزيرة المنشودة سجينا . ثلاثة أشهر يتوافر له فيها الطعام والشراب والمأوى والامن ، محترزا من ريح الشمال ومن عيون رجال الشرطة . كان ذلك يبدو له وكأنه غاية المرام .

كان بلاك ويلز المضياف ـ لسنين عديدة ـ مأواه الشتوي . وقد أعد سوبي عدته المتواضعة لهجرته السنوية الى الجزيرة ، تماما كما يفعل مواطنوه النيويوركيون الأوفر حظا ، عندما يبتاعون تذاكر السفر ، ويتجهون الى مشتاهم في (بالم بيتش والريفيرا) كل عام .

والآن حان الوقت . ففي الليلة الماضية لم تفلح ثلاث صحف افترش احداها والتحف بأخرى وأحاط رسغيه بالثالثة ، لم تفلح هذه الصحف في صد البرد عنه ، بينما كان نائما على مقعده بالقرب من النبع المتدفق في الميدان القديم . لذلك بدت الجزيرة في مخيلته كبيرة ومناسبة . كان ينظر بازدراء الى المعونات التي تقدم الى أمثاله من سكان المدن باسم الإحسان . كان القانون في نظر سوبي أكثر رحمة من الانسانية ، كان هناك العديد من المؤسسات الخيرية والمجالس البلدية التي يستطيع الاعتماد عليها في الحصول على مايحتاجه لحياة بسيطة من طعام ولباس . لكن نفس سوبي الشديدة الأنفة تزدري الصدقات ،



وتنظر اليها على أنها عبء ثقيل . فهو يعتقد أن المرء اذا لم يدفع مقابلاً ثمنا لما يأخذه من صدقات المحسنين فانه لامحالة ، دافع الثمن من كبريائه وكرامته . لذلك فانه خير للمرء أن يكون ضيفا على القانون . ورغم انه محدود بقواعد وأصول الا أنه لايتدخل في أمور الانسان الخاصة .

وما أن قرر سوبي الذهاب الى الجزيرة حتى شرع في بلوغ هذه الرغبة . فقد كانت أمامه عدة سبل سهلة يرتادها . أما أكثرها جلبة للسرور فهي : أن يدخل أحد المطاعم الراقية ، ويطلب وجبة عشاء دسمة . وبعد أن يفرغ من الأكل ويعلن عن عجزه عن سداد الثمن يقتاد بهدوء الى رجل شرطة ، ثم يترك الباقي الى قاض لطيف .

نهض سوبي عن مقعده وغادر الميدان متمشيا ثم عبر الشارع عند التقاء شارع برودواي بالشارع الخامس . وفي أعلى برودواي التفت وتوقف أمام مقهى متألق باهر حيث يجتمع فيه ليليا ، نخبة من خاصة الناس ، بملابسهم الفاخرة الانيقة ، وأمام كل منهم ما يشتهي من سائغ الشراب ولذيذ الطعام . وكان لسوبي ثقة عظيمة بنفسه ابتداء من الزر الأسفل في صدريته فصاعدا . كان حليق الذقن يرتدي معطفا مناسبا وربطة عنق سوداء أنيقة ، كانت قد أتت بها اليه سيدة ارسالية في يوم عيد الشكر . فاذا استطاع الوصول الى احدى موائد الطعام فلاشك أنه نجح . ذلك ان نصفه الأعلى ـ بعد أن يجلس الى المائدة ـ لن يثير ريبة النادل . وأخذت أصناف الطعام تترى في مخيلته . قال سوبي في نفسه : بطة محمرة لابد من أن تكون مقنعة ، ومعها كمية من الجبن الفرنسي أيضا وفنجان قهوة وسيجار . أما السيجار فيكفيه دولار واحد ، ولن يكون مجموع التكاليف مرتفعا الى الحد الذي يجلب معه رغبة الادارة في الانتقام ، هذا فضلا عن أن اللحم سيشبعه ويجعله سعيدا في رحلته الى مهجره الشتوي .

ولكن بينما كان سوبيُ يخطو خطواته الاولى داخل المطعم ، وقعت عينا كبير الخدم على سرواله المهترىء وحذائه المنحط . ومالبث أن وجد يدا قوية تمسك بكتفه وتشده الى الوراء ، لتوصله بهدوء الى الشارع ، وتحول بينه وبين البطة المحمرة الفاخرة .

وغادر سوبي شارع برودواي ، بعد أن بدا له أن سبيله الى الجزيرة المرجوة لن يكون شهوانيا ، وأن عليه أن يفكر في وسيلة أخرى لبلوغ السجن . وفي احدى زوايا الشارع السادس رأى مجموعة من السلع المعروضة بدهاء ، خلف واجهة زجاجية وشعاع المصابيح ينعكس عليها . كانت مجموعة السلع هذه جيلة رائعة . فتناول سوبي حجرا وقذف به الواجهة الزجاجية ، فتدافع الناس نحو زاوية الشارع ، وكان في مقدمتهم واحد من رجال الشرطة . ظل سوبي واقفا ويداه في جيبيه ، وقد ابتسم مسرورا برؤية الأزرار النحاسية الصفراء .

سأله الضابط بحنق : « أين الرجل الذي فعل هذا ؟ »

ألا تعتقد انه يمكن أن أكون ضالعا في هذا الذي جرى ؟

أجاب سوبي بشيء من التهكم ، ولكن بتودد كما لوكان يبادله التحية . وانصرف تفكير الشرطي عن سوبي انصرافا تاما ، ولم يرض به أن يكون مجرد دليل أو مفتاحا للموقف . ان الذين يكسرون واجهات العرض لايمكثون ليتبادلوا الحوار مع ممثلي القانون . انهم عادة يلوذون بالفرار . ووقعت عينا الشرطي على رجل في الطرف الآخر من العمارة ، يركض جاهدا آملا في اللحاق بسيارة أجرة ، فأمسك بهراوته

وانهمك في مطاردته . أما سوبي فقد سار في الطريق متسكعا حائر النفس مشمئزا ، بعد أن أخفق مرتين .

وعلى الرصيف المقابل من الشارع رأى مطعما تبدو عليه البساطة نوعا ما ، وهـذا المطعم يقـدم أطعمة شهية لاتكلف كثيرا ، ففي أجوائه العامة لاتجد الذوق الرفيع ، ولا في مفارش الموائد أيضا . حتى الأواني الخزفية فيه والحساء من النوع الخفيف الرقيق .

في هذا المكان دخل سوبي بحذائه اللعين وسرواله المهترىء ، وأخذ مكـانا حـول احدى المـوائد ، ثم طلب لحما مشويا ، وكعكة بالبيض ، وكعكة أخرى محلاة ، وفطيرة . وأخيرا أشار الى النادل وأخبره بأنه لايملك من النقود أقلها . وقال :

ـ « الآن تستطيع أن تتصرف وتدعـو شرطيا ، اذ لاداعي لأن تترك رجلا مهذبا مثلي ينتظر » .

ـ « لست بحاجة الى شرطي »قالها النادل بصوت فيه



هشاشة الكعث وعين تشبه توت مانهاتن . وصاح : « هاي كون ! » فأمسك به اثنان من عمال المطعم وطرحاه أرضا على الرصيف الصلب . ونهض سوبي رويدا رويدا كما تفتح مسطرة النجار ، ونفض الغبار عن ملابسه . وبدا له السجن وكأنه حلم وردي ، وكذلك لاحت له الجزيرة على البعد البعيد . أما الشرطي الواقف على بعد أمتار من أمام مخزن أدوية ، فقد ضحك واستدار متخذا سبيله على امتداد الطريق .

وسار سوبي على طرل خمس بنايات أخرى ، قبل أن تسعفه شجاعته في طلب السجن ثانية . أما الفرصة التي أتيحت له هذه المرة فهي من النوع الذي اصطلح مع نفسه على تسميته بـ « الضمانة » ، فهذه امرأة شابة في زي جميل معتدل تقف أمام واجهة عرض ، وتنظر في اهتمام بالغ الى المعروضات من آلات الحلاقة وأدوات الكتابة ، وعلى بعد مترين منها تنتصب قامة مديدة ضخمة لأحد رجال الشرطة من ذوي المسلك الخشن ، وقد اتكأ على ماسورة ماء .

وكانت خطة سوبي تتلخص في أن يقوم بدور العاشق البغيض . وقد شجعه مظهر ضحيته الأنيق ، واقتراب الشرطي اليقظ منها ، على الاعتقاد بأنه سوف يستشعر في الحال ، قبضة هذا الرجل المرجوة وقد حطت على ذراعه لتؤمن مأواه الشتوي على تلك الجزيرة الصغيرة العزيزة المنال .

واتخذ وضع استعداد . فباشر في تسوية الربطة التي كانت قد منحته اياها إحدى سيدات الارسالية ، وسحب الأزرار المنكمشة تحت سترته لتبدو جلية واضحة . وأمال قبعته إمالة تسترعي الانتباه ، واتجه نحو السيدة الشابة . فصوب اليها نظراته وعزز تلك النظرات بصوت هو بين السعال والنحنحة ، وتكلف الابتسام وبدأ ـ بوقاحة ـ يقوم بدوره الشائن كعاشق أحمق .

ولم يفته أن يقتنص النظر الى الشرطي ، فوجده يراقب الموقف عن كثب . لكن السيدة ابتعدت بضع خطوات وصبت اهتمامها كله على أدوات الحلاقة وتبعها سوبي . ثم دنا منها بجسده ورفع قبعته وقال : « آه بيداليا : ألا تودين المجيء معي واللعب في فناء بيتي ؟ » .

هذا والشرطي ما زال يراقب الموقف . وما كان ينبغي للسيدة ـ وهي عرضة للمضايقة ـ الا أن تشير بأصبعها ليُقتاد سوبي فعلا الى الجزيرة المأوى . وأدارت المرأة وجهها اليه ومدت يدها وأمسكت بكم معطفه جذلة وهي تقول :

ـ « بالتأكيد يا مايك كنت سأكلمك لو أن الشرطي لم يكن يراقبنا » وفيما كانت المرأة تلعب لعبة النبات المتسلق على شجرة البلوط ، سار سوبي وإياها متجاوزا الشرطي وقد انتصر انتصارا كئيبا . وبدا وكأن الحرية قد قدرت عليه بالرغم منه .

وفي الزاوية الأخرى من الشارع أفلت سوبي من صديقته وولى هاربا ، ولكنه توقف في إحدى المناطق حيث تكون الشوارع ليلا قليلة الاضاءة ، وحيث توجد القلوب والنذور وتتجاوب أصداء الاوبرا . في هذا المكان ، تروح وتغدو نساء يرتدين الفراء ، ورجال يلبسون المعاطف العظيمة ، وهم جميعا يستمتعون بهواء الشتاء .

لكن خوفا مفاجئا استولى عليه ظناً منه أن سحرا رهيبا قد جعله آمنا وحال بينه وبين أن يسجن . فجلبت له هذه الفكرة شيئا من الرعب . وبينما هو يمر برجل آخر من رجال الشرطة ، يتمشى على مهل أمام أحد المسارح الفخمة ، خطرت له بسرعة فكرة التعلق بقشة « السلوك السيىء » .

وعلى جانب من الشارع رفع سوبي عقيرته وأخذ بكل ما في صوته من نُكر ، يصرخ ويغني . واستمر على حاله يرقص ويهذي ويصرخ الى أن أزعج المارة . وما كان من الشرطي الا أن لوح بعصاه ثم أدار ظهره الى سوبي وأخذ يشرح لاحد المواطنين من المارة : « انه واحد منهم . أولاد من ييل يحتفلون باهداء بيضة الأوزة الى كلية هارتفورد . انهم مقلقون ولكن لا [illegible]نهم أذى . لدينا تعليمات بأن نتركهم [illegible] » .

[illegible] سوبي من صوته ، وتوقف عن [illegible] الجلبة [illegible] .أليس من شرطي يلقي علي [illegible] ؟ [illegible]ت الجزيرة في مخيلته [illegible]

[illegible] من [illegible]

وانهمك في مطاردته . أما سوبي فقد سار في الطريق متسكعا حائر النفس مشمئزا ، بعد أن أخفق مرتين .

وعلى الرصيف المقابل من الشارع رأى مطعما تبدو عليه البساطة نوعا ما ، وهذا المطعم يقدم أطعمة شهية لاتكلف كثيرا ، ففي أجوائه العامة لاتجد الذوق الرفيع ، ولا في مفارش الموائد أيضا . حتى الأواني الخزفية فيه والحساء من النوع الخفيف الرقيق .

في هذا المكان دخل سوبي بحذائه اللعين وسرواله المهترىء ، وأخذ مكانا حول احدى الموائد ، ثم طلب لحما مشويا ، وكعكة بالبيض ، وكعكة أخرى محلاة ، وفطيرة . وأخيرا أشار الى النادل وأخبره بأنه لايملك من النقود أقلها . وقال :

ـ « الآن تستطيع أن تتصرف وتدعو شرطيا ، اذ لاداعي لأن تترك رجلا مهذبا مثلي ينتظر » .

ـ « لست بحاجة الى شرطي »قالها النادل بصوت فيه



هشاشة الكعك وعين تشبه توت مانهاتن . وصاح : « هاي كون ! » فأمسك به اثنان من عمال المطعم وطرحاه أرضا على الرصيف الصلب . ونهض سوبي رويدا رويدا كما تفتح مسطرة النجار ، ونفض الغبار عن ملابسه . وبدا له السجن وكأنه حلم وردي ، وكذلك لاحت له الجزيرة على البعد البعيد . أما الشرطي الواقف على بعد أمتار من أمام مخزن أدوية ، فقد ضحك واستدار متخذا سبيله على امتداد الطريق .

وسار سوبي على طرل خمس بنايات أخرى ، قبل أن تسعفه شجاعته في طلب السجن ثانية . أما الفرصة التي أتيحت له هذه المرة فهي من النوع الذي اصطلح مع نفسه على تسميته بـ « الضمانة » ، فهذه امرأة شابة في زي جميل معتدل تقف أمام واجهة عرض ، وتنظر في اهتمام بالغ الى المعروضات من آلات الحلاقة وأدوات الكتابة ، وعلى بعد مترين منها تنتصب قامة مديدة ضخمة لأحد رجال الشرطة من ذوي المسلك الخشن ، وقد اتكأ على ماسورة ماء .

وكانت خطة سوبي تتلخص في أن يقوم بدور العاشق البغيض . وقد شجعه مظهر ضحيته الأنيق ، واقتراب الشرطي اليقظ منها ، على الاعتقاد بأنه سوف يستشعر في الحال ، قبضة هذا الرجل المرجوة وقد حطت على ذراعه لتؤمن مأواه الشتوي على تلك الجزيرة الصغيرة العزيزة المنال .

واتخذ وضع استعداد . فباشر في تسوية الربطة التي كانت قد منحته اياها إحدى سيدات الارسالية ، وسحب الأزرار المنكمشة تحت سترته لتبدو جلية واضحة . وأمال قبعته إمالة تستدعي الانتباه ، واتجه نحو السيدة الشابة . فصوب اليها نظراته وعزز تلك النظرات بصوت هو بين السعال والنحنحة ، وتكلف الابتسام وبدأ ـ بوقاحة ـ يقوم بدوره الشائن كعاشق أحمق .

ولم يفته أن يقتنص النظر الى الشرطي ، فوجده يراقب الموقف عن كثب . لكن السيدة ابتعدت بضع خطوات وصبت اهتمامها كله على أدوات الحلاقة وتبعها سوبي . ثم دنا منها بجسده ورفع قبعته وقال : « آه بيداليا : ألا تودين المجيء معي واللعب في فناء بيتي ؟ » .

هذا والشرطي ما زال يراقب الموقف . وما كان ينبغي للسيدة ـ وهي عرضة للمضايقة ـ الا أن تشير بأصبعها ليُقتاد سوبي فعلا الى الجزيرة المأوى . وأدارت المرأة وجهها اليه ومدت يدها وأمسكت بكم معطفه جذلة وهي تقول :

ـ « بالتأكيد يا مايك كنت سأكلمك لو أن الشرطي لم يكن يراقبنا » وفيما كانت المرأة تلعب لعبة النبات المتسلق على شجرة البلوط ، سار سوبي وإياها متجاوزا الشرطي وقد انتصر انتصارا كئيبا . وبدا وكأن الحرية قد قدرت عليه بالرغم منه .

وفي الزاوية الأخرى من الشارع أفلت سوبي من صديقته وولى هاربا ، ولكنه توقف في إحدى المناطق حيث تكون الشوارع ليلا قليلة الاضاءة ، وحيث توجد القلوب والنذور وتتجاوب أصداء الاوبرا . في هذا المكان ، تروح وتغدو نساء يرتدين الفراء ، ورجال يلبسون المعاطف العظيمة ، وهم جميعا يستمتعون بهواء الشتاء .

لكن خوفا مفاجئا استولى عليه ظناً منه أن سحرا رهيبا قد جعله آمنا وحال بينه وبين أن يسجن . فجلبت له هذه الفكرة شيئا من الرعب . وبينما هو يمر برجل آخر من رجال الشرطة ، يتمشى على مهل أمام أحد المسارح الفخمة ، خطرت له بسرعة فكرة التعلق بقشة « السلوك السيء » .

وعلى جانب من الشارع رفع سوبي عقيرته وأخذ بكل ما في صوته من نُكر ، يصرخ ويغني . واستمر على حاله يرقص ويهذي ويصرخ الى أن أزعج المارة . وما كان من الشرطي الا أن لوح بعصاه ثم أدار ظهره الى سوبي وأخذ يشرح لاحد المواطنين من المارة : « انه واحد منهم . أولاد من ييل يحتفلون باهداء بيضة الأوزة الى كلية هارتفورد . انهم مقلقون ولكن لا [illegible] منهم أذى . لدينا تعليمات بأن نتركهم » .

[illegible] سوبي من صوته ، وتوقف عن [illegible] الجلبة [illegible] .اليس من شرطي يلقي علي [illegible] ؟ [illegible] ت الجزيرة في مخيلته و [illegible]

سيجارة عند ضوء متأرجح ، وقد وضع مظلته الحريرية عند مدخل الباب ، فاقترب سوبي من المدخل واختطف المظلة ، وسار بها في الشارع ببطء شديد . فتبعه الرجل صاحب السيجار مسرعا وصاح « مظلتي إنها لي »

أجاب سوبي بازدراء مضيفا تهمة الاهانة الى هذه السرقة الطريفة واستطرد :

ـ « لماذا لا تنادي على الشرطي ؟ أنا أخذتها ! مظلتك ؟ لماذا لا تنادي على الشرطي ؟ هناك عند الزاوية يقف شرطي » .

وأبطأ صاحب المظلة في مشيته . وكذلك فعل سوبي وفي دخيلته شعور بأن الحظ سيخذله مرة أخرى . ونظر الشرطي الى الرجلين باستغراب . قال صاحب المظلة : « طبعا ـ هذه ـ حسنا : أنت تعرف كيف ترتكب مثل هذه الاخطاء ـ أنا ـ اذا كانت هذه مظلتك فأرجو المعذرة ـ كنت قد أخذتها هذا الصباح من أحد المطاعم ـ فاذا أيقنت أنها لك أرجو أن . . »

وقاطعه سوبي بشدة : « نعم انها لي » وتراجع صاحب المظلة . وأسرع الشرطي عبر الشارع ليقدم العون الى شقراء طويلة بلباس الاوبرا .

توجه سوبي شرقا في أحد الشوارع المحفورة لغرض الاصلاح ، وفي إحدى الحفر ألقى بالمظلة ، وتمتم بكلمات شتم فيها الرجال الذين يلبسون الخوذ ويحملون الهراوات . لقد بدا وكأنهم يقدرونه أعظم القدر كما لو كان ملكا مبرأ من العيب والخطأ ، هذا في الوقت الذي كان بأمس الحاجة لأن يلقوا عليه القبض .

وفي النهاية وصل سوبي الى أحد الشوارع شرقا ، حيث قد خفت الضوء والضجيج ، واتجه ببصره نحو ميدان ماديسون ، ذلك أن غريزة الاقامة والميل اليها يبقيان حتى لو كان البيت مجرد مقعد خشبي في حديقة .

وعند زاوية هادئة هدوءا غير عادي توقف سوبي توقفا تاما . هنا تنتصب أمامه كنيسة مخروطية الشكل من الطراز القديم . كان النور الخافت يشع من إحدى النوافذ ، حيث يمارس عازف الأرغن التدريب على نشيد الأحد القادم . لقد تسرب صوت موسيقى شجي الى أذنيه ، جعله يتسمر في مكانه متكئا على السياج ذي اللفائف المعدنية .

كان القمر من فوقه ساطعا قويا ووقورا . وكانت حركة المشاة ووسائط النقل قد قلت . والطيور التي على أغصانها كانت تزقزق ناعسة في المساء .ذلك أن هذا المنظر الذي أمامه ربما تحول بعد ساعات الى قبور في فناء كنيسة . والنشيد الذي كان يعزفه عازف الأرغن هو الذي جعل سوبي يلتصق بالسياج المعدني ، لأنه سبق أن سمعه أيام كانت حياته تحتوي على أشياء كالأمهات والطموح والزهور والأصدقاء والأفكار النقية .

ان الرابط بين حالته الذهنية المتفتحة والمؤثرات التي أحاطت بالكنيسة القديمة صنعت تحولا مفاجئا ومدهشا في نفسه . لقد اتضحت أمام بصيرته وبسرعة رهيبة الهوة السحيقة التي وقع فيها ، والأيام التعسة التي يحياها ، والرغبات التافهة والآمال المريضة والقدرات المحطمة والدوافع الدنيئة التي كان يقوم عليها وجوده .

لقد تفتح قلبه واستجاب لهذا النمط الجديد من التفكير . هكذا تحركت في نفسه دوافع سريعة مفاجئة وقوية ، ليعلن الحرب على حظه التعس . سوف ينتشل ذاته من الوحل . سوف يقهر الشيطان الذي إستوطن روحه . وفي عمره متسع لذلك . فهو ما زال شابا الى حد ماسيبعث طموحاته من جديد . وسيسعى الى تحقيقها دون تردد . لقد زرعت نغمات الارغن الهادئة العذبة بذور الثورة في نفسه . وغداً سوف يذهب الى المدينة الصاخبة الحافلة بالحياة ليبحث عن عمل .

كان أحد مستوردي الفراء قد عرض عليه ذات يوم أن يعمل سائقا . سيجدّ في البحث عنه غداً للحصول على تلك الوظيفة . لابد أن يكون شيئاً ما في هذا العالم .

ولسوف . . .

وأحس سوبي بيد تحط على كتفه . واستدار بسرعة ليجد نفسه وجها لوجه مع واحد من رجال الشرطة .

سأله الشرطي : « ماذا تفعل هنا » ؟

أجاب : لاشيء .

قال الشرطي : « اتبعني اذن » .

وفي اليوم الثاني قال قاضي محكمة الشرطة : « حكمت عليك المحكمة بالسجن ثلاثة أشهر تقضيها في الجزيرة »! □

رحلة الخراساني إلى الموت

بقلم : الدكتور محمد المنسي قنديل

كان أبو مسلم الخراساني سيف الدعوة العباسية البتار . وحين تم للعباسيين الانتصار ، رأى المنصور أن ثمن اكتمال الخلافة له لا يتم الا بمواجهة عنيفة ضد الخراساني .

وكان بين الاثنين بحر من المرارة والعداء . وهذه هي قصة اللقاء الاخير بين الخراساني والمنصور في « الرومية » ، تلك الخيمة التي شهدت مصرع الخراساني .

عندما حانت ساعة الرحيل قال له « ينزك » : ان كان لا بدمن ذهابك الى الخليفة فافعل شيئا واحدا ولا تفعل غيره . . اذا دخلت عليه فاقتله .

همس أبو مسلم في ذهول :

ـ أقتل الخليفة ! ؟

ـ والله ان لم تفعل فلن تخرج من عنده على قدميك . .

كأن ينزك كان يقرأ ذات نفسه . يرى روحه المتعبة القلقة التي تشعر بالخوف للمرة الاولى ، وتوشك أن تقوده الى الانتحار . كان أبو مسلم قد خاض عشرات المعارك وقتل آلاف الناس ، وكان يؤمن أنه لا يوجد سوط للعقاب الا السيف ، ولا يوجد سجن غير القبر . فهل يجرؤ على رفع سيفه في وجه الخليفة أبي جعفر المنصور ؟ . .

الكلمات العذبة . . الفخ الأول . .

كيف استدار الزمن هذه الدورة . . وتحول أخلص القواد الى فار مذعور يراد له أن يساق الى المصيدة . منذ أن حضر رسول الخليفة اليه وهو عاجز عن النوم . وعاجز عن اتخاذ القرار . . قبل ذلك كان يعتقد أنه قادر على مغالبة الدنيا كلها .

في البداية تحدث إليه الرسول بكلمات لينة عذبة . . ولكن أبا مسلم كان قد رأى ما يكفي من الدماء حتى لا تخدعه بلاغة الكلمات .

.. وهتف بالرسول :

- ارجع الى صاحبك فلست أريد لقاءه ..

وقال الرسول حميد في هدوء :

- أو قد عزمت على مخالفته .. ؟ لا تفعل .

كانت هناك رسالة أخرى أبقاها الرسول حتى اللحظة الأخيرة .. حتى لحظة اليأس من الموافقة الطائعة لأبي مسلم .. قال :

- فان الخليفة يبلغك أنه بريء من محمد ان أبيت أن تأتي اليه أو عصيته .

ولن يألو في طلبك وقتالك بنفسه ، ولو خضت البحر لخاضه ، ولو اقتحمت النار لاقتحمها حتى يفتك بك .. أو يموت دون ذلك .

ووجم أبو مسلم . كانت هذه هي المرة الاولى التي يتلقى فيها تهديدا بهذه الحدة . وهمس :

- هو بنفسه .. قال لك هذه الكلمات .. ؟

وأومأ حميد في صمت وانصرف .. تاركا أبا مسلم في حالة غريبة .. وظل طوال الليل يفكر في حدة هذه الكلمات ، ويقارنها بعذوبة كلمات الرسالة الأولى .. ويحاول أن يجد لنفسه بينهما مخرجا . تذكر المرات التي تقابل فيها مع الخليفة أبي جعفر المنصور .. كما تتقابل النصال .

في كل مرة يتولد جرح جديد لا يصيب مقتله . فهل حان وقت الاجهاز .. ؟

النبوءات الغامضة .. الفخ الثاني

بدأ الرحيل عن خراسان في قافلة طويلة محملة بالهدايا لعل الخليفة يرضى . محفوفة بالفرسان لعله يرتدع .. وأبو مسلم في المقدمة صامت الوجه .. يردد في داخله بيتا من الشعر ..

ما للرجال مع القضاء محالة
ذهب القضاء بحيلة الأقوام ..

وكان الطريق الى مدينة الري طويلا . وأحاط به فرسانه فأحس ببعض الأمان . وأراد أن يطمئن نفسه أكثر ، فأخذ يتذكر كل انتصاراته السابقة . كان يمر بكل القرى التي غزاها .. والمدن التي اقتنصها من أيدي ولاة بني أمية . كان ما يزال شابا صغيرا عندما قابل الامام العباسي ابراهيم بن محمد وكانت الدعوة سرية أشبه بحلم غامض من أحلام الخلاص . ومنذ المقابلة الأولى اكتشف الامام الشخصية الطاغية لهذا الفتى وجعله يحتل مركزا هاما في الدعوة وهتف ببقية الوفود :

- أبو مسلم منا نحن آل العباس . أطيعوه .. تطيعونا ..

وبدأت رحلته الفريدة تحت الراية السوداء .. يظهر ويختبيء ، ويستغل نغرات بني أمية وخلافاتهم ، وجشع الولاة ، وتوق الناس للتغيير . وأصبحت فارس عجينة طيعة في يديه يشكلها كما يشاء ، ولا يراجعه فيها أحد . وقتل الخليفة الأموي مروان بن محمد الامام وتولى بعده أبو العباس ، ثم ظهر أبو جعفر المنصور .. وتغير كل شيء ..

في الظهيرة توقفت القافلة للراحة ، وجاء أحد العرافين الى خيمة أبي مسلم . قالوا له ان هذا العراف ماهر في التنبؤ بالمستقبل ، فسأله في سخرية مريرة :

- هل يمكن أن تخبرني أين سأموت ؟ ..

نظر العراف اليه بعينيه النافذتين ثم قال في تأكيد :

- تموت في بلاد الروم ..

وضحك أبو مسلم في انشراح . كان من المقرر أن يتقابل مع الخليفة في المدائن .. وهمس كأنه يحدث نفسه :

- ما أبعد المدائن عن أرض الروم ..

وأعطاه عطاء جزيلا رغم أنه لم يصدقه كثيرا .

في خراسان تقابلا للمرة الأولى بعد أن سقطت دولة بني أمية ، وأعلن أبو العباس نفسه خليفة للمسلمين وأبا جعفر وليا للعهد . كان أبو جعفر طوال هذا الصراع الدامي معتكفا في قرية « الحميمة » يدرس الفقه والتفسير . وخرج فجأة من هذه العزلة لكي يتصدر الدولة . وقف في وجه القائد الذي نهضت هذه الدولة على حد سيفه في معقله بخراسان ، ليأخذ البيعة لاخيه ثم له من بعده . ثم أفضى بشكوكه حول تصرفات أبي سلمة ، داعيتهم الأول في فارس ، وصديق أبي مسلم ، عندما تباطأ في أخذ البيعة ، وتناثرت الأقوال الى أنه يميل للعلويين ، وأراد أبو مسلم أن يبين لهذا الفقيه الخارج من عمق الصحراء كيف يتصرف القائد الحازم عندما لا يأبه بعواطفه الشخصية ، فأسرع باستدعاء صديقه القديم ولم يسأله . ولم يترك له فرصة لتوضيح أي



شيء ، ولكن قتله على الفور أمام عيني الفقيه المذهول . . الذي هتف به لحظتها :

ـ حدثوني كثيرا عن شدتك . . لكنني لم أتصورها لهذه الدرجة .

وقال أبو مسلم في سخرية خفية :

ـ لو بحثنا عن فتوى لكل قتلة ما قامت الدولة .

كان مقدرا لهما أن يلتقيا للمرة الثانية في موسم الحج . كتب أبو مسلم يستأذن الخليفة أبا العباس في أن يخرج للحج . وكان يريد أن يكون هو قائد الموسم ، وأن يعطي لنفسه نوعا من الشرعية الدينية غير شرعية السيف . ولكن أبا جعفر كتب هو أيضا للخليفة . وأصبح أبو جعفر أميرا للحج ، ربما كان ذلك بفعل المصادفة ، وربما كان تدبيرا عباسيا محكما ، حتى لا يُعطى أبو مسلم أكثر مما أخذ ، ولكنه شعر بالغيظ الشديد . . وهتف وهو يلقي كتاب الخليفة :

أما وجد أبو مسلم عاما يحج فيه غير هذا . .

وسمح له الخليفة أن يخرج في رفقة خمسمائة من أتباعه ، فخرج في عشرة آلاف . كأنه أراد أن يؤكد من طرف خفي أن للقوة نفس سطوة الامارة . وسار في الصحراء يفتحها من جديد . أغمد سيفه وبسط يده ، فحفر الآبار ، وكسا الأعراب ، وأقام الموائد ، وأجزل العطايا ، ووصل الشعراء ، وترك أبا جعفر على الجانب الآخر قابعا في الظل ، يتأمل كل شيء ، ولا يغيب عن ذهنه شيء . لم يكن في هذه اللحظة

رجلا قويا يأتمر الرجال بأمره ولم يكن سخيا ، ولم يكن يحب الشعراء أو يميل لغناء الجواري . وكان يعتقد ان الآبار الموجودة في الصحراء كافية ، ولكن الشيء الذي تأكد له بعد هذه الرحلة انه لا أخوه على عرشه في بغداد ، ولا هو على امارة الحج يملكان شيئا بقدر ما يملك هذا الرجل .

وعندما انتهى الموسم واصل أبو مسلم لامبالاته به . كان يصر دائما على أن يتقدمه على الطريق ، وأن يتركه دائما خلفه ، يشرب من الماء العكر . وتأكل دوابه من بقايا العشب ، ويتأمل عبيده آثار الولائم ، ولكن في منتصف الطريق جاءت الانباء من بغداد بأن الخليفة قد مات .

وأصبح ذلك الفقيه المتأخر هو الخليفة . . وبدأت وفود الناس تبايعه ، ولكن أبا مسلم لم يرجع حتى يلقاه . ولم يتوقف حتى يلحق به . أرسل فقط رسالة باهتة يعزيه فيها بموت الخليفة ، ولا يهنئه بالخلافة . وللمرة الاولى ثار الفقيه الذي أصبح خليفة . أرسل له رسالة غليظة أن ينتظر في « الانبار » ولا يتزحزح خطوة واحدة حتى يأتي اليه . ورفع أبو مسلم حاجبيه في سخرية ، وجاء الخليفة اليه . أخذ بيعته وهو يشعر أنه محاصر بجنود لا يكنون له أي ولاء وأمرّ من ذلك أن جروح القرابة القديمة بدأت في النزف مرة أخرى . فقد استيقظ أولاد العم من العلويين ، وبدأ زعيمهم عبد الله بن علي يطالب بالخلافة لنفسه . وكان من العسير على أي خليفة أن يبدأ عصره بمحاربة عمه . ومرة أخرى كانت الحاجة ملحة لأبي مسلم وجنوده من خراسان ، ولكنه قال في استخفاف :

ـ عبد الله بن علي أمره هين وجنوده قليلون ، وأمر الخوارج على أطراف خراسان أهم وأخطر .

كان كل منهما يفهم جيدا . لذا فقد أصرّ الخليفة على ذهابه . ولم يجد أبو مسلم بدا من الذهاب . وهناك كان موعد آخر . كان مقدرا له أن يرى الشيء الذي زلزل حياته المليئة بالقسوة والدم ، والشيء الذي ملأه بالمرارة والشفقة والحزن والحنين . . كان مقدرا له أن يرى عيني أمينة بنت علي .

الحب المستحيل . . الفخ الثالث

على أبواب « الري » كان أشراف بني العباس في انتظاره ، في ثيابهم الرسمية . والرايات ترفرف فوق الاسوار . كانوا جميعا قد تركوا بغداد والبصرة والكوفة ، وهرعوا ليكونوا في انتظاره . . حتى الخليفة أيضا سار اليه حتى منتصف المسافة وجلس ينتظره في « المدائن » . . هل كان الامر يستحق كل هذا ؟

لم ينس الخليفة شيئا . . فبين أشراف بني العباس كان عيسى بن موسى خال الخليفة وصديق أبي مسلم . وسأله أبو مسلم في قلق .

ـ يا عيسى . . أترى الخليفة يغدر بي ؟ . .

قال عيسى في استنكار

ـ ما هذا . . أو قد غدر بأحد من قبل . . ! ؟ على أي حال لا تخش شيئا . . وسوف أكون معك في مجلسه . .

واطمأن أبو مسلم بعض الشيء . . وتناول الطعام لأول مرة منذ أن غادر خراسان . وأوى الى فراشه لعله يستطيع النوم . . استلقى وسيفه في خاصرته ، وغفا قليلا ، ولكنه استيقظ مفزوعا وأحد الحراس يخبره . . ان هناك امرأة تطلب رؤيته . .

امرأة . أهو فخ آخر . !؟ ظل جالسا حتى دخلت . . ورفعت النقاب عن وجهها . لا بد وأنه كان يحلم . كانت هي أمينة بنت علي . يالله !! كيف تداخلت الأزمنة . وتفتحت شقائق النعمان من الجروح القديمة ، وتحول السيف الى سنبلة ، ولحظة الخوف الى ارتعاشة من العشق . ظل مبهورا بدخولها المفاجيء حتى قالت :

ـ لم يبق لك الا بضعة فراسخ على الموت .

وأحنى أبو مسلم رأسه في مرارة وهو يقول :

ـ أنت أيضا تتمنين موتي ؟

قالت بصوت بارد :

ـ ليس وحدك . وددت لو كان موتكما معا . . أنت والخليفة .

ـ حسبت أنك آتية لتحذيري .

ـ هل ستقتله لو حذرتك ؟ كلا . . أنت لست سوى سيف . . والسيوف عمياء .

ـ لست أعمى . لقد أحببتك ، وأرسلت الى الخليفة أطلب الزواج بك .

ـ أتراه كان الحب ؟ أم كان الطموح القاتل يا أبا مسلم ؟

الخيمة الغريبة . . الفخ الأخير

في ظهيرة يوم مشرق صاف دخل أبو مسلم الخراساني « المدائن » من بوابتها الشرقية . وكانت المدينة كلها في انتظاره . الأعلام على الأسوار ، والزهور تفرش الطرقات . وكان أبو أيوب وزير الخليفة في انتظاره . أخذه بالأحضان وهو يهتف به :

ـ الخليفة في شوق غامر لاستقبالك .

وقاده الى حيث يقيم ، لم ينزل في قصر من قصور المدائن . كان الفقيه الرابض في داخله ينزع عنه الراحة اذا أقام في قصور الأكاسرة . لذا فقد نصب خيمة ضخمة غريبة حمراء اللون متعددة الجوانب في وسط ساحة المدينة . وتوقف أبو مسلم مستغربا وهو يهتف :

ـ يالها من خيمة غريبة لم أر مثلها من قبل .

قال أبو أيوب :

ـ لقد صنعت خصيصا للخليفة في بلاد الروم . . لذلك فقد أطلق عليها « الرومية » . .

وخطا أبو مسلم خطوته الأولى فوق طنافس « الرومية » ووقف قادته وفرسانه في الخارج ، أحاطوا بالخيمة بصورة لا يخطىء أحد دلالتها . وكان أبو مسلم يجتاز الأروقة ، ويدوس فوق البسط الحمراء التي بدت كأنما أعدت خصيصا لاخفاء آثار الدم .

ثم وصلا الى حيث يقيم الخليفة . . حاول الحارس الواقف على الباب أن يأخذ سيفه منه فأبى ، وأشار أبو أيوب للحارس فتراجع . ودخل أبو مسلم . كانت يده تحت العباءة ممسكة بمقبض السيف ، والخليفة واقف في مواجهته . لا واجما ولا مبتسما . كانت تفصل بينهما مسافات طويلة من الحقد والمرارة ، ولم يكن أحد يدري كيف يمكن تخطيها ، وفكر أبو مسلم أنه لو خطا نحوه خطوة واحدة فسوف يقتله ، ولكن الخليفة لم يخط . . ابتسم . . ضغط على عضلات وجهه حتى ابتسم . وقال :

ـ لعلك متعب من سفرك الطويل . اذهب فأرح نفسك . . وادخل الحمام . . وسوف أراك في الغد ان شاء الله .

وانتهت المقابلة الاولى ببساطة آسرة . ووجد أبو مسلم نفسه يحني رأسه وهو يتنهد في ارتياح . وعبر كل الابسطة ، وخرج من « الرومية » حيث كانت الشمس وأصحابه في انتظاره . أحسوا جميعا فجأة أن الخليفة لن يقتل أبا مسلم . . لأنه غير قادر على قتله .

وفي الصباح الباكر توجه الوزير أبو أيوب الى خيمة الخليفة فوجده مستيقظا . عيناه محاطتان بالسواد وهتف به فور أن رآه .

يابن اللخناء . أنت منعتني أمس من قتله ، والله ما غمض لي الليلة جفن . وحاول أبو أيوب أن يبرر خطته . كان يريد أن يكسر حلقة التوتر والتأهب حتى لا تحدث مأساة . ولكن الخليفة لم يكن يتصور أن أبا مسلم ما زال قائما على قدميه . يتساءل ، كيف ارتضى كل هذه السنوات أن يكون نصف خليفة بنصف بيعة . . وصرخ في الوزير :

ـ هيا ، ادع لي رئيس الحرس عثمان بن نهيك .

وحضر رئيس الحرس . كان رجلا ضخما يليق بمنصبه . وسأله الخليفة :

ـ كيف بلاء أمير المؤمنين عندك ؟ . .

قال في حماس :

ـ انما أنا عبدك ، والله لو أمرتني أن أتكىء على هذا السيف حتى يخرج من بطني لفعلت .

قال أبو جعفر وهو يتأمل وجهه في امعان :

ـ كيف أنت اذا أمرتك بقتل ابي مسلم .

ووجم عثمان . تبخر حماسه وغرق في الصمت ، وحين رأى ملامح الغضب قد تجمعت على وجه الخليفة قال في صوت ضعيف :

ـ أقتله يا مولاي .

وصاح الخليفة في غيظ :

لو لم تقتله لقتلتك ، هيا ، اذهب وأتني بأربعة حراس أشداء .

وعندما خرج أبو مسلم من منزله في أول الصباح كان كل شيء قد تم . كان نصف جنوده سكارى ، والنصف الثاني قبض ما يكفي من الدنانير . وكان بعض الذين يسيرون خلفه . يسيرون فقط حفاظا للهيبة . وكانت عيون الخليفة ترصد كل خطواته . تبعوه حتى دخل منزل عيسى بن موسى . . وظل جالسا معه ، وبعد فترة جاء أحد أتباع الخليفة يقول له :

ـ اذا أردت أمير المؤمنين خاليا فعجل ، لأن وفود فارس على وشك القدوم اليه . وطلب أبو مسلم من ابن موسى أن يذهب معه فاستمهله حتى ينهض

ويتوضأ . ولكنه غاب طويلا وظل التابع يلح ، وكأن أبا مسلم كان مغيبا . نهض وسار معه . وسار القادة خلفهما ، وبدأ أبو مسلم رحلته الثانية داخل « الرومية » ، ووقف القادة في الخارج وأخذ الخدم يحولون الفرش والوسائد بين الأروقة كأنهم يهيئون لمجلس طويل . وخرج أبو أيوب ليقول للقادة في هدوء :

ان الأمير أبا مسلم يريد أن يقيل عند الخليفة ، ويطلب منكم الانصراف ، وكان الخدم لا يزالون يواصلون النقل . وصدق القادة ما يرونه ، وكان الخليفة قد أعد لهم مكانا مريحا وهدايا جديدة . وبدت الامور صافية بالغة الهدوء ، كالسماء التي تغطي المدينة ، وفي الداخل كان الخليفة يبتسم ويتحدث في بساطة عن أشياء عديدة متفرقة .

وبعد برهة ، قال الخليفة بصورة طبيعية :

ـ سمعت عن سيفين أصبتهما من متاع عبد الله بن علي . أهذا السيف أحدهما ؟

وأومأ أبو مسلم موافقا . وفتح الخليفة كفيه يطلبه . وتردد أبو مسلم وهتف الخليفة :

ـ أرنيه .

ولم يكن هناك بد من أن يخلعه ويناوله اياه . وتأمل أبو جعفر صفحته الناصعة ثم وضعه تحت فراشه وهو يتمتم :

ـ هذا سيف عباسي . . لا سيف مسلمي .

وتبعته عينا أبي مسلم في قلق . أحس أنه قد وثق في الخليفة أكثر مما ينبغي . وقبل أن يقوم بأي خطوة كان الخليفة قد بدأ معه حسابه العسير البارد :

ـ اخبرني عن كتابك الى أبي العباس تنهاه فيه عن أخذ الأرض الموات .

أردت أن تعلمنا الدين . . !

قال أبو مسلم وهو يحاول الافلات من استفزاز الخليفة :

ـ ظننت أن أخذها لا يحل ، فلما أتاني كتابه علمت أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم .

ـ وكيف كان ظنك حين تقدمتني في طريق الحج .

ـ كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس .

ـ فماذا حين أتاك الخبر بموت أبي العباس ، ومع ذلك مضيت فلا أنت أقمت حتى نلحق بك ، ولا أنت رجعت الينا . .

ـ منعني منه ما ذكرت من ازدحام الناس ، فقلت تأتي الكوفة فليس عندي لأمير المؤمنين خلاف .

فجارية عبد الله بن علي أردت أن تتخذها لنفسك . .

لا . . ولكني خفت أن تضيع ، فحملتها في قبة ، ووكلت من يحرسها ، وصرخ الخليفة في غيظ وقد زادت حجج أبي مسلم من غضبه :

وعصيانك لي ؟ وخروجك الى خراسان ؟ ومنعك رسلي من احصاء الغنائم ؟ وقتلك أبي سلمة . . ؟ وتحريضك على الغدر بابن هبيرة ؟وتغيير نسبك حتى تنتسب لآل العباس ؟ ومحاولتك الزواج من عمتي أمينة . . ؟ كل هذا . . وغيره . . هل عندك حجج أخرى . . ؟

وهتف أبو مسلم :

لا يقال لي هذا بعد بلائي في دولتك .

ونهض الخليفة صائحا :

ـ يابن الخبيثة لو بعثنا مكانك أمة سوداء لقامت بما قمت . انما عملت ما عملت في دولتنا وبريحنا ، ولو كان ذلك اليك لبقيت عاجزا ما أصبت فتيلا .

وصفق بيده فاقتحم الحرس المكان ، وحاصروا أبا مسلم الذي أدرك كل شيء . ورفع عثمان بن نهيك يده بالسيف ، ولكنه ارتعد حين لمح بريق عيني أبي مسلم . وهبطت الضربة خفيفة فلم تصب الا حمالة سيفه . وهتف أبو مسلم :

ـ يا أمير المؤمنين . . استبقني لعدوك .

فصرخ الخليفة :

ـ لا أبقاني الله اذن ، أي عدو لي أعدى منك . . ؟ . . اضربوه قطع الله أيديكم .

وهوى الحارس الأول على ذراعه . . والثاني على ساقه . . والثالث على خاصرته . . والرابع على رقبته . . وتعالت دقات الدفوف من الخارج تغطي على كل الصرخات ، وتشربت الأبسطة الحمراء كل ما سال عليها من الدماء وانتفض الجسد الذبيح الانتفاضة الاخيرة . ثم هدأ كل شيء . وهدأ الخليفة أيضا . . وكف عن الارتعاد ، وجلس ساكنا على العرش ، ولف الحرس الجسد الدامي في الابسطة ، ودخل أبو أيوب وانحنى أمام الخليفة وهو يقول :

الآن يا مولاي . . اكتملت خلافتك . □

البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع

هموم المنزل
بين الزوج
والزوجة

الغيرة
وحش
بعيون
خضراء

رسالة باريس

عطور باريسية

بقلم : الدكتور نبيل شعبان

هل صحيح أن المرأة الفرنسية هي نموذج التألق والجمال ؟ وأن الرجل هو نموذج الأناقة ؟ التلفزيون الفرنسي ـ شاهد من أهلها ـ يقدم اجابة عن هذا السؤال في برنامج أذاعه عن نظافة أبناء عاصمة النور والجمال ! .

لا ندري ما هو مفهوم النظافة لدى الفرنسيين . هل النظافة تخص كل المجتمع أو أنها شيء مقتصر على البعض فقط ، وهذا البعض منهم ، هل هو ميسور الحال أو من فقراء القوم ؟ وهل النظافة لديهم مرتبطة بالحالة الاجتماعية والاقتصادية ؟ وهل يعتقد بأن النظافة أمر يجوز ويجب تنفيذه أو يمكن أن نضعها في جدول نأتي اليها أحيانا وننساها أحيانا أخرى ؟ كل هذه الاسئلة وغيرها خطرت على بالي عند مشاهدتي لبرنامج في التلفزيون الفرنسي بالقناة الثانية وعنوانه (الفرنسيون ، هل هم غير نظفاء ؟) مقدم البرنامج يقول بأن هذا الاعتقاد موجود فعلا ولكن كل فرنسي يرمي التهمة على مواطن آخر ويبعدها عن نفسه .

وللوصول الى الحقيقة إختط معدو البرنامج أساليب متعددة منها الاستبيان السري والمقابلة والاحصاء . وتبين من خلال هذا كله، كبر المأساة ومدى عدم نظافة الناس في بلد أوروبي في نهاية القرن العشرين . وموجز ما أورده البرنامج هو أنه في المعدل يستعمل الفرنسي صابونتين في كل عام ، ويستهلك فرشاة أسنان كل عامين وأن ٢٠٪ من السكان لا يستبدل ملابسه الداخلية الا أحيانا ، وثلث الفرنسيين لا يغسل يديه أكثر من مرة واحدة في اليوم الواحد . وأن ٣٨٪ من النساء و ٢٢٪ من الرجال فقط يهتم بنظافته اليومية ، وأن ٩٠٪ من السكان لا يستحم أكثر من مرة واحدة أسبوعيا ، علما بأن ٩٢٪ من المساكن مجهزة بحمام واحد على الاقل ، وأن معدل ما يقضيه الفرنسي داخل هذا الحمام يصل الى ١٥ دقيقة يوميا . ويستفسر مقدم البرنامج عما يفعله الفرد هناك خلال كل تلك الفترة . وقد يكون الجواب عن استفساره هذا واضحا عند معرفتنا بأن الفرنسيين ينفقون على العطور وموانع الرائحة مبلغا يزيد على ١٣ مليار فرنك سنويا .





نظافة عاصمة النور والجمال   أو نظافة الظاهر

جنون اقتناء الحيوانات

تصور عزيزي القارىء بأن كل فرنسي ينفق مبلغا يصل الى ٢٦٠ فرنكا سنويا لتغطية روائح جسده وعرقه بينما لا ينفق أكثر من ٨ فرنكات سنويا على ما ينظفه فعلا ألا وهو الماء والصابون . وشاهدنا في البرنامج نفسه مقابلة مع ثلاث سيدات احداهن تعمل في الاسعاف والطب ، والثانية تعمل بائعة ملابس ، والثالثة تعمل في تقليم الاظافر في (صالون تجميل) .

ان ما أوردته الطبيبة عن قذارة أجساد مرضاها وملابسهم قد يعتقد بأنه مبالغ فيه أو قد لا يصدق اطلاقا ، وبائعة الملابس كانت تشكو من الرائحة النتنة عندما تضطر للاقتراب من زبائنها عند تجربتهم الملابس الجديدة فتبتعد مسرعة عنهم ، أما عاملة صالون التجميل فقد ذكرت بأن عملاءها في غالبيتهم نظفاء لأنهم يأتون بعد أخذ موعد مسبق فتكون أرجلهم قد غسلت .

ولكن البرنامج المذكور لم يتطرق الى شكل آخر من أشكال إغفال النظافة ، وهذه المرة ليست نظافة الاجسام وانما نظافة البيئة والمحيط ، وهذا ما يقوم به الفرنسيون بوساطة كلابهم المدللة التي يزيد عددها على ثمانية ملايين ونصف مليون كلب منها ٥٠٠,٠٠٠ كلب في باريس نفسها (كل أسرة تقريبا تملك كلبا في باريس ، ولكن ليس بالتأكيد لكل أسرة طفل) . هذه الكلاب الباريسية ترمي ٥٠ طنا



رغم جمال المنظر الا أن بقايا الطيور تزعج المسئولين عن النظافة



ليست قضية نظافة داخلية بل تعدى الامر الى تعمد التشويه باللون والرسم . لقد راح زمان الاناقة وجاء زمن الجنون .

من الفضلات الصلبة و٢٠٠,٠٠٠ لتر من الفضلات السائلة على حدائق وأروقة وأرصفة باريس يوميا مما يؤدي الى تلوث المكان والهواء ، ويسبب احراجا وازعاجا للآخرين . المشكلة ليست خافية على أحد ، وهي ليست خافية على من لا يملك كلبا أو على الزائر الأجنبي وسواه من السائحين . ومن هنا بدأ البحث عن حل . بلدية باريس مثلا ، خططت أرصفة الشوارع ورسمت في أمكنة مختلفة منها صورة كلب ، وهذا المكان يكون عادة عند مصب مياه تنظيف الشوارع (باريس مجهزة بشبكة أنابيب تحت حافة أرصفة الشوارع تفتح يوميا لتنظيف ما يتراكم عند حافات الشوارع من أوساخ) ودعت أصحاب الكلاب الى أين يصطحبوا كلابهم الى تلك المواقع

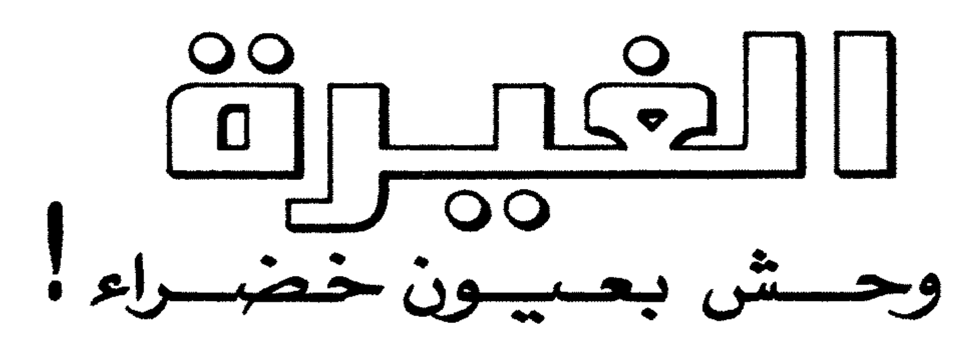


على رصيف الطريق جلسا . . . أحدهم يصبغ الالوان والاخر سعيد وفي النهاية يدفع أجرا .

المخططة لقضاء حاجتهم بدلا من قضائها على قارعة الرصيف . ومقترح آخر دعا الى فرض غرامات مادية على كل صاحب كلب يترك له العنان لتوسيخ المدينة ، وذلك أسوة بمدينة نيويورك حيث الغرامة تصل الى ١٠٠ دولار . وقد دعا أحدث اقتراح الى بناء مرافق صحية خاصة بالكلاب في أنحاء مختلفة من الشوارع والساحات تنصرف من خلالها فضلات تلك الحيوانات الى المجاري العامة . وحتى هذه اللحظة لم تصل مدينة باريس الى الحل الأمثل ، علما بأنها قد خصصت دراجات بخارية ذات خزانات ، تسير على الارصفة لسحب تلك الفضلات تنفيذا لأحد المقترحات .

هذا ـ عزيزي القارىء ـ جزء من همومهم ، وقد لا تكون تلك الهموم مقتصرة على الفرنسي فقط ولكنها شائعة في عالم الغرب . وعجبا لها من هموم وعجبا لها من حلول للتغلب عليها . اذ لم أجد من يقترح أن يقلل الناس هنا من نفقاتهم على شراء علب طعام للكلاب ، والاكتفاء باطعامها مما يتركه الانسان على مائدته ، وأن يرسل الوفر المادي (وهو حتما بالملايين) الى الجائعين من بني البشر ، أو يعطى لتحسين حالة العاطلين عن العمل عندهم . .

نظافة الجسد أو المسكن أو المدينة أمر يتعلق بأخلاق الناس وأعرافهم وتاريخهم وتربيتهم . ولكن هل تعلم بأن قصور الفرنسيين ومنها قصر فرساي الشهير لم يكن يحتوي على مرافق صحية ، فيا ترى هل كانت تكفي العطور الباريسية ؟ □



الغيرة
وحش بعيون خضراء!

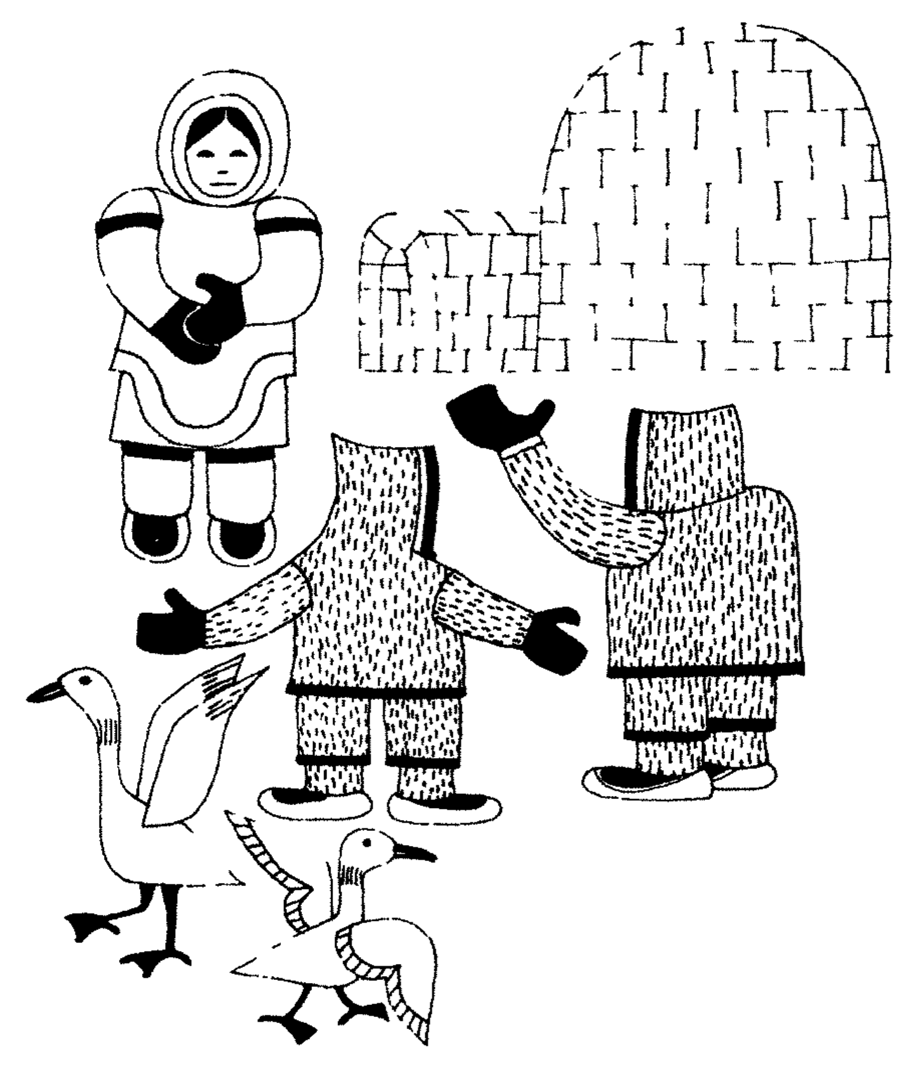
بقلم : راجي عنايت

« كلنا قد انتابنا في وقت من أوقات حياتنا الاحساس بالغيرة ، ومنا من تخلص من هذا الاحساس والبعض لم يزل ، واذا كنت ترغب في الخلاص من هذا الوحش الرابض في أعماقك فاقرأ هذا المقال بعناية » .

يعتبر التآلف أرفع أنواع العلاقات البشرية ، وهو الهدف الأسمى في العلاقة الزوجية . والصخرة الراسخة التي يمكن أن تستقر عليها الحياة الزوجية السعيدة . والغيرة هي عامل قوي من عوامل هدم هذا التآلف وتخريبه ، وهي ظاهرة سلبية عامة ، لا تقتصر على مجتمع معين أو درجة معينة من التطور الحضاري . ومن أهم اشتراطات تواصل الحياة الزوجية السليمة ، أن يعرف الزوجان كيف يواجهان مشاعر الغيرة ، وكيف يعملان على تحويلها الى طاقة ايجابية تدعم حياتهما الزوجية السعيدة .

وقد أطلق الشاعر وليم شكسبير على الغيرة تعبير « الوحش ذو العيون الخضراء » ، وهو بهذا يشير الى ما يبديه البعض من تقبل لمشاعر الغيرة باعتبارها مؤشرا من مؤشرات الحب العميق ، رغم ما تحمله من تخريب لذلك الحب العميق . أما الشاعر ميلتون فيطلق على الغيرة تعبير « جحيم المحبين المجروحين » . . وهذه التعبيرات ، رغم ما مر من سنوات على اطلاقها ، ما زالت لها نفس القوة والمصداقية .

ويقول علماء الأجتماع أنهم فشلوا في العثور على مجتمع يخلو تماما من الغيرة . لكنهم وجدوا أن ما يثير الغيرة في مجتمع ما ، يختلف تماما عما يثيرها في مجتمع آخر . على سبيل المثال ، يقول العالم النفسي رالف هوبكا ، من ولاية كاليفورنيا ، بالولايات المتحدة الامريكية ، ان الزوج من قبائل يورك الهندية بكاليفورنيا ، كان في القرن التاسع عشر يدخل في عراك حقيقي مع أي رجل يتجاسر على طلب كوب ماء من زوجته . أما الزوج من قبائل الاسكيمو المعروفة باسم « اما ساليك » فيصل به الأمر الى حد السماح للضيف بالاتصال بزوجته ، شريطة أن يعطي هو الاشارة التي تفيد قبوله لهذا . ومع ذلك فهو يثور ، ويصل به الامر أحيانا الى قتل الرجل الآخر ، اذا قام بهذا الاتصال دون اذن منه .



بين التحدي والالتصاق

وفي المجتمعات الحديثة ، غالبا ما ينظر الى الغيرة باعتبارها مقياس الحب . خاصة اذا ما كانت هذه المجتمعات تتبنى فلسفة رومانتيكية بالنسبة للحب والزواج . ومن الملاحظ أن المجتمع الذي يعطي وزنا كبيرا لقيمة التملك والملكية الخاصة ، يصبح فيه الناس أكثر رغبة في تملك الأشياء والبشر معا . . ولذلك فمن بين الأشياء التي تشجع على الغيرة ، اعتبار الزوجة عنصرا من عناصر ملكية الزوج . وفي كتابهما عن « الغيرة » يتحدث جوردون كلانتون ولين سميث عن تباين احساس الرجل والمرأة بالغيرة ، في المجتمع الامريكي المعاصر ، فيقولان :

يميل الرجال ، أكثر من النساء ، الى انكار احساسهم بالغيرة ، بينما تميل النساء الى التصريح بمشاعرهن والاعتراف بغيرتهن . الرجال يعمدون في التعبير عن غيرتهم الى العنف ، والى القتل أحيانا . وتكون مثل هذه الانفجارات متبوعة بحالة من اليأس والقنوط في أغلب الاحيان .

والرجال عندما يغارون يركزون على النشاط الجنسي والحسي للمرأة ، وهم غالبا ما يطالبون المرأة بسرد كامل لكل التفاصيل الدقيقة لما جرى . أما النساء الغيورات فيملن أكثر الى التركيز على التورط العاطفي لأزواجهن مع نساء أخريات .

غلطة في الموضوع

ويورد الكاتب روثرنمان قصة طريفة نشرتها الصحف تحت عنوان « صدقيني يا حبيبتي .. هناك غلطة في الموضوع ! » وهو يعتمد على وقائع تلك القصة الواقعية للتدليل على أن مشاعر الغيرة عند الرجل والمرأة تظهر بعدة أشكال .

تبدأ القصة كالتالي : ساد الاندهاش مئات الأزواج والزوجات ، عندما وجدوا أنفسهم مطالبين بأن يقدموا التفسيرات لشركاء حياتهم ، بعد أن وصلتهم الخطابات التي أرسلتها مؤسسة العقول الالكترونية ، التي تتولى الاتصال البريدي نيابة عن العديد من المؤسسات التجارية والمالية . كان الخطاب يشكر الزوج أو الزوجة ، على اختياره أو اختيارها فندقا معينا يقع على أطراف المدينة للاقامة به في الشهر القادم ، ويتمنى أن يحظى منه أو منها بزيارة قادمة سعيدة .

فقد اعتاد فندق اكسفورد بمدينة شيكاغو أن يرسل الى مؤسسة العقل الالكتروني البيانات الخاصة بمن أقاموا فيه كل شهر . على أن تتولى المؤسسة ارسال خطابات الشكر للنزلاء نيابة عن الفندق ، وتتمنى لهم اقامة بالفندق كشكل من أشكال الدعاية والتنشيط ، وتوطيد الصلة مع الزبائن . وقد حدث الخطأ في مؤسسة العقل الالكتروني حيث استبدل الشريط الخاص بأسماء وعناوين نزلاء الفندق ، بأسماء وعناوين أحد المتاجر الكبيرة .

هكذا تلقى أربعة آلاف شخص من سكان المدينة وضواحيها . ذلك الخطاب الرقيق الذي يشكرهم على اقامة لم يقوموا بها في الفندق .. !

ما أن وصلت هذه الخطابات ، حتى بدأت أجراس تليفونات الفندق في الرنين بشكل متواصل . وخلال ساعات تلقى الفندق ٥٠٠ مكالمة من الأزواج والزوجات الذين استولى عليهم الشك في أن شركاء حياتهم قاموا بمغامرة عاطفية ، خلال اقامتهم السرية في ذلك الفندق .

يقول مدير الفندق ان احدى السيدات اللائي تلقين الخطاب ، وهي أم لثلاثة وحامل في الرابع . اتصلت بالفندق تقول ان زوجها ثار ثورة جنونية ، واتهمها أن الجنين الذي في أحشائها ليس ابنه . واتصلت أخرى وهي تبكي قائلة : « أرجوكم اشرحوا لزوجي الذي ركبته الغيرة ، انني لم أكن يوما من نزلاء فندقكم » . .

وقد أثارت ردود الفعل دهشة مدير الفندق ، فقد خاب أمل احدى السيدات عندما علمت أن الخطاب كان مجرد خطأ من العقل الالكتروني . وكانت هذه الزوجة قد اتخذت اجراءات الطلاق من زوجها . قالت آسفة لمدير الفندق : « كنت أطمع في استغلال الخطاب كمستند في قضية الطلاق » .

وكان تعليق مدير الفندق على ما جرى « يبدو أن من الأزواج والزوجات من لا يكنون الكثير من الثقة بشركاء حياتهم هذه الايام ! .. »

فنانة الخزف القادمة

وحقيقة الأمر ، أن كل رجل أو امرأة قد مارس في وقت ما من حياته الزوجية الاحساس بالغيرة ، وان اختلف مدى هذا الاحساس .

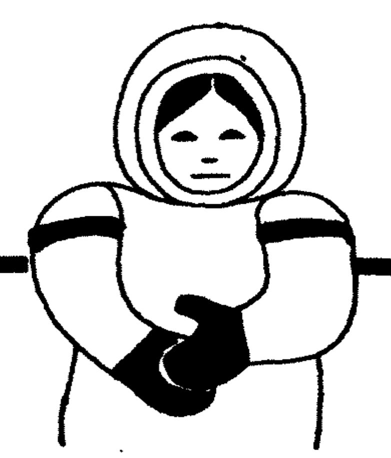
وبالنسبة لعدد كبير يتحول احساس الغيرة هذا ، الى ذلك الوحش ذي العيون الخضراء الذي تحدث عنه شكسبير . ولكن ما هو السبيل الى ترويض ذلك الوحش ؟

يقول خبراء علم النفس الاجتماعي أن الخطوة الأولى هي الاعتراف للطرف الآخر بمشاعر الغيرة .

والخطوة التالية ، هي بحث ما اذا كان الخطر الذي يشعر به الطرف الغيور ، حقيقيا ، أم من صنع خياله . وللتدليل على هذا ، ندرك واقعة حقيقية بطلتها سيدة في الثلاثين من عمرها وهي أم لطفلين . تعترف السيدة قائلة :

تعلمت من تجربتي الخاصة أن الغيرة ليست أكثر من ضياع لجانب من طاقاتنا . فمنذ عدة سنوات قال زوجي ، أستاذ الخزف ، ان فتاة من مدينة بعيدة ، كانت تراسله منذ زمن ، أرسلت اليه تطلب أن تأتي لتدرس فن الخزف على يديه . لم يكن لدي اعتراض على ذلك ، فقد كان لزوجي العديد من التلاميذ والتلميذات من صغار الفنانين ، لكني تساءلت : لماذا استمرت المراسلة بينهما لعدة شهور ؟ . . ولماذا كنت في ذلك الوقت أفتقد الأمان في علاقتنا ، وأمر بحالة تشبه الاكتئاب ، فقد قام خيالي بخلق سيناريو كامل لما سيحدث بين زوجي وهذه الفتاة عندما تصل . وأخذت أرسم للفتاة صورة ملكة من ملكات الاغراء اللاتي يظهرن على الشاشة . . الجسد والملابس والحركات . وكلما اقترب موعد وصول الفتاة كان توتري يتضاعف . وقد كدت أتجمد في مكاني عندما طلب مني زوجي التوجه معه الى محطة السكة الحديد لاحضار الفتاة الى البيت .

بالطبع ، لم أحاول أن أفصح لزوجي عن مخاوفي ، عندما طلب مني أن أصحبه لاحضار « صديقته الجديدة » . وقفت أنتظرها على رصيف القطار ، ثم ما لبثت أن ظهرت فتاة خجولة جدا ، تبدو في نفس الوقت على قدر كبير من المودة والرقة . نظرنا الى بعضنا نظرة طويلة ، ثم حدث كما لو كنا قد وقعنا في حب بعضنا من أول نظرة .



كانت اقامتها معنا ممتعة ، وأصبحت منذ ذلك اليوم صديقة ، بل أفضل صديقاتي ، وغالبا ما أضحك الآن كلما تذكرت الغيرة التي تملكتني ، أو الخوف المجهول الذي استولى على نفسي لعدة أسابيع . وتأكد لي أن عقل الانسان قد يتحول الى عدو له ، اذا ما ترك له العنان ، يعربد بدون ضابط .

الاحتمالات الستة

ورغم أن الحديث مع الطرف الآخر حول مشاعر الغيرة التي يشعر بها الانسان يأتي بنتائج طيبة في أغلب الأحيان ، الا أن الأمر يقتضي من الشخص أن يبدأ بالاجابة عن عدد من الاسئلة : ما الذي يتوقعه الطرفان بالضبط من بعضهما في المواقف المختلفة ؟ وما هي التصرفات التي تعتبر مقبولة في التعامل مع الجنس الآخر ؟ وما هي المحرمات والمحظورات ؟ ثم ما مدى القلق الذي يشعر به الشخص في هذه المرحلة ؟

أخصائي العلاج النفسي ، وصاحب الخبرة الخاصة في المشاكل النفسية والعائلية ، دكتور لاري كونستانتيني ، يضع قائمة تتضمن ستة احتمالات يمكن أن تثير الغيرة ، وأن تؤثر على علاقة الحب والتآلف وهي :

١ ـ فقدان الشخص لكرامته أو احترامه لذاته .

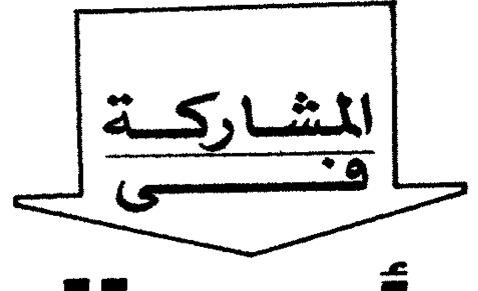
٢ ـ الاحساس بنقص في اشباع الاحتياجات البشرية (جنسية أو عقلية أو عاطفية . . الخ) .

٣ ـ نقص القدرة على التحكم في النفس ، وضعف العلاقة مع الطرف الآخر .

٤ ـ ضعف القدرة على التوقع ،وهبوط الثقة في الطرف الآخر وامكانية الاعتماد عليه .

٥ ـ نقص الاحساس بالخصوصية ، بالكيان الفردي ، وبالحدود الذاتية ونقص فرص الاختيار الخاص .

٦ ـ تناقص الزمن الذي يمضيه الشخص مع الطرف الآخر ، وضعف قنوات الاتصال به □



أعمال المنزل



هل يتقاسمها الزوج مع زوجته ؟

اعداد : وفاء طه ناجى

« مازال الرجل يرى أن مساعدة زوجته فى أعمال المنزل اهانة له وانتقاصا من قدرة ، ورغم أن هذا مفهوم خاطىء الا أن أحدا لم يتساءل لماذا ؟ وكيف يرضى الزوج لزوجته بما يكرهه لنفسه ؟

لم تعد المشاركة في عبء الحياة الزوجية .. منطقة ممنوعة ، فقد اقتربت منها وتناولتها أقلام كتاب وباحثين ، وتعرضت لها برامج اعلامية ضمن ارساء حق المرأة فى العمل ، ومنذ ذلك الحين ولاأحد يرى فى قضية المشاركة الا جانبها المادى وهو راتب الزوجة . وبين اجتهادات كثيرة حول هذا الأمر نسى الناس واغفلوا المعنى الحقيقى للمشاركة .. وهى الحياة داخل المنزل، ونحن نحاول أن نثير القضية مع أطرافها .. الزوجة والزوج والأم ـ التى تولت التربية والاعداد ـ وأساتذة الاجتماع .. لكى نحاول أن نخرج بتفسير لظاهرة المشاركة فى البيت العربى

الزوجات أولا ..

تقول . . . وهى طبيبة شابة : ان أهم أسباب نجاح المرأة فى عملها هو دور الزوج فى مشاركتها الأعباء الملقاة على عاتقها اذ يتقبل عن طيب خاطر مساعدة زوجته فى أعمال البيت تقديرا منه لجهودها ، ومشاركتها فى الاحتياجات المالية للأسرة ، ولأننى زوجة لرجل ، يعتبر أن أدنى مساعدة فى شئون البيت هى اهانة له بكل المقاييس ، فأننى مازلت الهث وراء استكمال دراستى التخصصية ، وهى جزء لا يتجزأ من عملى كطبيبة ، وذلك بسبب ضيق الوقت ، فأنا

فى أغلب الأحيان أعجز عن التوفيق بين مسئولياتى نحو عملى ونحو بيتى وأبنائى .

وتقول احدى العاملات فى حقل التدريس : الواقع أن معاناتى الحقيقية تنحصر فى أن زوجى يتناقض مع نفسه كثيرا فى أمور مسئوليات العناية بالبيت . والحكاية . . أننا بدأنا حياتنا الزوجية بعيدا عن الأهل . . أهلى وأهله ، ولم يكن زوجى يدخر وسعا فى المساعدة فى متطلبات البيت ، وكثيرا ماكان يشاركنى فى غسل الثياب وكيها ، أو فى تحضير بعض وجبات الطعام الخفيفة ، وكان لذلك أثره فى أن نستمتع معا بقضاء أوقات ممتعة خارج البيت ومع الأصدقاء ، دون معاناة أى منا من مشاعر الارهاق التى اختصت بها المرأة أمدا طويلا ، ولكن الأمر يتبدل تماما عندما يقوم بزيارتنا الأهل . . أهلى أو أهله . . لافرق فتنقلب شخصية زوجى تماما . . ويتلاشى اهتمامه بمتاعبى ، وبالتالى لايقوم بأى محاولة للتخفيف عنى . بل يتكلم باستعلاء وبلهجة آمرة منفرة كأنما يقول لهم :

« انا هنا سيد البيت على طريقتكم ، وزيادة العبء على زوجتى لايعنى ان أتخلى عن ذلك المفهوم » من هنا وجدتنى أكره أهلى وأهله ، واصبحت أجد فى زيارتهم لنا معاناة مضاعفة ، فبالاضافة الى الأعمال الكثيرة فى البيت على أن أتحمل نفسية زوجى المتعبة بسبب دوره المتناقض فى علاقتنا .

أما السيدة د أ . . فتقول : بسبب طبيعة عملى فى احدى الشركات أضطر الى العودة للشركة مرة أخرى بعد الظهر ، ولاينتهى دوامى قبل الثامنة مساء بينما يعود زوجى فى الثانية ظهرا ، ونحن زوجان متفاهمان كثيرا ، وتقوم علاقتنا على التقدير والاحترام المتبادل ، وهو يبدى رغبة حقيقية فى مساعدتى ، ولكن بعد التجربة تأكد لى أن انجازى لأعمال البيت على أية صورة أفضل من مساعداته . . انه يقلب الأشياء رأسا على عقب لأظل فى النهاية اعانى الارهاق مع زوج « متفهم » .

وتقول السيدة س . ن ، وقد كانت تعمل فى مهنة الصحافة :

مشكلتى الأساسية هى انصراف زوجى تماما عن شئون أبنائنا ، فعندما وصلت ابنتى الى المرحلة الثانوية ، وأصبح ابنى مراهقا فى الثانية عشرة من عمره تطلبت رعايتهما جهودا اضافية . . سواء فى متابعة مستوى تحصيلهما العلمى واستذكارهما لدروسهما أو فى حمايتهما من مخاطر تلك السن التى كثيرا ما تخلف آثارا سلبية على شخصيات الأبناء ، اذا لم تعالج بحكمة وتوجيه سليم حاولت كثيرا أن أوفق بين عملى ورعايتهم بعدما يئست من مشاركة أبيهما،لكني وتعبت ، وترك القلق الدائم بصماته على ملامحى ، وفى النهاية فضلت البقاء فى البيت حرصا على مستقبلهما . والعجيب أن زوجى اعتبرنى قد تخليت عن مشاركته فى الانفاق على احتياجاتنا !!

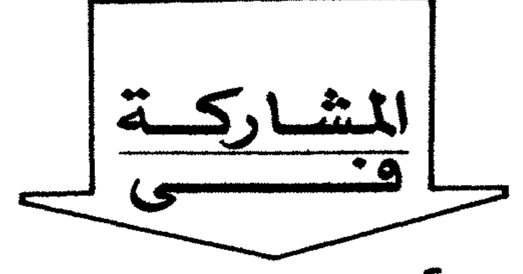
أزواج وأمهات

انتهى كلام الزوجات . . فماذا يقول الأزواج ـ الطرف الثانى فى العلاقة ـ ؟ وماذا تقول الأمهات وهن البعد الثالث اللاتى تولين مسئولية اعداد وتربية الأزواج .

يقول محمود . .

فى الواقع أن زوجتى تبالغ كثيرا . . عندما تقول أننى لا أساهم فى أعباء البيت . . والحقيقة أنها ترفض مساعدتى . والحجة دائما واحدة "أننى تسبب خسائر أكبر من حجم المساعدة" ، وتنسى أن علاقتى بذلك النوع من الأعمال حديث جدا بالقياس الى خبرتها فيه منذ كانت فى بيت أسرتها . . الزوج يحتاج وقتا حتى يقوم بعمل ترضى عنه زوجته .

أما . . . فيقول : دفعتنى زوجتى دفعا للتخلى عن مساعدتها ..رغم أنها لا تمل طوال الوقت من الشكوى من كثرة الأعباء عليها .





هل يتقاسمها الزوج مع زوجته ؟

اعداد : وفاء طه ناجى

« مازال الرجل يرى أن مساعدة زوجته فى أعمال المنزل اهانة له وانتقاصا من قدرة ، ورغم أن هذا مفهوم خاطىء الا أن أحدا لم يتساءل لماذا ؟ وكيف يرضى الزوج لزوجته بما يكرهه لنفسه ؟

لم تعد المشاركة في عبء الحياة الزوجية .. منطقة ممنوعة ، فقد اقتربت منها وتناولتها أقلام كتاب وباحثين ، وتعرضت لها برامج اعلامية ضمن ارساء حق المرأة فى العمل ، ومنذ ذلك الحين ولاأحد يرى فى قضية المشاركة الا جانبها المادى وهو راتب الزوجة . وبين اجتهادات كثيرة حول هذا الأمر نسى الناس واغفلوا المعنى الحقيقى للمشاركة .. وهى الحياة داخل المنزل، ونحن نحاول أن نثير القضية مع أطرافها .. الزوجة والزوج والأم ـ التى تولت التربية والاعداد ـ وأساتذة الاجتماع .. لكى نحاول أن نخرج بتفسير لظاهرة المشاركة فى البيت العربى

الزوجات أولا ..

تقول ... وهى طبيبة شابة : ان أهم أسباب نجاح المرأة فى عملها هو دور الزوج فى مشاركتها الأعباء الملقاة على عاتقها اذ يتقبل عن طيب خاطر مساعدة زوجته فى أعمال البيت تقديرا منه لجهودها ، ومشاركتها فى الاحتياجات المالية للأسرة ، ولأننى زوجة لرجل ، يعتبر أن أدنى مساعدة فى شئون البيت هى اهانة له بكل المقاييس ، فأننى مازلت الهث وراء استكمال دراستى التخصصية ، وهى جزء لا يتجزأ من عمل كطبيبة ، وذلك بسبب ضيق الوقت ، فأنا

فى أغلب الأحيان أعجز عن التوفيق بين مسئولياتى نحو عملى ونحو بيتى وأبنائى .

وتقول احدى العاملات فى حقل التدريس : الواقع أن معاناتى الحقيقية تنحصر فى أن زوجى يتناقض مع نفسه كثيرا فى أمور مسئوليات العناية بالبيت . والحكاية . . أننا بدأنا حياتنا الزوجية بعيدا عن الأهل . . أهلى وأهله ، ولم يكن زوجى يدخر وسعا فى المساعدة فى متطلبات البيت ، وكثيرا ماكان يشاركنى فى غسل الثياب وكيها ، أو فى تحضير بعض وجبات الطعام الخفيفة ، وكان لذلك أثره فى أن نستمتع معا بقضاء أوقات ممتعة خارج البيت ومع الأصدقاء ، دون معاناة أى منا من مشاعر الارهاق التى اختصت بها المرأة أمدا طويلا ، ولكن الأمر يتبدل تماما عندما يقوم بزيارتنا الأهل . . أهلى أو أهله . . لافرق فتنقلب شخصية زوجى تماما . . ويتلاشى اهتمامه بمتاعبى ، وبالتالى لايقوم بأى محاولة للتخفيف عنى . بل يتكلم باستعلاء وبلهجة آمرة منفرة كأنما يقول لهم :

« انا هنا سيد البيت على طريقتكم ، وزيادة العبء على زوجتى لايعنى ان اتخلى عن ذلك المفهوم » من هنا وجدتنى أكره أهلى وأهله ، وأصبحت أجد فى زيارتهم لنا معاناة مضاعفة ، فبالاضافة الى الأعمال الكثيرة فى البيت على أن اتحمل نفسية زوجى المتعبة بسبب دوره المتناقض فى علاقتنا .

أما السيدة د أ . . فتقول : بسبب طبيعة عملى فى احدى الشركات أضطر الى العودة للشركة مرة أخرى بعد الظهر ، ولاينتهى دوامى قبل الثامنة مساء بينما يعود زوجى فى الثانية ظهرا ، ونحن زوجان متفاهمان كثيرا ، وتقوم علاقتنا على التقدير والاحترام المتبادل ، وهو يبدى رغبة حقيقية فى مساعدتى ، ولكن بعد التجربة تأكد لى أن انجازى لأعمال البيت على أية صورة أفضل من مساعداته . . انه يقلب الأشياء رأسا على عقب لأظل فى النهاية اعانى الارهاق مع زوج « متفهم » .

وتقول السيدة س . ن ، وقد كانت تعمل فى مهنة الصحافة :

مشكلتى الأساسية هى انصراف زوجى تماما عن شئون أبنائنا ، فعندما وصلت ابنتى الى المرحلة الثانوية ، وأصبح ابنى مراهقا فى الثانية عشرة من عمره تطلبت رعايتهما جهودا اضافية . . سواء فى متابعة مستوى تحصيلهما العلمى واستذكارهما لدروسهما أو فى حمايتهما من مخاطر تلك السن التى كثيرا ما تخلف آثارا سلبية على شخصيات الأبناء ، اذا لم تعالج بحكمة وتوجيه سليم حاولت كثيرا أن أوفق بين عملى ورعايتهم بعدما يئست من مشاركة أبيهما،لكنى تعبت ، وترك القلق الدائم بصماته على ملامحى ، وفى النهاية فضلت البقاء فى البيت حرصا على مستقبلهما . والعجيب أن زوجى اعتبرنى قد تخليت عن مشاركته فى الانفاق على احتياجاتنا !!

أزواج وأمهات

انتهى كلام الزوجات . . فماذا يقول الأزواج ـ الطرف الثانى فى العلاقة ـ ؟ وماذا تقول الأمهات وهن البعد الثالث اللاتى تولين مسئولية اعداد وتربية الأزواج .

يقول محمود . .

فى الواقع أن زوجتى تبالغ كثيرا . . عندما تقول أننى لا أساهم فى أعباء البيت . . والحقيقة أنها ترفض مساعدتى . والحجة دائما واحدة "أنك تسبب خسائر أكبر من حجم المساعدة" ، وتنسى أن علاقتى بذلك النوع من الأعمال حديث جدا بالقياس الى خبرتها فيه منذ كانت فى بيت أسرتها . . الزوج يحتاج وقتا حتى يقوم بعمل ترضى عنه زوجته .

أما . . . فيقول : دفعتنى زوجتى دفعا للتخلى عن مساعدتها ..رغم أنها لا تمل طوال الوقت من الشكوى من كثرة الأعباء عليها .

وتقول احدى الأمهات . . لدى ثلاثة أبناء صبي وفتاتان ، وانى اعترف بمساهمتى السلبية فى تربية ابنى . . فقد انصب اهتمامى طوال فترة طفولتهم على ضرورة أن تتعلم البنات كل فنون الطبخ وترتيب البيت بما فى ذلك فراش أخيهم وخزانة ملابسه ، وعندما كبر ابنى ، لم يكن يعرف كيف يلتزم بأبسط الأشياء ، مثل وضع ملابسه فى الخزانة ، وبعد زواج ابنتى كنت أقوم بأعباء البيت كلها وحدى .

أم أخرى . . . تقول : لاحظت ان ابنى لديه ميل لمساعدتى فى أعباء البيت . . وكثيرا ماكان يقوم بترتيب فراشه . وأحيانا كان يحضر الافطار لنا جميعا ، وتصورت فى لحظة أن مساهمته فى الأعمال المنزلية تعنى أنه سيصبح رجلا ضعيف الشخصية ، فأجبرته على ترك المهام المنزلية لأقوم بها أنا وأخته الصغيرة .

هذه النماذج موجودة بيننا . . وحكايات المعاناة لدى المرأة العاملة خصوصا الزوجة والأم كثيرة ومتباينة . فما هى الأسباب وراء احجام الرجل فى مجتمعنا العربي عن مشاركة زوجته فى أعباء البيت ، ومتى يتخلص الزوج من المفاهيم الموروثة التى انعكست آثارها على الأسرة بكاملها ؟ وكيف تفهم قضية المشاركة على وجهها الصحيح .

حول هذه الاسئلة يجيب الدكتور أحمد أبوزيد أستاذ الانثروبولوجيا محاولا تفسير الظاهرة فيقول :

« عندما تمارس المرأة العربية العمل بعد زواجها فلابد أن يتم ذلك عن طريق الاقتناع بينها وبين زوجها . فاذا كان الاقتناع كاملا بضرورة أن تعمل وتسهم فى الأعباء المالية للأسرة ، فلابد أن يكون هناك اقتناع بالتالي بمشاركة الرجل فى كل الأعباء الأخرى ، وهنا تبرز مشكلتنا التى تتدخل فيها عوامل عديدة ، على رأسها القيم الاجتماعية السائدة ، وبالتالى التنشئة الاجتماعية للفرد » .

المجتمع العربي مجتمع أبوى

ويستمر د . ابو زيد قائلا : « ان مجتمعنا مجتمع أبوى ، بمعنى أن السلطة تكون فى يد الرجل ، فله مكانة أعلى من مكانة الأنثى ، وعلى ذلك فان الصغير لايقوم بأي عمل من أعمال البيت ، ولايسهم بأدنى مساعدة كأن يرتب فراشه مثلا ، بل تكلف الاناث بالقيام بأعمال المنزل كلها ، فينشأ الولد على رفض المساعدة فى البيت ، بل ويأنف من تلك الأعمال التى تقوم بها أخته . والنتيجة أن كثيرا من الأزواج يقفون مكتوفى الايدى أمام الأعباء المتزايدة على المرأة فى البيت ، ونحو الأبناء ، بل ان هناك ازواجا يمثلون أعباء اضافية على زوجاتهم ، وللأسف أعرف الكثير من المثقفين الذين يريدون زوجة تسير وراءهم طوال الوقت . . فهم يلقون الورق وأعقاب السجائر فى غير أماكنها الصحيحة .

ويستطرد د . أحمد أبوزيد فى حديثه فيقول : « الحقيقة أن الأساس فى تحميل أعباء البيت على المرأة وحدها يأتى نتيجة أن أنظمة اجتماعية خلال مراحل معينة من التاريخ هى التى خلقت وضعا للمرأة أدنى من وضع الرجل ، بمعنى أن الظلم الواقع عليها ليس من قبل الرجل كرجل ، ولكنه من قبل المجتمع الذى لعب فيه الرجال الدور الأساسى فى كل شىء . وقد أثبتت الدراسات الانثروبولوجية ، دراسات ماقبل التاريخ ، أن النساء فى عصر الجماعية القبلية كن يتمتعن بمشاركة الرجال لهن ، وأن العشيرة التى كان يعمل جميع أفرادها رجالا ونساء كانت مجتمعا يعترف بمساعدة الرجل للمرأة عندما تزداد التزاماتها .

وينهى د . أحمد أبوزيد حديثه قائلا : « بعد كل ما سبق نجد أنه من الصعب تغيير اتجاهات الرجل بعد أن نشأ فى هذا الوضع الاجتماعى ، ولكن أمامنا فرصة واسعة من أجل أن نتدارك

ذلك فى تربية أولادنا ، علينا أن نعلمهم أن المساهمة فى أعمال البيت ليست عيبا أو اهانة . . واحكاما للحق فان هناك اتجاهاً حقيقياً للمشاركة من قبل الرجل فى أعمال البيت ، وان كانت فى أغلب الحالات ليست تطوعية ، كما أنها ليست مسألة اقتناع ، ولكنها ضرورة فرضتها ظروف عمل المرأة . ولاشك أن ذلك يبشر بأمل كبير .

تطوير القيم الاجتماعية

وحول امكانية تعديل القيم الاجتماعية السائدة يحدثنا د . يحيى الحداد أستاذ علم الاجتماع بجامعة الكويت فيقول :

« توزيع العمل بين المرأة والرجل فى البيت وخارج البيت هو أساس التوازن الجديد الذى تقتضيه التطورات التى تشهدها مجتمعاتنا العربية ، بما أفرزته من زيادة فى احتياجات الأسرة المادية ، وما اقتضته من اتاحة الفرصة لكافة الموارد البشرية - رجالا ونساء - لمواجهة تحديات التنمية واعداد الرجال والنساء وتأهيلهم للمشاركة المنتجة الفعالة . ان تطوير القيم بما يدفع الرجال الى تحمل مسئوليات أكبر فى هذا الدور ، واعدادهم لتحمل المسئولية المشتركة فى المنزل والعمل ، يتطلب جهودا مكثفة فى المجالات التالية :

أولا : توجيه المناهج الدراسية بحيث تستهدف ثقافة مشتركة للابن والابنة ، بهدف تكوين الاتجاهات الايجابية بين كل من الجنسين ، باعتبارهما شريكين فى الحياة . وتتضمن هذه الثقافة المشتركة توضيح مسئولية الجنسين فى تطوير المجتمع المعاصر ، والمعرفة بقضايا التطور العلمى والتكنولوجي ، وتوضيح الاتجاهات السليمة نحو الأبوة المسئولة فى تكوين الأسرة وتربية الأبناء .

ثانيا : تثقيف الابن والابنة فى البيت والمدرسة ووسائل الاعلام المختلفة ، لتفهم مسئولية الشريكين فى تكوين الأسرة على قدم المساواة ، سواء كان ذلك بالنسبة لمسئوليات العمل فى المنزل ورعاية الأبناء ، أو غير ذلك من أمور الأسرة التى تتطلب المشاركة بين الزوجين فى اتخاذ القرارات .

ثالثا : أن يراعى الآباء والأمهات تنشئة أبنائهم - خاصة الذكور - على مفاهيم ترفض تفوق الذكر على الأنثى ، وما يترتب على ذلك من اختلاف وتمييز فى التربية والمعاملة الأسرية .

ويستطرد د . يحيى فيقول :

« والحقيقة أن الاشكالية النسائية بالنسبة للرجل لم تطرح بعبارات جديدة الا منذ فترة قصيرة ، وذلك بفضل العلوم الطبيعية (الفسيولوجيا والبيولوجيا وعلم الوراثة) ، لان المرأة ظلت لفترة طويلة تعانى وضعا أقل ، نتيجة لطبيعتها الأنثوية والتزامها الطبيعي بوظيفة الأمومة بين وظائف أخرى ، من هنا تكونت أنظمة تفسير هذا الوضع بأنه يعنى أفضلية الرجل عليها » .

وماذا بعد . . ؟

تكلم أطراف العلاقة ، وسمعنا رأى العلم ، ولم يبق ما نقوله ، الا أنه ليس واردا ان نطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة بمفهوم يختلف عن قيم واخلاق مجتمعاتنا العربية التى يحددها ديننا الحنيف ، ولكن ما نطرحه للنقاش هو المشاركة فى الحياة بين الزوجين ، هذه المشاركة التى يحث عليها الدين وتفرضها التطورات الاجتماعية المختلفة ، فقد كان رسول صلى الله عليه وسلم لايأنف من عمل شىء بيده ، وكان يعين زوجاته وقد وصفته زوجته السيدة عائشة (رضى الله عنها) بأنه كان فى مهنة أهله كما روى عنه أنه كان يخصف نعله ويرتق ثوبه ، وهو القائل (عليه الصلاة والسلام)« خدمتك زوجتك صدقة » وكان أرحم الناس وأضحكهم فى بيته فهل يستجيب الرجال . . ؟ ! □



هو.... المشاركة

● كانت مفاجأة بالنسبة لي ، لم أنم ليلتها ولم أعرف للراحة طعما . كنا في زيارة عائلية ، وفوجئت بالعائلة الصديقة التي كنا في زيارتها تسأل زوجي عن آخر أخبار القضية التي أقامها ضد الشركة التي كان يعمل بها . وأثناء طريق العودة سألته عن القضية ولماذا أقامها وما موقفه فيها ؟ الا أنه لم يجب بشيء وأخذ يردد بسعادة : من تدخل فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه . . »

ورغم أنني اعتدت هذا من زوجي دائما . الا أن هذه الحادثة البسيطة قد فجرت داخلي أحاسيسي بعدم الرضا ، فمنذ اليوم الأول لزواجنا وحتى الآن وأنا لا اعرف عنه شيئا الا العموميات الشديدة ، مثل أنه ترك العمل في الشركة وانتقل الى شركة أخرى ، أو أنه قدم أوراقه للعمل بالحكومة . . حتى مواعيد عمله لا أعلمها على وجه الدقة . وبدءا من مواعيد عمله ، ومرورا بحقيقة دخله وراتبه ، وانتهاء بكل تفاصيل حياتنا ، يحرص زوجي على الا أعلم عنها شيئا ، وعندما أحاول أن أناقشه في



تصرفاته هذه ، ولماذا يخفي عني ما يجب أن أعرفه بوصفي شريكة حياته ورفيقته في تحمل المسئولية ، ينظر الى طويلا ثم يصدمني قائلا « اذا كان ينقصك شيء في حياتك أو كنت تفتقدين الراحة في أي شيء فقولي . . وأنا ألبيه لك » ويظل النقاش بيننا عبثيا ، هو يرى أن الزوجة ليس من حقها أن تعرف شيئا عن حياة زوجها ، وأن دورها مجرد القيام بالاعباء المنزلية من طهي وتنظيف وترتيب ، حتى مصروف البيت يتولى هو تقديره ، ويقدم في أول كل شهر مبلغا ويطلب مني أن أدبر حياتي بهذا المبلغ من المال ، وأعترف أنني لم أكن أشكو أبدا من عجز الميزانية فقد كان تقديره دائما مصيبا الا أنني لا أعرف ماذا تبقى معه ؟ وأين تذهب نقوده ؟ . . وكل أحاديثنا في البيت لاتتعدى الثرثرة حول مسلسل في التلفزيون ، أو حادثة مثيرة قرأها في الجريدة ، أو أخبار الجيران ، أو دعابات وضحكات يخلقها هو ونضحك عليها . . ولكن خارج باب المنزل لا أعرف عنه شيئا ؟ حتى أسماء زملائه لا أعرفها . . وصديقاتي يعرفن وقائع يوم أزواجهن في العمل . . بل منهم من يقول لي أخبار آخر فستان ، أو آخر خناقة بين زميلات وزملاء مع أزواجهن . . صحيح أنا لاأريد من زوجي كل هذه التفاصيل . . ولكن قليلا مع المعايشة والمشاركة له في همومه وآماله . . في عمله مع أصدقائه تكفي . . . أليس من حقي كزوجة أن أعرف ما يحيط به وأخفف عنه . . أم أنا مجرد دمية في البيت ؟ . .

هدى

هي....

علمني التاريخ

● قصة من التراث علمتني حكمة هامة في الحياة ، فقد خطفت امرأة طفلا من جارة لها ، وذهبت به الى القاضي . . كل تدعي أمومته ، فقال القاضي : لاحلّ الا أن أقطع الطفل قسمين ، لكل واحدة منكما قسم ، وعلى الفور وافقت الخاطفة في الوقت الذي جزعت فيه الأم ، فحكم القاضي للام بصحة الأمومة واسترداد الطفل .

منذ الصغر وأنا أدرس هذه القصة ، وأضحك من خيبة الخاطفة التي فضحتها عواطفها ، ومن جزع الأم الذي أظهر حنانها ، فلو كانت عاقلة عقلا فوق العاطفة لقالت للقاضي . . ما جدوى أن تقسم الطفل قسمين ، أنت تقتل الطفل وأنا أريده حيا لا ميتا ، وأنت تعاقب طفلا لاذنب له ، ولو كانت الأم أكثر عقلا ووعيا لقالت للقاضي :

عفوا يا سيدي القاضي أنت تحكم فيما لا تملك . . جئناك لتقرر من منا الأم فاسأل القرية التي كنا فيها ، والطرقات التي سرنا عليها ، أما أنا فسوف أقاتل من أجل طفلي ، أو اقتلني أنا ودعه فالأمومة فوق القانون . ولكن كلتا المرأتين لم تفعل هذا ولا ذاك . . كلتاهما أثبتت أن عواطفهما أقوى من عقلهما ، وأسبق في التفكير في رد الفعل ، وبعد ذلك ، ومع الزمن ، عرفت لماذا لا تكون المرأة قاضية ، انها قضية اختلاف نوعي وفروق فردية . ورغم هذه القناعة ، تأتي زوجتي وتريدني أن أقلب ميزان الكون وأغير مفاهيمي ، تريد أن أشركها في كل تفاصيل حياتي ، وأطلب منها المشورة ، وهي لن تدلي برأي صائب ـ وهذا ليس تعسفا مني تجاهها ـ ولكنه إحقاق لواقع ، فهي سوف تغلب العاطفة ، ولن تفصل وجدانها عن الموضوع ، ولن يكون تعلمها محايدا ، مثلما أتناول أنا مشكلة ما تواجهني حتى لو كنت أنا طرفا فيها . تريد مني أن أحكي لها عن زميلاتي وزملائي في العمل وعلاقتنا ، ومن المنطقي أن يكون بين زملاء العمل احتكاكات واختلافات يومية نتيجة للتفاعل الانساني ، أو يكون بينهم مزاح ودعابة . . فماذا ستكون النتيجة لو رويت كل هذا . . ؟ لا أستبعد اطلاقا أن تناقش زميلا لي فيما فعله معي ، أو تعلق على سلوك زميل آخر لم تره حتى لو كان زائرا لبيتي ، وبالتالي سوف يكون لديها آراء مسبقة في الناس وعن الأشخاص والموقف . . وهذا شيء لا أقبله ، ورغم جهدي ، الا أجعلها تشكو من شيء ، ومحاولتي أن أوفر لها حياة كريمة هانئة ، وأن أجعل من ساعاتي معها بسمة وضحكة ، بدعابة من هنا وقصة مسلية من هناك . . وطرفة عن الزملاء . . وحكاية من شقاوة طفولتي . . رغم كل هذا فهي تصر على أن تشغل رأسها بي . . تصر أن تعرف همومي وعملي وراتبي . وعجيب أمر المرأة اذا رأت الوردة أعجبتها وخافت شوكها . . وان اشتهت العسل خشيت وخز الأبر . . واذا أتتها الوردة والعسل نغص حياتها شوقها للشوك ووخز الابر وحمل الهموم والتفكير . . ولله في خلقه شئون .

هو

هو.... المشاركة

● كانت مفاجأة بالنسبة لي ، لم أنم ليلتها ولم أعرف للراحة طعما . كنا في زيارة عائلية ، وفوجئت بالعائلة الصديقة التي كنا في زيارتها تسأل زوجي عن آخر أخبار القضية التي أقامها ضد الشركة التي كان يعمل بها . وأثناء طريق العودة سألته عن القضية ولماذا أقامها وما موقفه فيها ؟ الا أنه لم يجب بشيء وأخذ يردد بسعادة : من تدخل فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه . . »

ورغم أنني اعتدت هذا من زوجي دائما . الا أن هذه الحادثة البسيطة قد فجرت داخلي أحاسيسي بعدم الرضا ، فمنذ اليوم الأول لزواجنا وحتى الآن وأنا لا اعرف عنه شيئا الا العموميات الشديدة ، مثل أنه ترك العمل في الشركة وانتقل الى شركة أخرى ، أو أنه قدم أوراقه للعمل بالحكومة . . حتى مواعيد عمله لا أعلمها على وجه الدقة . وبدءا من مواعيد عمله ، ومرورا بحقيقة دخله وراتبه ، وانتهاء بكل تفاصيل حياتنا ، يحرص زوجي على الا أعلم عنها شيئا ، وعندما أحاول أن أناقشه في تصرفاته هذه ، ولماذا يخفي عني ما يجب أن أعرفه بوصفي شريكة حياته ورفيقته في تحمل المسئولية ، ينظر الى طويلا ثم يصدمني قائلا « اذا كان ينقصك شيء في حياتك أو كنت تفتقدين الراحة في أي شيء فقولي . . وأنا ألبيه لك » ويظل النقاش بيننا عبثيا ، هو يرى أن الزوجة ليس من حقها أن تعرف شيئا عن حياة زوجها ، وأن دورها مجرد القيام بالاعباء المنزلية من طهي وتنظيف وترتيب ، حتى مصروف البيت يتولى هو تقديره ، ويقدم في أول كل شهر مبلغا ويطلب مني أن أدبر حياتي بهذا المبلغ من المال ، وأعترف أنني لم أكن أشكو أبدا من عجز الميزانية فقد كان تقديره دائما مصيبا الا أنني لا أعرف ماذا تبقى معه ؟ وأين تذهب نقوده ؟ . . وكل أحاديثنا في البيت لاتتعدى الثرثرة حول مسلسل في التلفزيون ، أو حادثة مثيرة قرأها في الجريدة ، أو أخبار الجيران ، أو دعابات وضحكات يخلقها هو ونضحك عليها . . ولكن خارج باب المنزل لا أعرف عنه شيئا ؟ حتى أسماء زملائه لا أعرفها . . وصديقاتي يعرفن وقائع يوم أزواجهن في العمل . . بل منهم من يقول لي أخبار آخر فستان ، أو آخر خناقة بين زميلات وزملاء مع أزواجهن . . صحيح أنا لاأريد من زوجي كل هذه التفاصيل . . ولكن قليلا مع المعايشة والمشاركة له في همومه وآماله . . في عمله مع أصدقائه تكفي . . . أليس من حقي كزوجة أن أعرف ما يحيط به وأخفف عنه . . أم أنا مجرد دمية في البيت ؟ . .

هي

هي....

علمني التاريخ

● قصة من التراث علمتني حكمة هامة في الحياة ،فقد خطفت امرأة طفلا من جارة لها ، وذهبت به الى القاضي .. كل تدعي أمومته ، فقال القاضي : لأحلّ الا أن أقطع الطفل قسمين ، لكل واحدة منكما قسم ، وعلى الفور وافقت الخاطفة في الوقت الذي جزعت فيه الأم ، فحكم القاضي للام بصحة الأمومة واسترداد الطفل .

منذ الصغر وأنا أدرس هذه القصة ، وأضحك من خيبة الخاطفة التي فضحتها عواطفها ، ومن جزع الأم الذي أظهر حنانها ، فلو كانت عاقلة عقلا فوق العاطفة لقالت للقاضي .. ما جدوى أن تقسم الطفل قسمين ، أنت تقتل الطفل وأنا أريده حيا لا ميتا ، وأنت تعاقب طفلا لاذنب له ، ولو كانت الأم أكثر عقلا ووعيا لقالت للقاضي :

عفوا يا سيدي القاضي أنت تحكم فيما لا تملك .. جئناك لتقرر من منا الأم فاسأل القرية التي كنا فيها ، والطرقات التي سرنا عليها ، أما أنا فسوف أقاتل من أجل طفلي ، أو اقتلني أنا ودعه» فالأمومة فوق القانون . ولكن كلتا المرأتين لم تفعل هذا ولا ذاك .. كلتاهما أثبتت أن عواطفها أقوى من عقلها ، وأسبق في التفكير في رد الفعل ، وبعد ذلك ، ومع الزمن ، عرفت لماذا لا تكون المرأة قاضية ، انها قضية اختلاف نوعي وفروق فردية . ورغم هذه القناعة ، تأتي زوجتي وتريدني ان أقلب ميزان الكون وأغير مفاهيمي ، تريد أن أشركها في كل تفاصيل حياتي ، وأطلب منها المشورة ، وهي لن تدلي برأي صائب ـ وهذا ليس تعسفا مني تجاهها ـ ولكنه إحقاق لواقع ، فهي سوف تغلب العاطفة ، ولن تفصل وجدانها عن الموضوع ، ولن يكون تعلمها محايدا ، مثلما أتناول أنا مشكلة ما تواجهني حتى لو كنت أنا طرفا فيها . تريد مني أن أحكي لها عن زميلاتي وزملائي في العمل وعلاقتنا ، ومن المنطقي أن يكون بين زملاء العمل احتكاكات واختلافات يومية نتيجة للتفاعل الانساني ، أو يكون بينهم مزاح ودعابة .. فماذا ستكون النتيجة لو رويت كل هذا .. ؟ لا أستبعد اطلاقا أن تناقش زميلا لي فيما فعله معي ، أو تعلق على سلوك زميل آخر لم تره حتى لو كان زائرا لبيتي ، وبالتالي سوف يكون لديها آراء مسبقة في الناس وعن الأشخاص والموقف .. وهذا شيء لا أقبله ، ورغم جهدي ، الا أجعلها تشكو من شيء ، ومحاولتي ان أوفر لها حياة كريمة هانئة ، وأن أجعل من ساعاتي معها بسمة وضحكة ، بدعابة من هنا وقصة مسلية من هناك .. وطرفة عن الزملاء .. وحكاية من شقاوة طفولتي .. رغم كل هذا فهي تصر على أن تشغل رأسها بي .. تصر أن تعرف همومي وعملي وراتبي . وعجيب أمر المرأة اذا رأت الوردة أعجبتها وخافت شوكها .. وان اشتهت العسل خشيت وخز الأبر .. واذا أتتها الوردة والعسل نغص حياتها شوقها للشوك ووخز الابر وحل الهموم والتفكير .. ولله في خلقه شئون .

هو

هو.... المشاركة

● كانت مفاجأة بالنسبة لي ، لم أنم ليلتها ولم أعرف للراحة طعما . كنا في زيارة عائلية ، وفوجئت بالعائلة الصديقة التي كنا في زيارتها تسأل زوجي عن آخر أخبار القضية التي أقامها ضد الشركة التي كان يعمل بها . وأثناء طريق العودة سألته عن القضية ولماذا أقامها وما موقفه فيها ؟ الا أنه لم يجب بشيء وأخذ يردد بسعادة : من تدخل فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه . . »

ورغم أنني اعتدت هذا من زوجي دائما . الا أن هذه الحادثة البسيطة قد فجرت داخلي أحاسيسي بعدم الرضا ، فمنذ اليوم الأول لزواجنا وحتى الآن وأنا لا اعرف عنه شيئا الا العموميات الشديدة ، مثل أنه ترك العمل في الشركة وانتقل الى شركة أخرى ، أو أنه قدم أوراقه للعمل بالحكومة . . حتى مواعيد عمله لا أعلمها على وجه الدقة . وبدءا من مواعيد عمله ، ومرورا بحقيقة دخله وراتبه ، وانتهاء بكل تفاصيل حياتنا ، يحرص زوجي على الا أعلم عنها شيئا ، وعندما أحاول أن أناقشه في



تصرفاته هذه ، ولماذا يخفي عني ما يجب أن أعرفه بوصفي شريكة حياته ورفيقته في تحمل المسئولية ، ينظر الى طويلا ثم يصدمني قائلا « اذا كان ينقصك شيء في حياتك أو كنت تفتقدين الراحة في أي شيء فقولي . . وأنا ألبيه لك » ويظل النقاش بيننا عبثيا ، هو يرى أن الزوجة ليس من حقها أن تعرف شيئا عن حياة زوجها ، وأن دورها مجرد القيام بالاعباء المنزلية من طهي وتنظيف وترتيب ، حتى مصروف البيت يتولى هو تقديره ، ويقدم في أول كل شهر مبلغا ويطلب مني أن أدبر حياتي بهذا المبلغ من المال ، وأعترف أنني لم أكن أشكو أبدا من عجز الميزانية فقد كان تقديره دائما مصيبا الا أنني لا أعرف ماذا تبقى معه ؟ وأين تذهب نقوده ؟ . . وكل أحاديثنا في البيت لاتتعدى الثرثرة حول مسلسل في التلفزيون ، أو حادثة مثيرة قرأها في الجريدة ، أو أخبار الجيران ، أو دعابات وضحكات يخلقها هو ونضحك عليها . . ولكن خارج باب المنزل لا أعرف عنه شيئا ؟ حتى أسماء زملائه لا أعرفها . . وصديقاتي يعرفن وقائع يوم أزواجهن في العمل . . بل منهم من يقول لي أخبار آخر فستان ، أو آخر خناقة بين زميلات وزملاء مع أزواجهن . . صحيح أنا لاأريد من زوجي كل هذه التفاصيل . . ولكن قليلا مع المعايشة والمشاركة له في همومه وآماله . . في عمله مع أصدقائه تكفي . . . أليس من حقي كزوجة أن أعرف ما يحيط به وأخفف عنه . . أم أنا مجرد دمية في البيت ؟ . .

هدى

هي.... علمني التاريخ

● قصة من التراث علمتني حكمة هامة في الحياة ، فقد خطفت امرأة طفلا من جارة لها ، وذهبت به الى القاضي .. كل تدعي أمومته ، فقال القاضي : لاحلّ الا أن أقطع الطفل قسمين ، لكل واحدة منكما قسم ، وعلى الفور وافقت الخاطفة في الوقت الذي جزعت فيه الأم ، فحكم القاضي للام بصحة الأمومة واسترداد الطفل .

منذ الصغر وأنا أدرس هذه القصة ، وأضحك من خيبة الخاطفة التي فضحتها عواطفها ، ومن جزع الأم الذي أظهر حنانها ، فلو كانت عاقلة عقلا فوق العاطفة لقالت للقاضي .. ما جدوى أن تقسم الطفل قسمين ، أنت تقتل الطفل وأنا أريده حيا لا ميتا ، وأنت تعاقب طفلا لاذنب له ، ولو كانت الأم أكثر عقلا ووعيا لقالت للقاضي :

عفوا يا سيدي القاضي أنت تحكم فيما لا تملك .. جئناك لتقرر من منا الأم فاسأل القرية التي كنا فيها ، والطرقات التي سرنا عليها ، أما أنا فسوف أقاتل من أجل طفلي ، أو اقتلني أنا ودعه فالأمومة فوق القانون . ولكن كلتا المرأتين لم تفعل هذا ولا ذاك .. كلتاهما أثبتت أن عواطفهما أقوى من عقلهما ، وأسبق في التفكير في رد الفعل ، وبعد ذلك ، ومع الزمن ، عرفت لماذا لا تكون المرأة قاضية ، انها قضية اختلاف نوعي وفروق فردية . ورغم هذه القناعة ، تأتي زوجتي وتريدني أن أقلب ميزان الكون وأغير مفاهيمي ، تريد أن أشركها في كل تفاصيل حياتي ، وأطلب منها المشورة ، وهي لن تدلي برأي صائب ـ وهذا ليس تعسفا مني تجاهها ـ ولكنه إحقاق لواقع ، فهي سوف تغلب العاطفة ، ولن تفصل وجدانها عن الموضوع ، ولن يكون تعلمها محايدا ، مثلما أتناول أنا مشكلة ما تواجهني حتى لو كنت أنا طرفا فيها . تريد مني أن أحكي لها عن زميلاتي وزملائي في العمل وعلاقتنا ، ومن المنطقي أن يكون بين زملاء العمل احتكاكات واختلافات يومية نتيجة للتفاعل الانساني ، أو يكون بينهم مزاح ودعابة .. فماذا ستكون النتيجة لو رويت كل هذا ..؟ لا أستبعد اطلاقا أن تناقش زميلا لي فيما فعله معي ، أو تعلق على سلوك زميل آخر لم تره حتى لو كان زائرا لبيتي ، وبالتالي سوف يكون لديها آراء مسبقة في الناس وعن الأشخاص والموقف .. وهذا شيء لا أقبله ، ورغم جهدي ، الا أجعلها تشكو من شيء ، ومحاولتي أن أوفر لها حياة كريمة هانئة ، وأن أجعل من ساعاتي معها بسمة وضحكة ، بدعابة من هنا وقصة مسلية من هناك .. وطرفة عن الزملاء .. وحكاية من شقاوة طفولتي .. رغم كل هذا فهي تصر على أن تشغل رأسها بي .. تصر أن تعرف همومي وعملي وراتبي . وعجيب أمر المرأة اذا رأت الوردة أعجبتها وخافت شوكها .. وان اشتهت العسل خشيت وخز الأبر .. واذا أتتها الوردة والعسل نغص حياتها شوقها للشوك ووخز الابر وحمل الهموم والتفكير .. ولله في خلقه شئون .

هو

من الحياة

ذكريات الربيع في خريف العمر!

بقلم : منير نصيف

فجأة وجدت نفسها تقف امام الصورة الصغيرة التي تضعها في مكان قريب من فراشها . . صورتها مع الشاب الذي اختارها منذ اكثر من ثلاثين عاما مضت لتشاركه رحلة الحياة . . ومدت يدها وامسكت بالصورة التي عاشت معها تلك الاعوام الطويلة . . كانت تبدو جميلة في فستانها الأبيض . . وراحت تتفرس في هذا الوجه الذي لم يبق منه الا صورته . . كانت رائعة في شبابها الذي ذبل مع الأيام . . هو أيضاً كان وسيما ، وكان يحمل في بداية رحلته طموحا واصرارا عجيبا . . لابد ان تنجح هذه التجربة . . سوف يقف وحده ويتحدى العالم من أجلها هي . . فقد كان يجد دائما في قربها منه وتعلقها به وحبها له القوة التي دفعته وتدفعه دائما الى العمل والكفاح والسير في الطريق الذي اختاره لنفسه !!

ولكن ما الذي دفعها اليوم الى الوقوف أمام هذه الصورة القديمة ؟ . صحيح أنها كانت تختلس النظر اليها بين الحين والحين اثناء النهار الطويل الذي اصبح يمضي الآن ، وهو يزحف بعد أن خلا البيت من الأطفال الذين كبروا وتزوجوا واصبحوا يستقلون بحياتهم . . كانت عيناها تتجهان اليها دون أن تشعر ولكن للحظات قصيرة لاتلبث بعدها ان تتركها وتبتعد عنها ، وربما تذهب معها في رحلة قصيرة ، أشبه ماتكون باغفاءة لاتلبث أن تصحو منها على عمل صغير ينتظرها في البيت . .

ولكنها اليوم ، ولا تدري كيف وجدت نفسها تذهب في رحلة طويلة بعيدة مليئة بالذكريات . . لأن اليوم هو عيد زواجها . . وفي المساء سوف تستقبل المدعوين الذين سيجيئون ليحتفلوا معها ، هي وزوجها بهذه المناسبة السعيدة . .

وأحست بالتعب وهي واقفة في مكانها والصورة بين يديها ، صورتها هي وزوجها ، ليلة زفافها ، فجلست على مقعد قريب لتريح جسمها المتعب ووضعت الصورة بجوارها فوق مائدة صغيرة ، ومالبثت ان وجدت نفسها تذهب بعيدا الى بداية تلك التجربة التي عاشتها مع الرجل الذي مازالت تعيش معه ماتبقى لهما في رحلة الحياة . .

لقد كانت رحلة طويلة شاقة مليئة بالسحب والانواء والامواج . . كانت بحرا واسعا تتلاطم امواجه ، وقد راحت السفن تسير فوق سطحه . . سفن صغيرة وسفن اخرى كبيرة من كل حجم ولون . . كلها تطفو على السطح ، وكلها تحاول ان تدرأ عن نفسها خطر الموج



المتلاطم ، حتى تستطيع أن تصل بمن فيها الى شاطىء الأمان .

حقيقة استطاعت سفينتها الصغيرة ان تصل ، ولكن بعد رحلة قاسية كادت خلالها ان تصطدم بالصخور ، لولا يقظة ربانها الذي تشبث بها ، ونجح في ابعادها عن الخطر الذي كان يتربص لها ، وهي ماضية في رحلتها وسط الامواج العاتية . . فقد كان يحب سفينته ، وكان يحب ركابها ويتعلق بهم ، وكان على استعداد دائما لان يضحى بحياته من اجلهم !

***

ومضت بها الذكريات . . انها لاتزال تذكر تلك الأيام الحلوة التي امضتها معه خلال فترة خطوبتهما القصيرة . . كان ابوها رجلا محافظا لم يكن يسمح لها بالخروج مع خطيبها وحدهما . . ومع ذلك فقد كانت اللحظات القصيرة التي يقضيها معها الشاب الذي جاء يطرق باب البيت طالبا يدها ، وسط والديها واخوتها كافية لأن تجعلها اسعد فتاة في العالم . كان يجلس قريبا منها ويحدثها عن آماله واحلامه للمستقبل الذي ينتظرهما بعد الزواج . كان مرحا خفيف الروح حاضر النكتة . . لم يكن هناك شيء يمكن ان يعكر سماء تلك اللحظات السعيدة ، التي كان يأتي فيها لزيارتها في بيت والديها بعد ان ينتهي من عمله . .

انها لاتنسى كيف كان يغار عليها ، وهو ينقل اليها الانفعالات التي كانت تعتمل في صدره ، وهو يحدثها عن الفرحة التي تملأ قلبه ، لأنه عرف كيف يفوز بها . . وكانت تنظر اليه وتتأمل عينيه ، فلا تجد فيهما الا كل الصدق في كل مايقوله لها . . وقد كانت تبادله هذا الحب ، وكانت تعد معه الايام التي ستنتقل بعدها الى العش الصغير ، الذي سيبدءان فيه حياتهما الجديدة !

ولكن البداية كانت صعبة ، فقد كان دَخْلُ زوجها الصغير بالكاد يكفي مطالب الحياة الاساسية . . وبدأت رحلة الكفاح بعد أيام قليلة من الزواج . كان همه الاول ينحصر في البحث عن عمل آخر يستطيع ان يضاعف به دخله . . وكان لاينام الليل . . كان يعمل ثماني عشرة ساعة في اليوم . . وكانت تسهر بجواره تشجعه وتدفعه الى الاستمرار . . وكان يستمد من وقوفها

بجانبه ومساندتها له القوة والصبر والجلد ، وخاصة بعد ان انجبت له زوجته طفلها الأول . فقد بدأ يشعر بالمسؤولية تتضاعف ومطالب الحياة تلح عليه وتشغل كل تفكيره . .

وشقي وتعب كثيرا ، ولكنه لم يكن وحده ، فقد كانت معه دائما في كل خطوة وفي كل ازمة ، ومع كل مشكلة وقفت عائقا في طريق حياتهما الجديدة التي حفلت بالعمل والعرق والجهد الذي لايهدأ . . فقد كانت تحبه ، وكان بدوره يعيش لها وحدها ، فقد اصبحت هي وطفلها يملآن كل ساعة ، كل لحظة من حياته حتى وهو منكب على عمله . . لم تكن صورتها تغيب عن مخيلته . . كان يراهما في كل شيء من حوله ، وكانت سعادة هذه الاسرة الصغيرة ورفاهيتها هما شغله الشاغل في صحوه ونومه !

* * *

انها ماتزال تسمع كلماته ترن في اذنيها ، عندما كانا يختلفان ، وما اكثر ماكانت خلافاتهما في الاشهر الأولى من الزواج ، ولكنها كانت اشبه ماتكون بسحابة عابرة ، لاتكاد تظهر في السماء التي تظلل حياتهما حتى تختفي بنفس السرعة التي تجمعت بها . . لقد كان يقول لها : « الزواج ياعزيزتي بداية وليس نهاية . . انه لايعدو ان يكون اكثر من خطوة قصيرة ، لابد ان تجيء بعدها خطوات وخطوات في الطريق الطويل ، من أجل بناء اسرة سعيدة . . ومع هذه المسيرة لابد ان يختلف الزوجان . . لابد ان تتعثر خطواتهما . . المهم هو ان يجدا في النهاية ارضا مشتركة يستطيعان الوقوف عليها ، قبل ان يعودا الى مسيرتهما من جديد !

كان يفلسف الحياة أحيانا ، وينقل إليها بعض مايعجبه من قراءاته في الكتب . . وكانت تجد فيما يقوله لها في كثير من الاحيان وصفا رائعا للعلاقة التي يجب ان تكون بين الزوجين المتحابين . . كان يقول لها :

« يجب ان ندرك شيئا هاما . . هذا الكلام ليس من عندي وانما هو خلاصة التجارب التي مر بها من سبقونا الى هذه التجربة . . اعظم واكبر تجربة في حياة الرجل والمرأة . . انهم يشبهون الزواج بطفل صغير ، لايختلف كثيرا عن طفلنا الذي رزقنا به الله . . تعالى نقف قليلا عند ذلك الجهد الذي نبذله من أجل رعايته وتربيته والمحافظة عليه . . بدون هذا الجهد قد تعتل صحته وقد يتعرض للمرض ، وربما الى ما هو اخطر من ذلك ! »

« والزواج ياحبيبتي طفل صغير ، في حاجة الى كل هذه الرعاية والعناية والحب والغذاء . . انه في حاجة كل يوم وكل ساعة الى زاد جديد ، يبعث فيه الدفء ويعيد اليه الروح ، حتى لايتحول الى جسد بلا حياة !

وتذكرت الزوجة وهي ماضية في استعادة ذكريات السنين الطويلة التي عاشتها مع الرجل الذي وهب نفسه لاسعادها هي وطفلها . . وتذكرت فجأة عملا هاما ينتظرها ، فقامت تجر ساقيها جرا ، فلم تكن ترغب في ان يقطع حبل الذكريات ، التي وجدت نفسها فجأة تعود اليها ، وتعيش فيها بكل وجدانها ، اي شيء مهما كان هاما وعاجلا . .

وانهت ماكان يجب ان تنهيه ، ثم عادت مسرعة الى حيث كانت تجلس امام الصورة التي بعثت في رأسها كل هذه الخواطر لتكمل رحلتها مع الماضي



البعيد القريب ، وكأنه كان بالامس فقط ، لايفصل بينه وبينها سوى تلك الخطوط الناعمة التي بدأت تظهر على وجهها معلنة غروب شمس الربيع . . كل شيء كان يبدو لها كما لو كان قد حدث بالامس القريب . . ووجدت نفسها تهمس لنفسها : كم هي قصيرة حياة الانسان على الارض ! »

ومدت يدها الى الصورة التي رافقتها طوال رحلتها وراحت تتأملها من جديد ، ثم مالبثت أن اعادتها الى مكانها وعادت معها الى ذكرياتها من جديد !!

* * *

انها مازالت تذكر الشعور الذي كان يسيطر عليها في كثير من الاحيان بالملل من الحياة التي تعيشها . . لا لأنها تكرهها . . بالعكس فقد كانت راضية بما قسم الله لها ، ولكنها كانت في بعض الاحيان تشعر ان عمل زوجها المرهق قد اخذه بعيدا عنها ، وأنها في حاجة الى ذراعه لتسند اليها رأسها المتعب ! كانت تتوق أحيانا الى مرافقته في رحلة بعيدا عن البيت ، تملأفيها رئتيها برائحة البحر ، وتستعيد من خلالها النشاط والحيوية والحنين الى البيت الذي ابتعدت عنه ولو لفترة قصيرة !

وكانت تسرّ اليه بمشاعرها . قالت له يوما : خذني في رحلة قصيرة مع طفلنا . . ابني في حاجة الى التغيير . . أريد ان ارى الريف . . اريد ان اجلس تحت شجرة امضي في ظلالها النهار ! .

وفعل ، وكان يوما من أجمل ايام حياة هذه الاسرة الصغيرة . . وفي طريق عودتهما الى البيت قال يهمس في اذنيها : « يجب ان تعلمي دائما اني احبك ! »

قالت : ولكن الحب وحده لايكفي اني اعيش بين جدران اربعة ، وسلواي الوحيدة في وحدتي هو طفلنا الصغير . . انني في حاجة اليك . . انني أشعر احيانا انني احدث نفسي !

ـ الشعور بالملل ياحبيبتي هو ألد أعداء الزواج . واذا بدأ الملل يتسلل الى قلبي الزوجين أو احدهما ، فمعنى ذلك ان هناك خطأ لابد من تصحيحه ، وانا اعترف لك بأنني مخطىء . ان عملي يأخذ كل وقتي ، اعدك بأن اخصص المزيد من الوقت لك ولطفلنا !

قالت : أنا لا اشكو . . ولكن لاتنس ان تكرار الاعمال التي اقوم بها في وقت معين وفي ساعة محددة يوما بعد يوم واسبوعا بعد اسبوع . . هذا التكرار ياعزيزي هو الذي يولد الشعور بالملل والضجر . . هو الذي يفقد الحياة طعمها ولذتها !

ـ ولكن الا ينطبق هذا علي أنا ايضا ؟

ـ لا . . لأنك تخرج كل يوم ، وتلتقي بوجوه جديدة . وترى صورا جديدة للحياة ، لا أراها أنا في عالمي الصغير المحدود داخل البيت .

* * *

تذكرت هذا الحوار بكل دقائقه وتفاصيله ، وكأنه دار بينها وبين زوجها منذ بضع دقائق مضت ، لامنذ عشرات السنين . . ودمعت عيناها وأسرعت الى منديلها الصغير تجفف به دموعها ، قبل أن تتجه الى الباب الخارجي لتفتحه . . فقد كان هناك من يطرق الباب . . في البداية كان الطرق خفيفا ، فلم يصل الى اذنيها وهي مستغرقة في رحلتها مع الذكريات . . ثم اشتد الطرق وتلاحق ، وعندئذ شعرت ان زائرا قد جاء فأسرعت تفتح الباب . .

وكانت المفاجأة . . لقد كانت أمها العجوز تقف امامها وجها لوجه وقد استبد بها القلق . . جاءت لتشارك في الحفل الصغير بمناسبة عيد زواجها . .

ـ أين كنت . لقد انقضت دقائق طويلة وأنا واقفة وراء الباب اطرقه بشدة حتى بدأ القلق يساورني . هل انت بخير يا ابنتي ؟

ولم تجب . . فقد اسرعت تلقي برأسها الصغير فوق صدرها ، ثم انفجرت تبكي ، كما يبكي الاطفال ! □

طبيب الأسرة

لوقاية ابنك من أمراض الصيف

● ماذا تفعلين لوقاية ابنك من أمراض الاسهال والجفاف ؟

مع بداية الصيف حيث درجة الحرارة العالية ، يبدأ تعرض الأطفال لأمراض الصيف . وعلى كثرة أمراض الصيف الا أن أخطرها هو الاسهال والجفاف ، فهناك من ٥ ـ ٨ ملايين طفل يموتون سنويا بسبب هذا المرض ، وعدد كبير من الاطفال الذين يحالفهم الحظ وينجون من الموت يصابون بأمراض في خلايا المخ مما يؤثر على النمو أو يصيبهم بخلل عقلي .

وعلاج المرض لا يتم الا في مستشفى وتحت عناية ورعاية الأطباء ومن هنا فان دور الام يقتصر على سبل الوقاية وملاحظة الطفل للذهاب به الى المستشفى في أسرع وقت .

الدكتورة ليل الفزيع طبيبة الاطفال تقدم لك عزيزتي الام بعض المعلومات عن هذا المرض . . تقول د . ليل :

يكثر هذا المرض في الصيف حيث تتكاثر الحشرات ، وحيث تتسبب الحرارة الشديدة في اتلاف الاطعمة ، وخاصة الحليب الذى يعتبر الغذاء لمعظم الاطفال ، وهذا كله لا ينفي اخطاء التغذية وانعدام النظافة خاصة في الشهور الاولى من عمر الطفل ، ومن هنا فانه لا بد للام من التعرف على الاسلوب الصحيح في تحضير الطعام لطفلها ، وفي اختيار النوع المناسب من الحليب الذي يتلاءم وعمره ، وضرورة الابتعاد عن الحليب الدسم الطازج . خاصة في الثلاثة أشهر الاولى .

والاهم من كل ذلك تشجيع الرضاعة الطبيعية ، وبيان مدى فائدتها وأهميتها في السنة الاولى من حياة الطفل . ولكن الرضاعة الطبيعية أيضا وان كانت تغني عن تعقيم المياه وزجاجة الحليب الا أنها تحتاج للنظافة أيضا ، وضرورة العناية بالثديين قبل وبعد الولادة ، فحليب الام يغني عن أي نوع من الغذاء لانه يعطي مناعة للاطفال ، ويكون حائلا بين الطفل والعدوى .

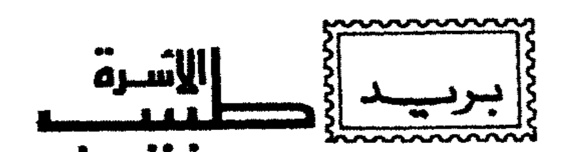
أعراض الجفاف :

قد تلاحظين أن عدد مرات التبرز تزداد لدى طفلك وتكون في معظم الأحيان لينة ، يصاحبها قيء ، وخمول في حيوية الطفل ، وقد يبدو الطفل

غائر الوجنتين والعينين ، واذا لمست بيدك رأس الطفل ستلاحظين انخفاضا في اليافوخ الى جانب اصابة الفم بالنشفان وباختصار يبدو الطفل وكأنه شيخ كبير .

والعلاج هنا يكون سهلا وسريعا ، اذا استطاعت الام أن تلاحظ الحالة وتعرضها للعلاج من البداية . لان تأخر ملاحظة الحالة يؤدي الى تأخر علاجها ، حيث يدخل الطفل المستشفى ويمنع الطفل عن الحليب نهائيا ، ولا يعطى سوى السوائل والمغذيات السائلة ، إما عن طريق الفم وإمّا الوريد .

☆☆☆



هرمون الغضب Adrenaline

قرأت فيما أقرأ عن هرمون يدعونه بهرمون الغضب . والحقيقة أنني بالرغم من شغفي بالقراءات الطبية لم أسمع بمثل هذا الهرمون ، ولا الى أية غدة ينتمي ، ولا الى مفعوله في الجسم ، فهل لي ببعض المعلومات المفصلة ؟

ولكم شكري وتقديري .

س . ى .
حمص - سوريا

تقع فوق الكلية غدة صمّاء تفرز عدة هرمونات ، وهذه الغدة التي يدعونها الغدة فوق الكلوية ، أوغدة الكظر ، تتكون من شقين :

الشق الأول هو الخارجي ويسمى بالقشرة Cor-tex أو اللحاء ، والشق الثاني هو الداخلي ويسمى باللب او النخاع . Medulla

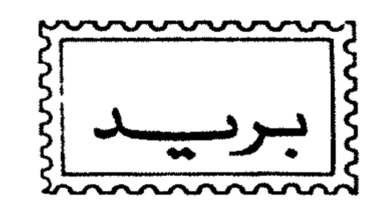
ان نخاع الكظر يفرز هرمونات أهمها هرمون الادرنالين أو الابينفرين Adrenaline Of Epinephrine ، كما يفرز هرمونا آخر يدعى نور أدرنالين Noradrenaline ، وهذه الهرمونات التي تفرز في الاحوال الطبيعية للانسان بكميات قليلة لها تأثير يشبه تأثير العصب السمبثاوى Sympathatic ، الذى يدعى في العربية بالعصب الفردى ، أو العاطفي ، لانه يستثار عند زيادة العاطفة كالخوف والغضب .

لهذا فان هرمون الأدرنالين يزداد افرازه لمواجهة المواقف العاطفية ، وأهمها الخوف والغضب ، ومن هنا حمل هذا الهرمون اسم هرمون الغضب مجازاً ، لان تأثيره على الجسم يتسم بالاعراض التي نلحظها عندما يستثار الانسان والحيوان ، أوعندما يغضب .

وتأثير هذا الهرمون الذى يفرزه الجسم عند الاستثارة هو لاعداد الجسم وتهيئة اعضائه لمواجهة متطلبات الموقف الدفاعي أو الهجومي .

ان الادرنالين يعتبر قابضا للاوعية الدموية ، وخاصة في الجلد والانسجة المخاطية ، وأوعية الكلية والاحشاء ، باستثناء شرايين القلب التاجية ، وأوعية المخ والرئتين التي تتسع مع فرط الادرنالين ، كما تزيد ضربات القلب ويرتفع ضغط الدم ، وتتوتر العضلات وتبطىء الأمعاء والمثانة .

لهذا يستفاد من الأدرنالين وزميله النورادرنالين في عدة مواقف استطبابية ، منها ايقاف النزيف في مواضع عدة ، كنزيف الرعاف من الأنف ، أونزيف الاسنان بعد قلعها .



بريد الأسرة طبيب

كما يستفاد منه في تقليل النزيف والألم اذا مزج بمخدر موضعي في العمليات الجراحية البسيطة مثل الجلد او الأسنان وما اليه .

وقد وجدت له . . فوائد عامة أخرى أهمها معالجة مواقف الحساسية الشديدة كالربو الشعبي أو الارتيكاريا الجلدية ، وأحيانا يستعمل في حال توقف القلب كلية عن العمل .

ان النورأدرنالين يشبه زميله الادرنالين ولكنه أقوى منه في قبض الأوعية الدموية وأضعف منه في الحقول الأخرى .

امراض الجنس

Sexlinked diseases

قرأت فيما أحب ان أقرأ من كتابات طبية عن أمراض مرتبطة بالجنس ، فهل هذه تعني أمراضا جنسية تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي غير المشروع ؟ .
ق. ن/ طرابلس الغرب ـ ليبيا

الأمراض المرتبطة بالجنس هي تلك التي ترتبط بجنس دون آخر ، ذكرا كان أو انثى ، وعادة ما تعبر عن أمراض متوارثة عبر كروموزومات الجنس أو صبغيات الجنس .

فمن المعروف أن عدد كروموزومات الخلية البشرية (أو الصبغيات) هو ٤٦ كروموزوما ، اثنان منها للجنس يحددان الجنين هل هو ذكر أم انثى ، ويطلق عليهما اسم كروموروم واى (Y) بالانجليزية وكروموزوم اكس (X)

ولما كانت البويضة التي تنطلق من مبيض الام هي نصف خلية ، فانها تحمل ٢٣ كروموزما ، منها واحد للجنس هو دائما من نوع (X) لان خلايا الانثى دائما تحمل كروموزومين من نوع (X) . بينما الحيوانات المنوية القادمة من الذكر هي أيضا نصف خلية وتعد ما بين ١٥٠ ـ ٢٠٠ مليون تحمل ٢٣ كروموزوما ، منها واحد للجنس ولكن نصف الحيوانات المنوية تحمل كروموزوم (واى) Y ، والنصف الآخر يحمل كروموزوم (اكس) (X) .

ومن التقاء البويضة حاملة كروموزوم اكس (X) مع حيوان منوى يتحدد نوع الجنين .

فاذا كان الحيوان حاملا لكروموزوم (X) كان نصيب الجنين أن يكون انثى ، أما لو صادفت البويضة تلقيحا بحيوان ذى كروموزوم Y فالجنين يكون ذكرا .

وقد اكتشف العلماء مؤخرا أن الكروموزومات هى التي تحمل صفات الوراثة ، عبر أحماض نووية تسمى بالجينات أو الموروثات .

وقد لوحظ أن كروموزوم واى (Y) لا يحمل على متنه أية مورثات على نقيض ما هو كروموزوم اكس (X)

ومن هنا نجد أن الام تنقل لمولودها الذكر أمراضا خفية عندها مثل مرض الهيموفيليا (أو النزاف) ومرض (عمى الالوان) فهذه لا تظهر الا على الذكور فقط يرثونها من أمهاتهم فقط بالرغم من أن الام تبدو ظاهريا سليمة معافاة .

وهذه ما يطلق عليها عادة أمراض مرتبطة بالجنس .

مساحة وُدّ

الحوار الذى تأخر

لم أشهد بداية القصة ، ولكنني شاهدت نهايتها ، رأيت الفصل الأخير وهو ينسج يوما بعد يوم ، وطوال عشرة أشهر كانت الأحداث فيها تتصاعد ، كان كل يوم يمر يقربني أكثر من تفاصيل القصة وأحداثها .

وبرغم معايشتي للتفاصيل الدقيقة ، الا أنني لم أستطع أن أكون حكما ، ولم أستطع أن أحدد من منهما الظالم . . . فكلاهما مظلوم . . فقد تزوجا منذ ثلاثة عشر عاما ، الزوجة تكبر الزوج باحدى وعشرين سنة ، كان في العشرين يوم أن تزوجها في بدء حياته العملية ، وهي سيدة لديها بعض الأعمال التي تدر عليها دخلا طيبا ، لم يطمع منها ماديا بصورة مباشرة ، بقدر ما كانت زيجة فيها عامل من عوامل الاستقرار . فهي تملك بيتا ، لا تطالبه بالكثير من نفقات البيت ، هي في توهج ماقبل المغيب ، وهو في توهج ماقبل الشروق !! ومضت الحياة ، كان كل يوم يمر يضيف اليه ويُنقص منها . . يزداد هو خبرة وثقافة ونضجا . . ويذبل صباها وجمالها ، وهي تقرأ بصعوبة ، وتقرأ فقط ما يمكنها من ادارة أعمالها . . . كانت الأيام تحمله قسرا الى سنوات الرجولة والحيوية والحركة ، كما تحملها قسرا الى سنوات الهدوء والاستكانة والوداعة ، وجاءت الأزمة . . بعد سنوات طوال لم تعد هي كما كانت ، ولم يعد هو قادرا على أن يعطيها شيئا . . ولم يتفجر الموقف بينهما فجأة . . بل على مدى سنوات . .

كان كل عام يمر يبعده عنها . . حتى وصلت العلاقة الى مرحلة الجفاف الكامل ، ولم يعد أي منهما قادرا على التحمل والعطاء على الأطلاق . . . وأصبحت الحياة جحيما . . وفي باطن المأساة تكمن الكوميديا . . عندما يبحث هو عن شيء يستدعي بقاءه خارج البيت . . تبحث هي عن كل ما يبقيها ساهرة في انتظاره لتحاكمه ، وكان حتما أن تحدث المواجهة . . هي بمنطق الأنثى الذي لا يعترف الا بحقها ، ولا يرى أنها تسير نحو الستين ، وهو برجولة الثلاثينيات . وكانت المواجهة حادة ودامية . . حاول هو كثيرا الا يجرحها وأن يبقى على خيوط الوفاء والعرفان بأيام طيبة مضت ، وظلت هي تحاصره بخناجر كلماتها لكي يواجهها . . وسقطت الأقنعة . . وتمزق ستار الحياء والعرفان . . وانطلقت كلمات تأخر النطق بها ثلاثة عشر عاما . . فجرحت وأدمت ولم تبق على شيء . . فقد تمثل الانسان في أبشع صورة . . حيوان يقتل دفاعا عن رغبات وغرائز لم تهذبها الألفة ولم يعد يسمو بها الوفاء . □

محمود عبدالوهاب

العربي العربي العربي من ربع قرن

اتجاهات في تراثنا الثقافي

العدد الثامن عشر مايو - ١٩٦٠



البحث في اتجاهات الفكر ، يحتاج الى معرفة التراث الثقافي قديمه وحديثه ، والى استقراء ظواهر الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية والفنية والأدبية في الماضي والحاضر .

فماهي هذه الاتجاهات ؟

١ - اتجاه الفكر العربي الى النظر العقلي ، وإيمانه بقدرة الانسان على الكشف عن الحقيقة . فالدعوة الاسلامية قامت على تنبيه العقل وتوجيهه الى النظر في الوجود واستعمال القياس الصحيح ، والرجوع الى ماحواه الكون من النظام والترتيب ، واشتباك العلل والمعلولات ، ليصل بذلك الى القول ان للكون صانعا عالما حكيما قادرا ، بل ان خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح وارساءها ، واثارة السحاب لانزال الماء واحياء الأرض ، وانبات النبات وانعاش الحي ، كل ذلك آيات بينات تدعو العقل الى النظر في الوجود .

وقد نشأ عن نزوع الفكر العربي الى النظر العقلي فرق فلسفية كثيرة دعت الى الاعتماد على سلطة العقل ، والى القول بحرية الارادة ، كالمعتزلة الذين ذهبوا الى ان العقل نور في القلب ، يعرف الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبيح . وكالفلاسفة الذين قالوا ان سعادة الدنيا والآخرة لاتنال الا بالعقل .

كما أن كتب العرب في الطبيعة والكيمياء والطب لاتقتصر على الاحكام الغيبية المجردة ، بل تشمل على كثير من الملاحظات والتجارب . فالأطباء يذكرون تجاربهم ، وعلماء الطبيعة والكيمياء يقيمون التجارب لاثبات صحة احكامهم . لقد آمنوا جميعا بقيمة التجريب ، واستخدموا العلم في خدمة الانسان ، حتى لقد ورثت أوروبة عنهم ما نسميه اليوم بالروح الباكونية نسبة الى الفيلسوف الانجليزي باكون ، تلك الروح التي تتخذ العلم وسيلة للسيطرة على الطبيعة . وقد أثبت التحقيق التاريخي ان العرب هم واضعو قاعدة (جرب واحكم) فطبهم تجريبي ، وفلكهم تحقيقي ، وهندستهم تطبيقية ، وكيمياؤهم عملية .

نعم انهم لم يصلوا في العلوم التجريبية الى الدرجة

التي وصلت اليها أوروبة الحديثة ، ولكن مشاهداتهم الصحيحة وملاحظاتهم الدقيقة هيأت اسباب تكوّن العلم الحديث .

٢ ـ ميل الفكر العربي الى الاستيعاب والاحاطة ، ونعني بهذه الاحاطة عناية العرب بجميع العلوم على السواء ، خلافا للرومانيين الذين لم يكن لهم في العلوم الفلسفية والحكمية أثر عميق ، فبرزوا في الاخلاق والحقوق والادارة والسياسة ، ولم يبرزوا في الفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء .

لقد أدت هذه الرغبة في الاحاطة الى اقبال العرب على نقل جميع العلوم الى لغتهم والى استيعابها في مدة قصيرة . فكان لهم في هذه العلوم فضل الحفظ والابقاء أولا ، ثم فضل الاختراع والابتكار ثانيا . ويندر ان يجد الناظر في تاريخ الأمم الماضية حركة فكرية بلغت من السعة والشمول ما بلغته حركة الترجمة عند العرب .

وهم لم يعملوا على نقل العلوم اليونانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية فحسب ، بل عملوا بصورة غير مباشرة على حفظها ونقلها الى العالم أجمع . وقد اعانهم على هذه الترجمة اتساع لغتهم ، وقدرتها على الشمول والاستيعاب ، فاشتقوا من المواد الأصلية مصطلحات عربية أصيلة لاتشم من خلالها رائحة الترجمة ، حتى لقد أصبحت هذه المصطلحات وما يناسبها من المعاني مرتبطة بعضها ببعض ارتباط الاشارة بالشيء المشار اليه ، أو ارتباط الصورة الحسية بالشيء المحسوس ارتباطا محكما . وأصبحت اللغة العربية بذلك لغة ثقافية شاملة ، تتسع لجميع العلوم ، لاتجاريها في هذا الشمول والاحاطة لغة من لغات العالم .

على انه ينبغي لنا ان نطعّم ميلنا الى الاستيعاب والاحاطة بالميل الى التخصص، لان العلم الحديث أوسع من ان يحيط به عقل واحد . ومن شروط التعمق في العلم التخصص في موضوع واحد او في جزء من موضوع واحد ، فاذا تم لنا ذلك استطعنا ان نغني لغتنا ، وان نجعلها قادرة على استيعاب ثمرات العلوم كلها . .

٣ ـ الميل الى التوحيد ، فالعرب يعتقدون ان الله واحد لا أول لوجوده ولا آخر لأبديته . وفلاسفتهم يؤمنون بوحدة المعرفة والحقيقة ، ووحدة الدين والفلسفة . والمعرفة والحقيقة متفقتان لان العقل واحد . والحكمة والشريعة متفقتان لأن الحقيقة واحدة .

وهذا الميل الى التوحيد يتجلى أيضا في كلام فلاسفتنا على الصفات الالهية . نظروا في الصفات فرأوا ان يردوها أولا الى صفة واحدة كالعلم والقدرة ، ثم حاولوا ان يجعلوها عين الذات . ثم رأوا ان يسلبوها عن الذات . فتعدد الصفات عندهم لايؤدي الى كثرة في ذات الله . لانه كما يقول ابن سينا واحد لايصدر عنه الا واحد ، فعلمه لايخالف قدرته ، وقدرته لاتباين علمه ، بل هو واحد من كل وجه .

ان هذا الميل الى التوحيد هو المحرك الأساسي للفكر العربي في ماضيه وحاضره ، فهو يؤمن بوحدة العقل ووحدة النفس ، ويعتقد ان الطبيعة الانسانية واحدة في جميع الناس . وهو يؤمن بالوحدة ايمانه بالمساواة ، ويؤمن بالمساواة ايمانه بالحرية .

٤ ـ الميل الى الحرية والتسامح ، فقد كان الفقيه والمتكلم والمتحدث والنحوي والمتأدب والفيلسوف والفلكي والمهندس يجلسون للتدريس في المسجد ، أو في المدرسة التابعة للمسجد ، فينتقل الطالب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ، ومن مجلس الحديث الى الأدب ، واذا دار الحديث بين العلماء عن مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها في المناظرة والاقناع والالزام ، وأخذ التسامح بينهم مأخذه . ولم تكن هذه الحرية خاصة بطائفة من الطوائف ، بل كان الناس في التمكن منها سواء ، وانما كان التفاضل بين الناس بالعلم والعمل والانتاج .

هذه بعض اتجاهات الفكر العربي ذكرتها هنا في أهم عناصرها وأدق مقوماتها ، ولا حاجة بي الى القول ان هنالك منازع أخرى كثيرة لايتسع المجال لذكرها هنا ، كالميل الى الحياة العملية ، والميل الى الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة . . . . الخ . . □

د . جميل صليبا

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا
٨-جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - السنة الضوئية وحدة مسافة اصطلح عليها علماء الفلك وتبلغ (٦) مليون مليون ميل .. فلو افترضنا أن علماء الفيزياء اصطلحوا على وحدة مسافة أخرى وسموها السنة الصوتية .. فكم ميلا تبلغ هذه السنة الصوتية ؟

٢ - يؤكد الفلكيون ان حجم الشمس يبلغ (٤٠٠) ضعف حجم القمر ... ترى لمَ يبدوان متساويين حجما ... ؟

- نظرا لأن بعد الشمس عنا يبلغ ٤٠٠ ضعف بعد القمر ..
- نظرا لضوء الشمس الباهر الذي يبهر البصر ولا يسمح للعين بالتحديق فيها وتقدير حجمها ..
- نظرا لأن سرعة دوران الشمس حول نفسها تبلغ ٤٠٠ ضعف سرعة دوران القمر حول نفسه .

٣ - أي المدن الأوروبية التالية أكثر شبها بالبندقية .. المدينة ذات الشوارع المائية ؟

- امستردام
- فينا
- جنيف

٤ - السيخ فرقة هندية معروفة تسعى الى نيل الاستقلال الذاتي في ولاية البنجاب التي تشكل أكثرية بين سكانها .. ترى ما هو محور معتقداتها الدينية ... ؟

- الوحدانية
- معتقدات السيخ لا تختلف عن المعتقدات الهندوسية .. فهي أقرب الى الوثنية ولا تمتّ الى الوحدانية بصلة .

٥ - اللغة الآرامية ، لغة السيد المسيح في سبيلها الى الانقراض .. وقد اختفت في أكثر البلدان التي انتشرت فيها في الماضي البعيد باستثناء بلدة واحدة تقع في سوريا .. فأي بلدة هذه ... ؟

٦ - ما الفرق بين الخِطْبة والخُطبة ... ؟

٧ - في العالم سلسلتان من الجبال تعرفان باسم جبال الألب .. احداهما سلسلة جبال الألب الاوروبية .. وهي الأشهر ولا ريب .. فأين تقع سلسلة جبال الألب الاخرى .. ؟

- نيوزيلنده
- الولايات المتحدة الأمريكية
- الاتحاد السوفياتي

٨ - ثمة مدينة تعرف باسم أكرون Ak ron وتعتبر عاصمة المطاط في العالم .. أين تقع هذه المدينة ... ؟

- في ماليزيا .. الدولة الأولى في زراعة المطاط في العالم
- في البرازيل ... موطن المطاط الأصلي
- في الولايات المتحدة الامريكية

٩ - معدن البوكسايت Boxite معدن معروف ويستخرج من خامة الألمونيوم .. لم سموه بهذا

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣١٨ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول يوليو ١٩٨٥ .

الاسم . . . ؟

■ لأنهم صنعوا منه الصناديق الحديدية في بادىء الامر

■ لأنهم أدخلوه في صنع قفازات الملاكمة (بوكس)

■ سمي بهذا الاسم نسبة الى مدينة (لي بوكس) Le Baux الفرنسية التي اكتشفوا المعدن فيها . . .

١٠ ـ من هو العالم الايطالي الشهير الذي حوكم وأدين وفرضت عليه الاقامة الجبرية في منزله طوال سنوات . . الى أن مات . . قبل نحو ٣٠٠ سنة،وما الذنب الذي ارتكبه حتى لقي هذه المعاملة القاسية في خريف حياته . . . ؟

١١ ـ أي الوحدات التالية خاصة بقياس الضغط الجوي وأيها خاص بقياس الضوضاء وأيها خاص بقياس قوة العواصف . . . . ؟

■ الرختر ■ الدسيبل ■ الميليبار

١٢ ـ هل يوجد ليل ونهار على سطح القمر . . وكم يبلغ طول كل منهما اذا وجدا . . ؟

■ يبلغ كل منهما نحو ١٤ يوما من أيام الارض

■ ليل القمر أطول من نهاره . . فالأول يبلغ نحو (٢٠) يوما من أيام الارض،والثاني لا يزيد على (٨) أيام فحسب .

■ نهار القمر أطول من ليله . . ونهاره هو الذي يبلغ نحو ٢٠ يوما من أيام الارض . . بحيث لا يزيد ليله على (٨) أيام .

العدد ٣١٨ مايو ١٩٨٥

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أو على ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ . . . .

٢ ـ . . . .

٣ ـ . . . .

٤ ـ . . . .

٥ ـ . . . .

٦ ـ . . . .

٧ ـ . . . .

٨ ـ . . . .

٩ ـ . . . .

١٠ ـ . . . .

١١ ـ . . . .

١٢ ـ . . . .

الاسم : . . . .

العنوان : . . . .

مسابقة العربي الثقافية

حل

١ ـ عباس بن فرناس حاول الطيران عدة مرات ولكنه فشل وأصيب بكسور في عظامه دون أن يموت . أما فشله فمرده الى أن جسم الانسان لم يخلق ليطير ... فعضلات صدره ضعيفة وخفيفة الوزن .. فهي أعجز من أن ترتفع بجسمه في الجو .. بخلاف عضلات صدر الحمام التي يبلغ وزنها نصف وزن جسم الحمام تقريبا .. وتجدر الاشارة الى أن عباس بن فرناس من علماء الأندلس وأصحاب الصناعة والفن فيها وقد توفي عام ٨٨٨ م

٢ ـ رسائل اخوان الصفا تناولت الرياضيات والمنطق وعلم النفس وما بعد الطبيعة والتصوف والتنجيم وما الى ذلك .. ولم تُعْن بالشعر والأدب ولا التاريخ والسير .. ومما يذكر أن جمعية اخوان الصفا جمعية سياسية دينية فلسفية ظهرت في القرن العاشر واتخذت من البصرة مقرا لها .

٣ ـ الأميبا حيوان .. انها من أبسط أشكال الحيوان .. وهي تعيش في الماء العذب أو المالح أو في التربة وبعضها يعيش في أمعاء الانسان نفسه .. والأميبا تتحرك كسائر الحيوان .

٤ ـ تبلغ المسافة التي قطعها القطار (٢٠٠) كيلومتر .. مادام قد قطعها في رحلة الذهاب بأربع ساعات ، وبسرعة ٥٠ كيلومترا في الساعة .. ومعنى هذا أن رحلة الاياب التي بلغت سرعته فيها ٢٥ كيلومترا في الساعة قد استغرقت ٨ ساعات .. فسرعة القطار بالمتوسط في الرحلتين تبلغ اذن : ٤٠٠ ٤٠٠ ÷ ١٢ = ٣٣ كيلومترا وثلث الكيلومتر في الساعة.. وغني عن البيان أن ٤٠٠ كيلومتر هي مجموع المسافة التي قطعها القطار في كلتا الرحلتين ، و ١٢ ساعة هي مجموع الساعات التي استغرقتها الرحلتان .. ومتوسط السرعة المطلوب انما هو حصيلة تقسيم المسافة على الزمن .. أي ٤٠٠ ÷ ١٢ = ٣٣ كم وثلث الكيلومتر .

٥ ـ حمام الزاجل هو الأسرع .. اذ تبلغ سرعته ١٠٠ كيلومتر أو تزيد في بعض الأحيان ، ولا تزيد

مسابقة العدد ٣١٥ فبراير ١٩٨٥

سرعة أسرع الجياد على ٧٠ كيلومترا في الساعة .

٦ ـ ربح الرجل في كل من الصفقتين الأولى والثانية ١٠ دنانير . . ومعنى هذا أن مجمل ربحه فيهما ٢٠ دينارا .

٧ ـ رفع الأمريكيون ابان حرب الاستقلال نفس العلم الذي فرضته عليهم بريطانيا قبل الحرب وقوامه العلم البريطاني نفسه . .

٨ ـ لفظ الموهير مشتق من أصل عربي هو (المخيّر) . . وهو من شعر الماعز الممتاز .

٩ ـ القناة المقصودة هي قناة الثرثار . . التي تقع في العراق ، على طريق بغداد ـ الفلوجه باتجاه ابو غريب والتي تصل بين نهري دجلة والفرات . . .

١٠ ـ تبدو لك بعض الأقمار الصناعية ثابتة تبعا لارتفاعها وللسرعة التي تنطلق بها في مدارها . . وتبلغ هذه السرعة (٢٨٠٨٣) كم / س على ارتفاع ١٦٠ كم . .و (٢٧٤٥٥) كم/س على ارتفاع ٤٨٠ كم و (٢٥٨٩٠) كم/س على ارتفاع ١٦٠ كم . . . ولا تزيد تلك السرعة على (٣٨٠٠) كم/س اذا بلغ ارتفاع القمر الصناعى (٣٨٦٠٠) كم أي ما يعادل المسافة بين القمر والكرة الأرضية .

١١ ـ العبارة صواب . . . فالاسم جمبو هو الاسم الذي أطلقوه على احد فيلة حديقة حيوان لندن .

١٢ ـ القلة ضد الكثرة ، والقُلّة هي الجرة ، والقَلّة هي النهضة من علة أو فقر .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٥ فبراير ١٩٨٥

الجائزة الاولى : فادي فاعل . Fadi Fael Poste Restante 2 41000 zegreb yugoslavia.

الجائزة الثانية : فادي عادل جمال الدين ـ شوران ـ ص . ب (١١٣ ـ ١٣٥) بيروت ـ لبنان

الجائزة الثالثة : صالح يوسف عقيل ـ اربد ـ صمد ـ الاردن .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ محمد نجيب مبروك علي / مدرسة سيهات الثانوية ـ سيهات ٣١٩٧٢ ـ المنطقة الشرقية ـ المملكة العربية السعودية .

٢ ـ حكيم ادريس / الزنقة ٤ الرقم ٧٠ ـ حي السلام ـ فاس ـ المملكة المغربية .

٣ ـ مرزة كريم / الجزائر ـ غليزان ـ ص . ب (١٧٥)

٤ ـ الياس اسكندر / المدرسة الابتدائية ـ منجم المثلوب ـ ٢١٣٠ المثلوب ـ الجمهورية التونسية .

٥ ـ عبد العزيز سليم عدي / أبو ظبي ـ ص . ب (٢٨٧١) ـ دولة الامارات العربية المتحدة .

٦ ـ علي أحمد الحسن المريان / سلطنة عمان ـ الشرقية ـ فلج المشايخ ـ مدرسة فلج المشايخ الاعدادية .

٧ ـ محمد أحمد الكاساني / الجماهيرية الليبية ـ طرابلس ـ جامعة الفاتح ـ ص . ب (١٣٦١٣) .

٨ ـ بيها حمود المختار السالم / كلية العلوم ـ جامعة الكويت ـ دولة الكويت .



حرية الحركة

حرية الحركة من الأمور الجديرة باهتمام اللاعب الجيد ولا تقل أهميتها أحيانا في تقرير مصير الدور عن فرق المادة ، ومن اللاعبين من يضحّي بقطعة أو أكثر ليتيح لقطعه المزيد من الانتشار وحرية الحركة . ويمكن تعريف حرية الحركة بمجموع النقلات شبه القانونية* المتاحة لكل لاعب ، وباحتساب هذا المجموع نحصل على مقياس جيد لحرية الحركة التي يتمتع بها اللاعب . ولو افترضنا أن وحدة حرية الحركة تساوي عُشر البيدق وهي القيمة التي يتبناها مبرمجو الشطرنج الآلي لخرجنا بالمعادلة التالية لتقويم الأوضاع الشطرنجية المختلفة :

مجموع النقط = المادة + (ار. × الحركة)

ولتوضيح هذا الأسلوب في تقويم المواقف نورد الدور التالي بين البطلين سباسكي وفيشر والذي يعتبر أشهر أدوار عام ١٩٧٢ على الاطلاق :

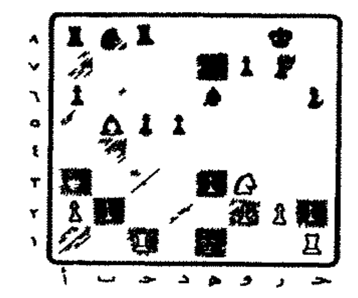
فيشر (أبيض)	سباسكي (أسود)
١ ـ جـ ٤	هـ ٦
٢ ـ ح ـ و ٣	د ٥
٣ ـ د ٤	ح ـ و ٦
٤ ـ ح ـ جـ ٣	ف ـ هـ ٧
٥ ـ ف ـ ز ٥	ت

حرية الحركة (أبيض) ٣٩ (أسود) ٢٩

مجموع النقط = ١ و . × (٣٩ ـ ٢٩) = ١

بالرغم من تساوي المادة فان الأبيض يعتبر متقدماً بما يساوي بيدقاً واحداً .

٦ ـ هـ ٣	حـ ٦
٧ ـ ف ـ حـ ٤	ب ٦
٨ ـ جـ × د ٥	ح × د ٥
٩ ـ ف × هـ ٧	و × هـ ٧
١٠ ـ ح × د ٥	هـ × د ٥
١١ ـ ر ـ حـ ١	ف ـ هـ ٦
١٢ ـ و ـ أ ٤	جـ ٥
١٣ ـ و ـ أ ٣	ر ـ جـ ٨
١٤ ـ ف ـ ب ٥	أ ٦
١٥ ـ د × حـ ٥	ب × حـ ٥



حرية الحركة (أبيض) ٤٤ (أسود) ٣٥

مجموع النقط = ١ و . × (٤٤ ـ ٣٥) = ٩و.

لا يزال الأبيض متقدماً

١٦ ـ ت	ر ـ أ ٧
١٧ ـ ف ـ هـ ٢	ح ـ د ٧
١٨ ـ ح ـ د ٤	و ـ و ٨

* لانها تشمل جميع النقلات المتاحة حتى النقلات التي يقع الملك فيها تحت الكش

١٩ ـ ح × هـ ٦	و × هـ ٦
٢٠ ـ هـ ٤	د ٤
٢١ ـ و ٤	و ـ هـ ٧
٢٢ ـ هـ ٥	ر ـ ب ٨
٢٣ ـ ف ـ جـ ٤	م ـ حـ ٨
٢٤ ـ و ـ حـ ٣	ح ـ و ٨
٢٥ ـ ب ٣	أ ٥

التقويم : المادة متساوية

حرية الحركة (أبيض) ٣٥ (أسود) ٣٤

مجموع النقط : ١ و . × (٣٥ - ٣٤) = ١ و

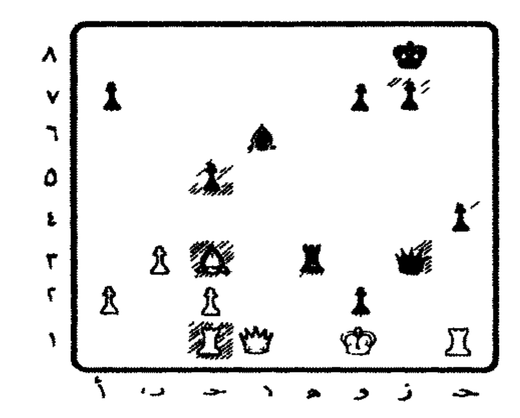
يكاد الأبيض يتساوى مع الأسود

٢٦ ـ و ٥	هـ × و ٥
٢٧ ـ ر × و ٥	ح ـ حـ ٧
٢٨ ـ ر ١ ـ و ١	و ـ د ٨
٢٩ ـ و ـ ز ٣	ر ـ هـ ٧
٣٠ ـ حـ ٤	ر ـ ب ٧
٣١ ـ هـ ٦	ر (ب) ـ جـ ٧
٣٢ ـ و ـ هـ ٥	و ـ هـ ٨
٣٣ ـ أ ٤	و ـ د ٨
٣٤ ـ ر ـ و ٢	و ـ هـ ٨
٣٥ ـ ر ـ و ٣	و ـ د ٨

المادة لا تزال متساوية ولكن الأبيض يتفوق
في حرية الحركة بمقدار ٦ر١ نقطة

٣٦ ـ ف ـ د ٣	و ـ هـ ٨
٣٧ ـ و ـ هـ ٤	ح ـ و ٦
٣٨ ـ ر × و ٦	ز × و ٦
٣٩ ـ ر × و ٦	م ـ ز ٨
٤٠ ـ ف ـ جـ ٤	م ـ حـ ٨

التقويم : لم تعد المادة متساوية الآن لأن الأبيض قد ضحى برخه مقابل حصان وبيدق ولكنه مع ذلك يعتبر متفوقاً من حيث حرية الحركة فمجموع النقط الآن يساوي : ٤١ - ٢٥ = ٦ر١ وليس هذا التفوق نظرياً فحسب فقد أثبتت التجربة صحته فما ان لعب الأبيض :
٤١ . و ـ و ٤ حتى أعلن الأسود استسلامه .



مسابقة العدد
مسألة رقم (٢٩)

الأسود يلعب ويميت الشاه في نقلتين

الفائزون بحل المسابقة رقم ٢٦
عدد فبراير ٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ حسين الرفاعي ـ الاسكندرية/ج.م.ع
٢ ـ تريزا رهيجي ـ الخرطوم/ السودان
٣ ـ لمياء أبو خشانه ـ قابس/ تونس
٤ ـ محمد المنير ـ دمشق/ سوريا
٥ ـ عدنان عبد الغني ـ بغداد/ العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ ياسين الكنج ـ الرميثية/ الكويت
٢ ـ أنور محرز ـ ابو ظبي/ الامارات
٣ ـ محمد سطوبسى ـ الزقازيق/ ج.م ع
٤ ـ شاكر يوسف ـ السنابس/ البحرين
٥ ـ سالم سليمان ـ أبها/ السعودية



العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حــوار القــراء

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

كلمة

رسائل القراء كثيرة . . والاختلاف فيها كثير ومتعدد ، كما أن المطالب والاقتراحات فيها كثيرة أيضا . ونحن أمام هذه المطالب والاقتراحات نبدو فى حيرة من الأمر . . فالبعض يريد منا زيادة صفحات « حوار القراء » حتى تأخذ معظم الرسائل طريقها فوق صفحات العدد . . وصوت آخر يناديا من أقاصى المغرب العربى يطلب منا تخصيص ركن للتعارف مع أبناء العروبة ، وقائل آخر يقول : لماذا لا تعودون الى صورة الصفحة الثانية . . ومطالب عديدة كل يريد تحقيقها له . . والحرص على تحقيق رغبات القراء ومطالبهم غاية رسالتنا فى « العربى » ولكن هناك اعتبارات ، وهناك عراقيل تقف أمام تحقيق ما يريد كل قارىء . . فالعذر للقراء . . وخير الناس أعذرهم للناس . .

المحرر

الشباب زهرة الأمم

● شباب هم البذرة فى الأرض . . والبذرة تحتاج ، مناخ ملائم ومناسب حتى تنمو وتزدهر لتعطي ثمارها .

وحتى يستطيع هؤلاء الشباب الوقوف على أقدامهم فانهم يحتاجون الى عناصر مادية واجتماعية ووجدانية وسياسية ، وكل هذه العناصر تتفاعل وتتكامل بنظام دقيق ومحسوب باحكام . وليس من شك فى أن كل جانب من هذه الجوانب تعترضه آلاف العقد ، الدول النامية بشكل عام ، الأمر الذى يترتب عليه أن نجد شبابا لديهم شعور قاتل « بالدونية » وعدم الكفاءة . ولما كانت أغلب المشروعات تحمل معانى ودلالات على طبيعة شخصيات الشباب ، التى نحن فى حاجة كبيرة الى اعادة بناء الانسان من جديد ، وهذا البناء يتم من خلال الايمان والالتزام بكتاب الله تعالى .

ان روح ديننا السمح تقوم على الايمان بالله والعقيدة الراسخة ، والايمان والعقيدة يحصلان للانسان مجموعة من القيم والمبادىء التى لا تقوم الحياة بدونها .

حلمى محمد متولى/ الدقهلية - مصر العربية

[illegible]

لا ينكر أحد دور الشباب فى بناء الأمم ، فهم العطاء المتدفق الذى يستطيع بناء الحضارات لاوطانهم . . ومتى ما توافر مناخ الحرية والحماس لجيل الشباب ، فانه يبدع فى العطاء دون حدود ، ويبقى دون يأس . .

بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

اعداد : يوسف الشهاب

ديمقراطية الكويت

● قرأت ما تناولته الصحافة عندنا ، أجهزة المذياع . حول الانتخابات البرلمانية في بلادكم ، التي تصدر منها كل شهر مجلة كل مواطن عربي ، والتي تحمل اسم « العربي » ولقد أعجبتنا هذه الروح الديمقراطية التي تسود فوق أرضكم ، وهي ر ح نعتز بها نحن كما تعتزون بها ، لأن الأمة العربية جسد واحد ، ولأن الكويت قد أعطت الوجه الحقيقي المشرق للديمقراطية والحرية والاخاء بين أبناء الشعب الواحد . . هنيئا لكم في مناخ الحرية والود والتعاطف الذي يسود أرضكم ، وهنيئا لنا نحن العرب بالكويت البلد العربي الأصيل الذي يعمل بالشورى من أجل بناء الكويت وشعبها . .

محمد بلعباس ـ وهران . . الجزائر

الحياة الديمقراطية في الكويت ليست جديدة على هذا البلد . . فقد كان أبناء الكويت القدماء يعملون يدا واحدة ، لا فرق بين حاكم ومحكوم . . وما تعيشه الكويت من حياة ديمقراطية هي امتداد لذلك الماضي الذي عاشت عليه وأصبح جزءا منها . .

الناس معادن . . فلا تعجب

● كانت دهشتنا كبيرة نحن قراء « العربي » في منطقة الاحساء بالمملكة العربية السعودية ، حين رأينا أن العدد الممتاز من المجلة ليس مصحوبا بالهدية التي تقدمها العربي للقارىء مع مطلع كل عام . .

ودهشتنا أكثر حينما رأينا أن هذه الهدية تباع في محلات الزجاج « البراويز » وبأسعار تفوق أسعار المجلة ذاتها ـ وهذا بعيد عن أهداف المجلة كما نعلم ، ونرجو أن لا تتكرر هذه التصرفات مرة أخرى ، لاننا نعلم جيدا أن العربي حريصة على تقديم الثقافة والمعرفة للقارىء أكثر من حرصها على المال . .

ابراهيم سليمان الدخيل ـ الاحساء
السعودية

هدية العربي تباع كما هي العادة مع العدد . هذا هو هدفنا ، واذا كان هناك من يبيعها دون العدد فذلك اجراء شخصي من بعض أصحاب المكتبات ، ويمكن للقارىء أن يطالب بهديته من بائع المكتبة ، كما يمكن الرجوع أيضا الى مكتب الموزع فذلك حق من حقوقه ، ولا نستطيع بالطبع مراقبة كافة أصحاب المكتبات فالمسألة تتعلق بمعدن البائع ، ولا تتعجب من هذا السلوك . .

نحن أمة الحضارة

● ليس التحضر هو تقليد واتباع أساليب التصنع في حياتنا والتظاهر بمظاهرنا الخارجية ، لاننا أمة سبقت أمم العالم الأخرى في الحضارة والتطور ، وأعرف الناس الى رفع الأسس والمبادىء ، ولدينا من العلماء في شتى العلوم المختلفة الذين تركوا ابداعهم العلمي واضحا على مسيرة الانسان في هذا الكون .

واذا كان هذا هو ماضي أمتنا العربية التي أشرقت شمس علومها على اختلاف أصقاع العالم ، فاننا لابد وأن نعود الى احياء ذاك العصر الذهبي الزاهر ، الذي



كانت عليه أمتنا يوم أن كان الغرب يغط في ظلمات الجهل والتخلف .

بولس كامل الشيخ ـ الجمهورية السورية

كم يتمنى المرء أن تعود أمتنا الى العصر المشرق الذى كانت عليه ، لكن الأماني لا تأتي بالكلمات ، بقدر ما تأتي بالعمل المخلص ونبذ الأحقاد والضغائن فيما بين أمة العرب . .

استطلعوا حضرموت

● دأبت مجلة العربي ، على نشر استطلاع شهرى يسلط الضوء على قطر عربي أو اسلامي ، ويعطى القارىء صورة عن طبيعة جانب من الحياة اليومية في الدولة ذات العلاقة بالاستطلاع ، لكنكم منذ زمن بعيد لم تقدموا لنا استطلاعا عن محافظة «حضرموت» في جمهورية اليمن الديمقراطية ، حتى يقف القارىء في شتى أقطار الوطن العربى على ما وصلت اليه بلادنا خلال السنوات الأخيرة . .

حسين محمد الدحيمي ـ عدن ـ اليمن الديمقراطي

لسنا في غفلة عن اليمن الديمقراطي ، فكل بلاد العرب أوطان للعربي . ولو رجعت الى عدد العربي (سبتمبر ١٩٨٤) لوجدت استطلاعا عن الحياة الجديدة في اليمن الديمقراطية . على أى الحالات فنرجو أن نقوم باستطلاع جديد مرة أخرى في بلادكم باذن الله .

توضيح من الدكتور الفرا حول خريطة الوطن العربي

● إثر اصدار خريطة الوطن العربي ، هدية العدد الممتاز (يناير ١٩٨٥) التي أشرف على إعدادها الدكتور محمد علي الفرا ، وردت من عدد من القراء الكرام بعض الرسائل التي تتعلق بملاحظاتهم حول الحدود وغير ذلك من الانتقادات .

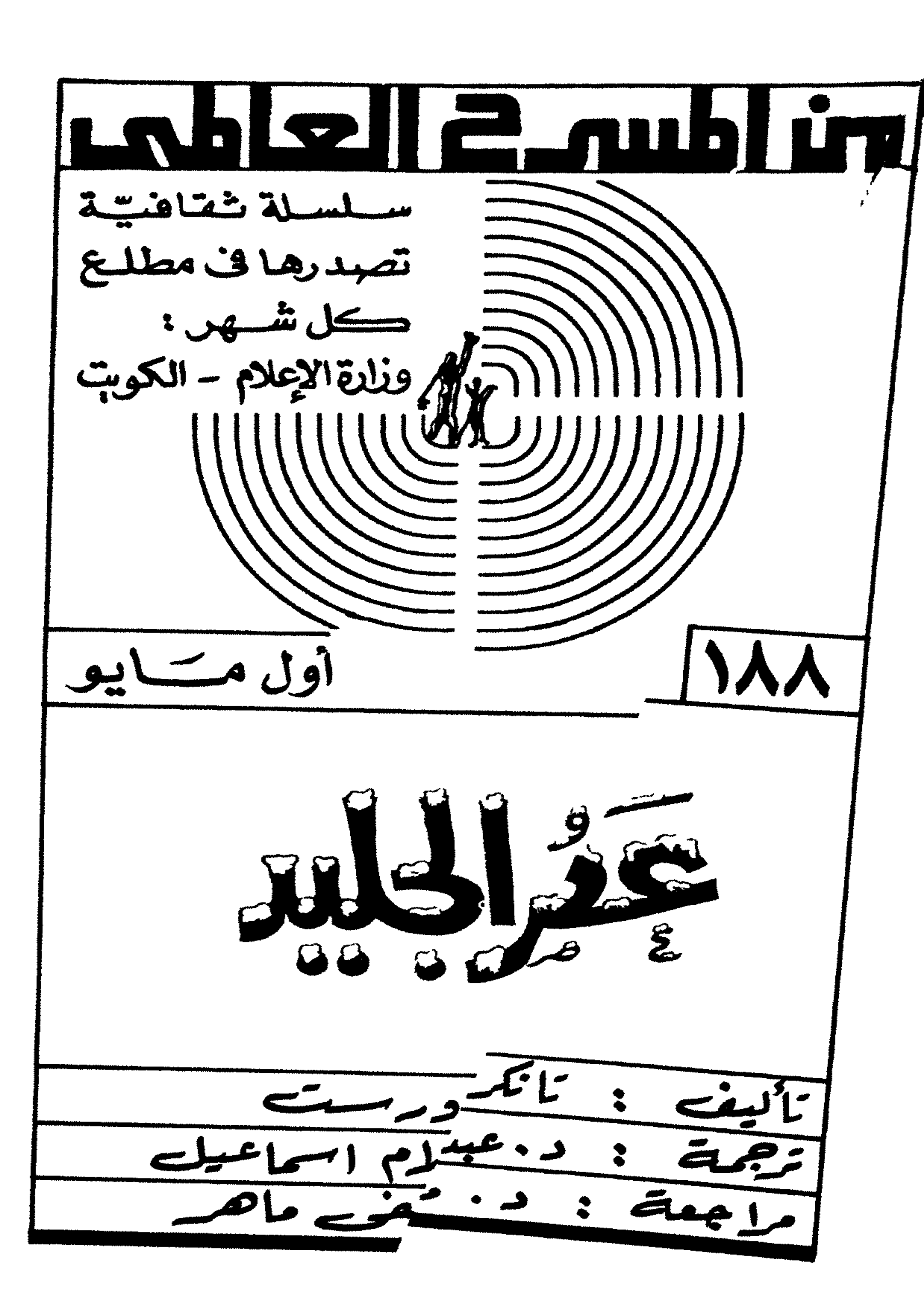
وننشر فيما يلي التوضيح التالي من الدكتور محمد علي الفرا :

وردت رسائل كثيرة من القراء الكرام يحتجون فيها على الحدود بين بعض أقطار الوطن العربي ، كما يعتب فريق آخر لعدم ذكر قطر معين بحدوده ضمن الخريطة .

ونحب أن نوجه عناية القراء الكرام الى أن الحدود من المسائل التي لاتزال قائمة بين كثير من أقطار الوطن العربي ، ولذلك وتجنبا للاشكال استخدمنا « الحد اللوني » بين بعض المناطق للدلالة على أن الحدود بانتظار التسوية النهائية .

وبسبب مشاكل الحدود أصبحت كثيراً من دور النشر العالمية التي تصدر الاطالس والخرائط تحرص على كتابة العبارة التالية في أسفل الخرائط (لا صلاحية لهذه الخريطة فيما يتصل بالحدود الدولية) .

أما ما يعتقده البعض من أننا استبعدنا بعض الاقطار من خريطة الوطن العربي ، فانه مع تقديرنا للروح العربية العالية التي يتحلى بها القراء الاعزاء ، ونحن نشاركهم هذا الشعور القوي النبيل ، إلا أننا رغم ايماننا بوحدة جميع التراب العربي قد حرصنا على أن تشمل خريطة الوطن العربي جميع الاقطار التي اعترفت بها جامعة الدول العربية على المستويين الاقليمي والعالمي .



من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت
١٨٨
أول مايو
عصر الجليد
تأليف : تانكر ورست
ترجمة : د. عبدإلم اسماعيل
مراجعة : د. ى ماهر



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - دولة الكويت

مايو ١٩٨٥م

الإسلام وحقوق الإنسان

د. محمد عمارة

٥٠٠ فلس

الكتاب التاسع والثمانون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت



TOSHIBA TOKYO JAPAN

أسطورة تيم سافارين



"تيم سافارين" هو كاتب أولاً، لكنه واحد ممن يتبعون كل المصادر الممكنة لتأليف قصصه.

أبحر "سافارين" في مركب عربي ليعيد تحقيق، وإثبات حقيقة سفرات السندباد البحري

كان "سافارين" يؤمن أن السندباد البحري هو شخصية من نسج خيال قباطنة البحر العربي الذين غامروا بجرأة بالغة بالسفر إلى أقاصي أصقاع العالم كما كانوا يعرفونه في تلك الحقبة من التاريخ.

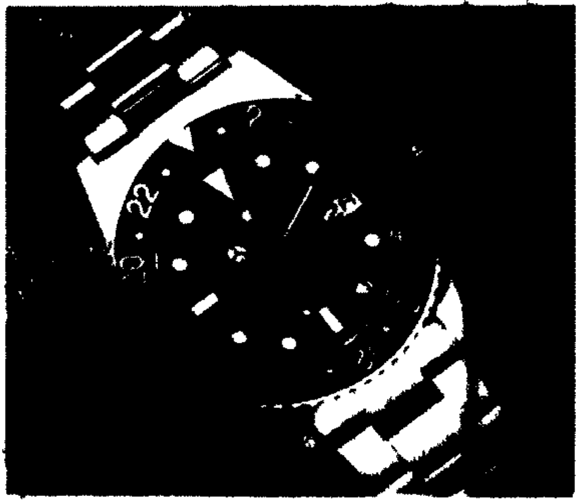
هذه الأسفار بالنسبة للقرنين الثامن والتاسع، هي بمثابة إستكشاف أعماق الفضاء الكوني في القرن العشرين.

عندما أعاد "تيم سافارين" إحياء مغامرات الأشخاص الأساطير الذين كتب عنهم كان يقوم بكل الأعمال متبعاً الطريقة ذاتها التي أتبعوها والوسائل والمواد ذاتها التي رافقتهم في أسفارهم. ما عدا ربما معرفة الوقت بواسطة النجوم.

ساعة رولكس "جي ام تي ماستر"، بما تتميز به من دقة وإتقان الصنع واعتمادية مطلقة، هي ساعة، لو وقعت بيد السندباد، لكانت محط إعجابه



ROLEX
رولكس



رولكس "[illegible] أم تي - ماستر" ذهب ١٨ قيراطاً، متوفرة أيضاً من الفولاذ والذهب معاً